CIA داخل السي آي إيه

المخابرات المركزية الأمريكية

ترجمة : مالك فاضل البديري

رونالد كيسلر



الأهلية
للنشر والتوزيع

داخل السي آي إيه
CIA

داخل السي آي إيه CIA

المخابرات المركزية الأمريكية

ترجمة: مالك فاضل البديري

رونالد كيسلر

الأهلية للنشر والتوزيع



المملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
خلف مطعم القدس / ص.ب ٧٧٧٢ - هاتف ٦٣٨٦٨٨
فاكس ٦٥٧٤٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله على فضله وبعد :

كثيراً ما سمعت عن الشارع العربي ظنه أن وكالة المخابرات المركزية لتفقه حتى ما يدور في زوايا بيوت العامة ، وانها لتسمع الآن مـا يدور من حديث بينه وبين صديقه . تلك آراء ساذجة ولكنها آراء الشارع الذي يضم دومـاً غالبية الشعوب . هذا الإنطباع بما عليه من مآخذ ، له ما يبرره .

لقد سعت وكالة المخـابرات المركزية منذ تأسيسها أن تكون اليـد الطولى لحكومة الولايات المتحدة التي ظنت ، بعد أن وضعت الحرب العالميـة الثانية أوزارها وبروزها كقوة عظمى ، أن لها الحق أن تعرف مـا يدور في أقاليم العالم وأروقـة الحكومات وربما ما يجول في أذهانهم . فشرعت تخطط لاغتيال فيـدل كاسترو ، وأن تمنع سلفادور الينذ من الفـوز في الإنتخابـات التشيكيـة ، وأن تسعى جـاهدةً كي لا يتسلـم الشيوعيـون السلطة في ايطاليا . وكل هذه أمثلة على سبيـل الذكر لا الحصر . بعدها أعطت لنفسها الحق في تحديـد من يستحق من الـدول أن يمتلك تقنية متقـدمـة او نهضـة صناعيـة او سلاحاً نووياً او ٠٠٠ . كل هذا لينحصر العالم ما بين المالك والمستأجر والسيد والعبد .

في هذا الكتاب الشيق بعضاً من أسرار وكالة المخابرات المركزية التجسسية منها والعملية او التحليلية، ومنها تتكشف ،من ناحية اولى، أن الولايات المتحدة بصفتها سيد العالم كما ترى نفسها، لا ترغب أن يتبوأ الحكم شخص حتى وإن اختاره شعبه في انتخابات ديموقراطية. كما تستدل من ناحية أخرى، أن الولايات المتحدة قد قطعت شوطاً طويلاً في مجال التقنية والعلوم ربما منحها الحق أن تقول أنني الأفضل. فإن كان لكم أن تحدوا من سلطتي فلتأتوا بما أتيت.

ينطوي الكتاب أيضاً على سطور كثيرة تحدثت عن حرب الخليج وعن شخص الرئيس العراقي صدام حسين على وجه التحديد. وإني وإن أختلف مع المؤلف في بعض ما ذكر ،ليس بصفتي عراقياً او لأن المؤلف قد تحدث عن وليام وبستر مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الذي تربطه وصدام حسين عداوةً عرفها القاصي والداني، فإني قد نقلت الترجمة بأمانة تامة ليطلع العامة على حقيقة كثير من الأمور. ففي هذا السياق مثلاً، ذكر المؤلف أن الرئيس العراقي صدام حسين هدد في الأول من نيسان عام ١٩٩٠ بحرق نصف إسرائيل، وهذا قول سليم. بيد أن المؤلف ،كما هو شأن الصحافة الغربية آنذاك، تجاهل عبارة (إذا ما ضربت العراق)، وهو قول لم ينطقه الرئيس العراقي اعتباطاً بل لوجود نوايا إسرائيلية حقيقية آنذاك بضرب العراق.

إن ما يتجلى واضحاً في هذا الكتاب أيضاً أن المؤلف سعى جاهداً أن ينأى بالوكالة عن كل خطأ ارتكبته، ناسباً اياه الى أشخاص محددين دوماً او الى الإدارة الأمريكية التي يمثلها أشخاص أيضاً. وخير مثال على ذلك هو فشل الوكالة في التنبؤ بنوايا العراق تجاه الكويت، حيث ذكر المؤلف أن هذا الفشل ناجم عن حقيقة أن العراق نفسه وصدام حسين نفسه لم يكن يعرف بخطته لغزو الكويت حتى قبل أربع وعشرين ساعة من وقوعه. ومن هنا نستدل أن المؤلف حاول أن يجسد الصورة نفسها

التي تحاول الوكالة نقلها الى شعـوب العالم أنها اله لا يخطيء وأن لا عيب في ميثاقها او قوانينها او منهجها .

أسأل الله أن أكون قد وفقت في عملي والله ولي التوفيق .

المترجم

مالك فاضل البديري

توطئة

بدأ ويليام وبستر ساعات يومه الأولى بذات المنهجية الرتيبة، فهو ينتظر قدوم سيارة وكالة المخابرات المركزية المدرعة والمزودة بثلاثة هواتف لتنقله من منزله في باثيزدا-ميريلاند الى البيت الأبيض ليعرض على أنظار الرئيس جورج بوش وقبل الساعة الثامنة صباحاً (مذكرة الرئيس اليومية)، وهي وثيقة في غاية السرية تحمل أكثر أسرار واشنطن حساسية. وفي الساعة الثامنة والنصف وصل وبستر الى لانجلي في ماكلن -ولاية فرجينيا- واستقل مصعده الخاص صوب الطابق السابع حيث يقع مكتبه المفروش بالسجاد الأخضر.

التقى وبستر في الساعة العاشرة صباحاً (جون -ال- هالجرسون) نائب مدير وكالة المخابرات المركزية لشؤون الإستخبارات الذي أخذ على عاتقه مهمة إبداء الرأي في جميع تقارير الوكالة الواردة اليه عبر الجواسيس او عن طريق الأقمار الصناعية التي بلغت كلفة بنائها مليارات الدولارات، وكذلك عن طريق وسائل الإتصال التجسسية، ليس هذا فحسب بل أن يتوقع أي مجرى ستتخذه الأحداث المقبلة. كان هذا واحداً من اجتماعاتهما النظامية، لكن كلاهما أمضى معظم وقت ذلك الإجتماع يتحدث عن التهديد العراقي للكويت. لقد حذر هالجرسون مستنداً على آخر ما في جعبته من معلومات أن صدام حسين لن يهدر أكثر من أيام قلائل ليغزو الكويت، أما السؤال الوحيد والأكثر تردداً فيتعلق بمدى ما سيأخذه من الكويت وفيما إذا كان سيغزو العربية السعودية أيضاً.

تشاور بعدها وبستر مع (ريتشارد -جي- كير) نائب مدير المخابرات المركزية ومع (ريتشارد -ف- ستولز)نائب المدير لشؤون العمليات والمسؤول عن توجيه عمليات التجسس البشري وكذلك العمليات السرية. وتلك هي الساحة التي أوقعت الوكالة دوماً في شباك مصاعبها، نذكر منها على سبيل المثال الغزو الفاشل لكوبا في خليج الخنازير وكذلك فضيحة ايران-كونترا.

وفي الساعة الثانية عشر والنصف ظهراً تناول وبستر غداءه مع (دونالد جراهام) الناشر في صحيفة (واشنطن بوست) في غرفة الطعام الخاصة بالمدير. ثم التقى موظفين من (القسم القومي لجمع المعلومات) التابع للوكالة والذي يتولى من بين مهامه عقد لقاءات مع رجال الأعمال والمسافرين العائدين رحلاتهم عبر مناطق ما وراء البحار. لقد أخبر الموظفون وبستر أنهم شرعوا بالحصول على خرائط لمصانع أسلحة العراق الكيماوية والبيولوجية من الشركات نفسها التي قامت ببناء هذه المصانع.

بعد الساعة السادسة والنصف بقليل نزل وبستر الى كراج الوكالة التحتي ليستقل سيارته عائداً بصحبة سيارة حماية أخرى الى منزله المبني من الحجر الأحمر في شارع معزول قبالة (برادلي بوليفارد)، بينما يبقى حرس المكتب الأمني طوال اليوم يرقبون مكتبه من خطوط مكعبة مطوقة بالزجاج ذات دوائر مراقبة تلفزيونية مغلقة. كما تعود الفنيون العاملون في المكتب الأمني على إجراء مسح شامل لمكتب المدير كل بضعة أشهر ووضع أجهزة خاصة على الألواح الزجاجية لمنع اية محاولة تنصت ممكنة لوكالة المخابرات الروسية (K.G.B) باستخدام أشعة الليزر.

لقد انتهى وبستر تواً من إطعام كلبه الصياد (بابس) ببعض المعجنات حين رن جرس الهاتف الأبيض المربوط بخط مباشر وسري مع البيت الأبيض. كانت الساعة حينئذ السابعة والنصف من مساء الأربعاء الموافق للأول من آب عام ١٩٩٠.

كان المتكلم (برنت سكاوكروفت) مساعد الرئيس للشؤون القومية، لقد بدا متلعثماً بعد أن وصلته تقارير غير مؤكدة تفيد أن القوات العراقية ربما بدأت زحفها للحدود الكويتية، وطلب من وبستر أن يخبره بمزيد من المعلومات إن كانت لديه.

حذرت وكالة المخابرات المركزية منذ تشرين الثاني عام ١٩٨٩ في تقارير سرية لها أن للرئيس العراقي صدام حسين نوايا عدوانية تستهدف بسط نفوذه على الشرق الأوسط، لكنها (الوكالة) قد تنبأت للرئيس العراقي بثلاث سنوات ريثما يستفيق من صدمة الحرب العراقية-الايرانية ويواصل نشاطه. وفي الثالث والعشرين من تموز عام ١٩٩٠ نقلت الوكالة في تقرير لها أن صدام حسين بدأ يحرك قطاعاته العسكرية صوب الكويت وأن بوادر الغزو باتت قائمة. وكان مساعد المدير كير قد أخبر وزارة الخارجية قبل ساعات من مكالمة سكاوكروفت أن الغزو ربما سيقع في غضون الساعات الأربع والعشرين القادمة بالإستناد على بعض الإتصالات التي تم التقاطها.

أخبر وبستر سكاوكروفت انه سيكتشف الأمر ويعاوده الإتصال، وكان سبيله لذلك أن اتصل بمكتب العمليات التابع للوكالة وهو مركز اتصالات يقع في لانجلي ويعمل وفق نظام الوجبات طوال أربع وعشرين ساعة. لقد حصل المكتب على ذات التقارير وهنا أخبر وبستر سكاوكروفت انه لا يعرف مزيداً عن هذا الأمر.

بدأ الغزو في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم جالباً في أعقابه سلسلة من أحداث انتهت بالهزيمة العراقية على يد القوات الأمريكية ومعها قوات التحالف في السابع والعشرين من شباط عام ١٩٩١. وخلال هذه الفترة الواقعة بين التاريخين شمرت الوكالة عن ساعديها وجاءت بكل ما تحتاجه الإستخبارات من معلومات استخبارية لتقييم نوايا صدام حسين ومن ثم شن الحرب. فهي قد أرسلت وقبل أن تبدأ الحرب في السادس عشر من كانون الثاني عام ١٩٩١ ما يربو على خمسمائة تقرير الى

البيت الأبيض تناولت أثر العقوبات الإقتصادية على العراق وعن استعدادات العراق للحرب وعن شخصية صدام حسين وصفاته. لقد نصبت الوكالة مستفيدة من سيطرة وبستر على لجنة (مكتب الإستطلاع القومي) والمسؤول عن تعيين مواقع الأقمار الصناعية شبكة من الأقمار الصناعية فوق الشرق الأوسط وبما يساعد القطعات العسكرية على رؤية أهدافها في الساعة التي تشاء، وعليه فإنها ستحصل على المخططات الهندسية والمعمارية لأهم أهداف العراق وسيمكنها تقييم قوة ومعنويات الجيش العراقي، وستقول في مذكرة الرئيس اليومية أن صدام حسين سيغرق الخليج بالنفط وأنه قد يستخدم أسلوباً آخر ليحرق الأرض قبل أن ينسحب من الكويت. كما ستنسق الوكالة جهودها الدعائية مثل توزيع منشورات تحث الجنود العراقيين على الإستسلام وستساعد في إطلاق سراح بعض الرهائن الأمريكان الذين احتجزهم صدام حسين في مراحل الصراع الأولى.

لقد أحسنت الوكالة أداءً في حرب الخليج برغم الأخطاء التي ارتكبتها مثل المبالغة في تقييم أعداد الجنود العراقيين في الكويت.

عاد وبستر في منتصف تلك الليلة ليجلس خلف مكتبه المصنوع من خشب الماهوجيا داخل الوكالة تحيطه أربعة هواتف وستة أخرى في صناديق وخمسة عشر (خطاً ساخناً) تربطه بكبار مسؤولي الوكالة. وعلق على جدران مكتبه عشرات الوثائق التي تؤرخ سيرة حياته كمحام فقاض ومن ثم مديراً لمكتب التحقيقات الفدرالي (F.B.I) وأخيراً مديراً لوكالة المخابرات المركزية. وعلق على جدران مكتبه صوراً تجمعه إحداها مع الرئيس بوش واثنين من كلاب (ميلي) يحومان في باحة البيت الأبيض، بينما تصور الأخرى وبستر وهو يسلم الرئيس ريغان مسدساً يستخدم بشكل خاص في التغلب على راكبي الجياد. ويظهر على الحائط أيضاً رسماً مستنسخاً للرئيس لنكولن أثناء توقيعه (إعلان التحرير) والذي أعطته الى وبستر جمعية موظفي

مكتب التحقيقات الفدرالي القدامى من ذوي الإمتياز الخاص.

ملك وبستر وهـو في السادسـة والستين من العمر وجهـاً نضراً وشفتين غليظتين وجبهة عريضة، وهو قد تعـود على تصفيف شعره الأسود المائل قليلاً الى اللون البني على نحو استثنائي. كان موضوعاً متناقضاً في حد ذاته، فهو رجل قاس أحب دوماً أن ينادوه (بالقاضي) ليؤكد انفصاليته عن الوكالة وإساءاتها في الماضي والذّي أحاط نفسه بجمع من المحـامين الشباب الـلامعين وكأنه لما يـزل في قاعـة المرافعات مـرتديـاً زي (بـرووك بـروذرز). بينما تـراه في ذات الـوقت يجدد مـوعـد لقـائه مـع (لينـدا جـو كلاجيستون) الشقراء الجذابـة البالغة من العمر أربعة وثلاثين عـاماً التي كانت تشغل منصب مديـر مبيعات وتسـويق في فندق (وتـرغيت) في واشنطن والتي لم يطق وبستر عليهـا صبراً فتزوجهـا سريعاً. لقـد التقى وبستر منـذ وفاة زوجتـه (دروسيلا) عـام ١٩٨٤ بكثير من النسـوة الجذابـات ابتـداء من لاعبة التنس السـابقـة (كـاثي كير) الى الصحافيـة النقابيـة (كارين فيلد). وهـو أيضاً لاعب تنس قديـر أدرك أن باستطـاعة ديبلوماسية التنس أن تحصد دعماً أكبر في واشنطن مما تقـدر عليه الشهادة البلاغية أمام لجان الكونجرس. فلعب مع الجميع إبتداءً من الرئيس بوش عنـدما كان نائباً للرئيس الى (زسا زسا كابر).

شعر وبستر ولما كـان يتهيأ في الساعة الـواحدة من فجر الثـاني من آب للقاء ممثلي أجهزة استخبارات الشرق الأوسـط أن الوكالة قد أحسنـت أداءاً في الدور المناط بها. بيد أنـه صعق في مستهل فترة توليه إدارة الوكـالة في السادس والعشرين من أيـار عام ١٩٨٧ لحقيقة أن بعضـاً من موظفي الوكـالة قـد فشلوا في أكثر من منـاسبة أن يخبروه الحقيقة، وهو قـول لا يعني أن كذبهم كذباً مبـاشراً بل إنهم كانوا جـد حذقين في هذا الأمر. كانوا يخبرونه نصف القصة وبإجـابة دقيقة لأسئلته ولكن ليس في الإتجاه الذي ينشده وبستر، فأضلوا عليه السبيل بنفس الطريقة التي راوغ فيها بعض ضباط الوكالة

مع المفتش العام للـوكالة ولجنـة (تاور) التي عينتهـا الرئاسة للتحقيق في الـدور الذي اضطلعت به الـ CIA في فضيحة ايران-كونترا .

وعلاوة على هذا الأمر وجد وبستر أن طرائق الوكالة في اتخاذ القرارات كانت غير حصيفة حـد الهزالة . كما لم تتبع وسيلة التخطيـط للعمليات السرية منهجيـة الحصول على الموافقة الرسمية عليهـا ، وغالباً ما تجنبت الوكالة الأسئلـة الصعبة مثل : ما الذي يحدث لو تكشفت خيوط العملية للعامة؟ هل تعني هذه العملية أو تلك شيئاً للشعب الأمريكـي ؟ وهل تتوافق مع القـانون الأمـريكي ؟ . وقبل هذا وذاك فـان وبستر كان محاميـاً اي أنه رجل يسعى وراء البرهـان لدعم الحقيقـة . لقد تـرددت الى مسامعـه في أحايين كثيرة نفس الإجابة لسؤاله المتعلق بمصدر هذا التصريح او ذاك (لقد أخبرني به جون سميث في الطابق الثالث) .

كما وجد وبستر أن مـوقف بعض ضباط الـوكالة حيـال الكونجـرس وعمليات التدقيق التي تجريها لجان الكونجرس مغيظاً جداً حتى قال بعضهم : (إنهم غير مخولين لمعرفـة ذلك ولا يتوجب علينـا أن نخبرهم ذلك الأمر) . وفي المذكـرات الموجزة التي قدمهـا بعض ضباط الوكالـة الى وبستر قبل أن يدلي بشهادته حـول (كاتيل هل) أدرج هؤلاء الضباط أسئلة مسبقة متوقعة مع إجاباتها والتي أدرك فيها وبستر أن معظمها لا تمثل إجابة كاملة للسؤال .

كان هـذا الموقف في بعض حيثياتـه موقفاً متحفظـاً جاء بـه سلف وبستر ألا وهو (ويليام -جي- كيسي) الذي طور الى نظام فني مبدأ اللاإستجابة لإجراءات التحقيق . لقـد أنشأت لجنة مجلس الشيـوخ المختارة لـلإستخبارات نظـام تجسيم صوتي خـاص داخل غـرفة الإستماع في مسعى لها لتمكين كيسي أن يـدمـدم بلغة مفهـومة . إن مـا لم يدركـه أعضاء مجلس الشيوخ هـو أن كيسي إذا ما أراد منهم أن يفهمـوه تكلم بصوت واضح كأنـه جون كينـدي . وهـذا هو نـوع التبجحية الـذي أوقع الـوكالـة في مطب

فضيحة ايران- كونترا.

لم تمض سوى فترة قليلة على تبوأ وبستر منصب مدير وكالة المخابرات المركزية حتى أشاعت الصحافة قصصاً أنه لن يمكث في منصبه هذا دهراً من الزمن وأن بديلاً عنه على وشك أن يحل محله، بل إن دابر هذه الإشاعات لم ينقطع حتى بعد أن طلب بوش بعد توليه رئاسة الدولة من وبستر المضي في رئاسته للوكالة فأخذت منحىً آخر بادعائها أن وبستر قد أخفق في أداء مهامه وأن الرئيس بوش غير مقتنع بأداءه ومن أن وبستر يمضي معظم وقته في لعب التنس. كما لم تجد نفعاً حقيقة أن وبستر قد احتفظ بمنصبه لسنوات بعد تلك الشائعات الأولى في أن تمنع ظهور أقاويل جديدة أشاعت أن الوكالة أخذت تحيد عن طريقها وأن البيروقراطية قد نخرت أساساتها، كما انهارت معنويات منتسبيها ولم يعد من صنيعها شيء يستحق الثناء عليه.

إن الهوة بين إدراك العامة وبين حقيقة الوكالة قد تشكل استعارة مجازية للوكالة نفسها، لأنها قد تكون الوكالة الحكومية الوحيدة التي لم تفهم العامة إلا القليل من حيثياتها او تكاد لا تفهمها بالمرة. وهذا هو الطريق الذي أراده لها مؤسسيها أمثال (ويليام .جي. دونافن) و(ألن دولس) و(جون ماكون) و(ريتشارد هيلمز). إنهم الرجال الذين أطبقوا على أسرار وكالتهم وكانوا فخورين بصنيعهم هذا. وهم لم يواجهوا أي خلاف في إدارة منظمة استخبارية سرية داخل مجتمع حر، ولم يجدوا مبرراً ليدعوا عامة الشعب الأمريكي على الإطلاع بأسرارهم. إن كل ما تحدثوا به الى الشعب الأمريكي هو أنهم قطعوا عهداً (نحن رجال نبلاء وهبنا أنفسنا لخدمة الأمة).

لقد تعهدت (الشركة) كما كانت تسمى في عصرها الأول بألا تجيب لغير الرئيس على سؤال. انها تملك روحية (أستطيع أن أفعل ذلك) ومعالجة كل قضية في عهد شعرت فيه الولايات المتحدة بخطر التقدم التسليحي للإتحاد السوفياتي وخطر الحرب الباردة المحدقين بها.

ثم جاءت فضيحة ووترغيت وحرب فيتنام عندما ضللت الحكومة الشعب بالمسار الحقيقي للحرب وعندما غطى الرئيس نيكسون على تورط البيت الأبيض في اقتحام مقر اللجنة القومية الديموقراطية. ولم يجد الكونجرس منفذاً آخر يتطلع منه بعد أن أماط (سيمور هارش) الناشر في صحيفة (نيويورك تايمز) اللثام في كانون الأول عام ١٩٧٤ عن حقيقة خرق وكالة المخابرات المركزية لبنود ميثاقها بأن تجسست على الأمريكان أنفسهم ممن عارضوا حرب فيتنام.

وفي عام ١٩٧٥ بدأت اللجنة التي ترأسها السيناتور الراحل (فرانك تشيرش) تحقيقاتها التي قلبت كامل الوكالة رأساً على عقب وغيرت جذرياً من منهجيتها في العمل. لقد وجدت اللجنة وكذلك لجنة الرئيس التي ترأسها نائب الرئيس (نلسون روكفيلر) أن الوكالة وعلى مدى عشرين عاماً قد استلمت وفتحت بشكل غير قانوني الرسائل البريدية بين الولايات المتحدة والكتلة السوفياتية، وأنها احتفظت بملفات لآلاف المواطنين الأمريكان وفهرست أسماء ثلاثمائة ألف مواطن أمريكي دون أن تكون لهم أية علاقة بالتجسس. ليس هذا فحسب، بل إن الوكالة قد تسللت الى المجاميع المنشقة في منطقة (واشنطن .دي. سي) وأجرت تجارب بالـ(L.S.D) على أمريكان لا تحوم حول أياً منهم ذرة شك الأمر الذي حدا بأحدهم على الإنتحار. كما قامت الوكالة بعدة محاولات فاشلة لاغتيال عدد من الزعماء الأجانب وبضمنهم الزعيم الكوبي (فيدل كاسترو).

إن الوكالة لم تفعل أياً من هذه الأعمال دون مصادقة الرئيس عليها أو إصداره أمراً مباشراً لها، ومعظمهم يعرف هذه الحقيقة وبضمنهم المدعي العام. هذه الإساءات جميعها قد توقفت بمجرد أن تكشفت خيوطها وإن معظمها تقريباً قد كشفت وكالة المخابرات نفسها النقاب عنها. لقد أصدر (جيمس شيلسنجر) بصفته مديراً للوكالة أمراً عام ١٩٧٣ الى جميع موظفي الوكالة بالإبلاغ عن أي نشاط يقع (خارج الميثاق

القانوني للوكالة)، وكان مخاض ذلك (مجوهرات العائلة) وهي وثائق بلغ تعداد صفحاتها ستمائة وثلاث وتسعين صفحة قدمها (ويليام كولبي) الى مجلس الشيوخ بعد أن تم ترشيحه لمنصب مدير وكالة المخابرات المركزية.

إن هذه الإساءات لم تكن مجرد نشاطات غير مناسبة وغير قانونية فحسب بل إنها جسدت نقصاً في فهم ماهية أمريكا. فأي غرض أنشأت عليه وكالة المخابرات المركزية غير المساعدة في حفظ حريات الشعب الأمريكي؟. كما عكست هذه الإساءات وجهاً شنيعاً للاكفاءة التي تحلت بها الوكالة. فهي قد جندت على سبيل المثال المافيا لاغتيال كاسترو، وهو عمل لا يمثل مجرد خرق صارخ لميثاقها بل غباءً أيضاً. وتآمرت الوكالة على إذلال كاسترو أمام شعبه بمحاولاتها حلق لحيته، وهو شيء لا يعدو من يفكر فيه غير أن يكون في مرحلة رياض الأطفال.

أفضت مرافعات تشيرش الى إحكام قبضة الكونجرس على النشاطات السرية وكذلك تأسيس لجان استخبارات دائمة عامي ١٩٧٦ و ١٩٧٧ لمراقبة الوكالة وفروعها المرتبطة بها. وكان هذا بصيص الأمل الأخير الذي نظر منه الأمريكان للوكالة وما ستفعله بعدئذ. أما ضباط الوكالة فقد كرروا قولهم الذي تعلموه: «إنكم تخبرون العامة بأخطائنا وتكتمون عنهم نجاحاتنا».

لقد أثبتت النظرة القديمة المأخوذة على الوكالة صحتها، فهي ليست كما تبدو عليه. فحتى المعلوماتية البسيطة مثل عدد مستخدمي الوكالة أمست مجهولة للصحافة التي بلغها أن هذا العدد يبلغ ستة عشر ألف موظف، أما الرقم الحقيقي فهو اثنان وعشرون ألفاً ناهيكم عن استخدامها لأربعة آلاف موظف آخرين على أساس العقد او الدوام الجزئي.

إن علينا؛ اذا ما أردنا أن نعرف ماهية وكالة المخابرات المركزية الحقيقية وطرائق

تفكير وعمل ضباطها؛ أن نسبر غور المكونات الخمسة للوكالة والتي هي أربع مديريات ومكتب مدير وكالة المخابرات المركزية. فلكل من هذه المديريات رسالتها وثقافتها ونصيبها من العمل الخاص بها، ونادراً ما اطلعت مديرية ما على تقارير المديرية الأخرى المعنونة الى مدير وكالة المخابرات المركزية *(D.C.I). إنها جميعاً كفرق رياضية متخاصمة كل منها تدخل في تنافس صامت مع الأخرى لعلها تفوز بالأموال المخصصة للوكالة او أن تسرق الإهتمام إليها او أن تحوز منصباً سامياً لها لإدراكها أنها الأهم بين هذه المديريات.

تتولى مديرية (العمليات) مهمة التجسس البشري، ونحن بإشارتنا هنا الى كلمة (العمليات) إنما نعني بها العمليات السرية. وتستخدم (مديرية العلوم والتكنولوجيا) الأقمار الصناعية ووسائل تقنية أخرى في عمليات التجسس، كما تأخذ على كاهلها مسؤولية رعاية البحوث وتحويلها الى ابتكارات تكنولوجية. ومن هنا نستدل أن اسم المديرية ينم على طبيعة استخبارية من خلال الوسائل التقنية. أما (مديرية الإستخبارات) فتأتيك بالخبر المعلوماتي الذي تشكل المصادر العلنية مثل المطبوعات مصدره الرئيس لتشرع بعدئذ في تحليله. وتوظف هذه المعلومات في إعداد مذكرات الرئيس وكذلك التقديرات الإحصائية او الدلالية المعروضة عليه. وتحمل (مديرية الإدارة) في ثناياها جميع هذه المهام من خلال توفيرها لأجهزة الحاسوب الآلي والأمن والإتصالات وما شابهها.

يقول (هربرت ساندرز) وهو ضابط سابق في الوكالة: «تشعر مديرية العلوم والتكنولوجيا أنها الأكثر بين المديريات التي تجمع معلومات استخبارية، وعليه فإن لها من الأهمية نصيب لا يقل مثقال ذرة عن نصيب مديرية العمليات. ثم أن مديرية

* إن منصب مدير وكالة المخابرات المركزية (D.C.I) لا يعني أنه مدير لوكالة المخابرات المركزية فقط بل لكامل المجتمع الاستخباري والذي يشتمل على عشرات الوكالات الاستخبارية بضمنها الاستخبارات العسكرية ووكالة الأمن القومي وكذلك قسم الإستخبارات المضادة لـ FBI (مكتب التحقيقات الفدرالي) والذي تخضع ميزانيته الى الكونجرس عن طريق مدير وكالة المخابرات المركزية.

العمليات؛ من جانب آخر؛ جد معتـدة بنفسها بينما نحن بحق من يقوم بكامل المهمة ونحن ندير العالم. فليس بمقدور الأقمار الصنـاعية أن تأتيك بالـذي يجول في أذهان شعـوب الأرض. ويدعـي السوقيـون في مـديريـة الإدارة: «انكم لن تفلحـوا في أن تفعلوا شيئاً دون وسائلنـا في النقل». بينما يقول رجال الأمن: «لم يكن بمقدوركم أن تحفظوا سراً لـولا فضلنا عليكم». ويعتقد جميـع المحللين في مديريـة الإستخبارت أن كل ما يصل أرض الواقع هو من فضل عملهم ولهم في قـولهم هذا نقطة سبق (هذا هو اسم اللعبة. أن تأتي بالمعلومات الى قادة البلاد وأن تدعهم يتخذوا القرارات). ». *

وتضم كل مديرية من هذه المديريـات الأربعة فروع داخلية منفصلة وذات طبيعة يتفـرد فيها كل فـرع عن الآخـر. اذ أناطت مـديـرية العلـوم والتكنـولوجيـا بمكتب الخدمات الفنية التابع لها مهمة تزويدها بمعدات فتح الأقفال ونصب أجهزة التصنت وبناء أجهـزة تحويل الصوت الى كتـابة ورقية تستخـدم في الكتابـة السرية. وأشركت مديـرية الإدارة المكتب الأمنـي التابع لها في التحقيقات التجسسيـة يداً بيـد مع مكتب التحقيقـات الفدرالي، وكـذلك في تفتيش مكاتـب الوكـالة خشيـة وجود اي أجهـزة تجسس خـارجيـة. كما أوكلت المديـريـة ذاتها بمكتب الإدارة المالية مهمتي إصـدار شيكات الدفع وغسل الأموال المستخدمـة في العمليات السرية، وبمكتب السوقيات مهمة تنظيم الإشراف على منازل ضباط الوكالـة وكذلك شراء الأسلحة لاستخدامها في الحروب البعيدة. أما مديـرية الاستخبارات فقد أوكلت مركـز مكافحة المخدرات التابع لها بمهمة استخـدام الأقمار الصناعية لمراقبة حقول زرع نباتـات الكوكا والسفن المحملـة بمادة الكوكـايين. كما كلفت مركـز مكافحـة الإرهاب أن يأخـذ على عاتقـه مسؤولية تعقب الحسابات المصرفية لـلإرهابيين وتوظيف الأقمار الصناعية لاعتراض الشيفرات الإلكترونية في تحويل الأموال من مصرف لآخر.

---

*وردت هذه المعلومات في مقابلة اجريت مع ساندرز في السابع من تموز عام ١٩٩٠.

كما تملك الوكالة بالإضافة الى بناية مقرها الرئيس القديمة والجديدة في (دولي مادسون بوليفارد في ماكلين-فرجينيا) معملاً للطباعة خاصاً بها يصدر الوثائق المصنفة الروتينية وكذلك (مذكرة الرئيس اليومية الموجزة) وهي وثيقة تتألف من ثماني الى تسع صفحات ينتهي العمل منها يومياً في تمام الساعة السادسة صباحاً على شكل نسخة ثنائية الطي تسلم الى مدير الوكالة في منزله ليتصفحها في طريق ذهابه الى البيت الأبيض لعرضها على الرئيس في تمام الساعة الثامنة صباحاً. ويوجد لها أيضاً مصنعاً طباعياً سرياً آخر في الطابق التحتي لبنايتها الجديدة يصدر شهادات الميلاد المزورة وجوازات سفر أجنبية وإجازات سوف يستخدمها ضباط الوكالة في مهامهم السرية، بالإضافة الى كتباً ومنشورات بلغات أجنبية لتوزيعها في الخارج او منشورات يتم إسقاطها في بلدان أخرى مثل العراق تستخدم لأغراض الدعاية.

بالإضافة الى ذلك تنفق الوكالة على اثنين وعشرين مكتباً آخر موزعين داخل واشنطن، يأوي أحدها محطة معلومات البث الإذاعي والتلفزيوني الخارجي التابعة للوكالة والتي ترقب وتترجم البث الإذاعي والتلفزيوني في جميع مناطق العالم بضمنها برامج تلفزيونية في سبع وأربعين بلداً. أما بقية المكاتب فقد استأجرت عن طريق أسماء شركات وهمية واستخدمت لتجنيد ضباط وكالة المخابرات الروسية (KGB) بأن يديروا أعقابهم لبلدهم ويتجسسوا لصالح الولايات المتحدة. وغير هذا وذاك لما يزل أمامنا مكتب آخر في (روسلين- فرجينيا) وظفته الوكالة لتجنيد جواسيس الوكالة نفسها، وهم لفيف من الضباط يعيشون في مناطق ما وراء البحار تحت حماية عملاء مجندين وسريين خاطروا بحياتهم لأجل قضايا الولايات المتحدة. فذلك هو دور الوكالة في أن تجمع المعلومات الاستخبارية الخارجية، وهي لهذا الغرض أقامت لها مائة وثلاثين محطة موزعة في أرجاء العالم المتباعدة.

إن الوكالة وإن بدت جذابة لهذا الحد لما تزل تقبع تحت طابع السرية الذي قد

يصل أحياناً حد الجنـون. فقد قرر أواخر عام ١٩٩٠ أعضاء جمعيـة نشاطات موظفي الوكـالة أن يبدأ مخزن المتسبين الـواقع في الطابق الأرضي لمقـر الوكالـة في ماكلين ببيع الصور الفوتوغرافية التذكارية للوكالة وكذلك الفانيلات او قبعات لاعبي البيسبول. وهنا رفعت قـوى الوكـالة مرسـاتها وعبرت عن وجهة نظـرها المستقلـة. إذ عارض (ريموند هـافستلر) نائب المدير لـلإدارة فكرة الصور الفوتـوغرافية لإيمانه أن فعـالية الوكـالة إنما تعتمـد على الإحتفاظ دوماً بـالجانب المعتم عن الوكـالة لـدى الآخرين: فكيف يكـون إذاً بوسع ضبـاطنـا الذين لا يعلم بأمـرهم أحـد أن يأخذوا لصغـارهم قبعات وفـانيلات تخص الـوكالـة؟ كما أبدى (ريتشـارد كير) نائب المديـر نفس هذه التحفظات بقوله أن مبدأ الدعاية لصالح الوكالة هكذا يتعارض وميل الوكالة نفسها. وذهب آخرون أبعد من ذلك بإعـلانهم أننا لسنا بحاجة لضبـاط بلغ بهم غباءهم هذه الدرجة ليأخذوا الى منازلهم تذكارات عن الوكـالة. إنه مثال آخر لجنون العظمة الذي تحلت به الوكالة.

هكـذا هو السبيل الـذي اختطته الـوكالـة لنفسها في أن تبقى دومـاً محجوبـة عن الأنظـار. بينما يخضع في الجانب العملي كل مـا يدخل الـوكـالة الى عمليـة التصنيف. فحتى الصحف قد بصمـوها بطابع (السريـة). وتوجب على مـوظفي الوكالـة توقيع تعهد أثنـاء دخولهم او مغادرتهم سلك الخدمـة فيها ينص على إخضاع كل مـذكراتهم الخاصة بعملهـم الى رقابـة الوكالـة أولاً. ويهدف اختيار جهـاز كشف الكـذب الذي يخضع اليـه المتسبـون كل خمس سنـوات الى منع أسرار الوكـالـة من التسرب خـارج حدودها. لقد قبل كل موظف بهذا النظام وذاك الصمت.

تعتبر وكالة المخابـرات المركزية وكالة حديثـة التأسيس نسبياً، فهي تأسست عام ١٩٤٧ وتوجب عليها مـذ شرعت في رحلتها أن تبتكر لنفسها سبيلها في الـوجود بعد أن اكتفى قانونها بإعطائها القليل من التـوجيه. وعليه شهدت انطلاقتها الأولى الكثير

من الأخطاء والعديد من الهفوات.

أما اليوم فهي منظمة اكتمل نضوجها واختلفت ملامحها كثيراً عما كانت عليه قبل خمسة عشر عاماً. فهي ما برحت تستكشف نوايا أعدائها برغم انهيار الإتحاد السوفياتي وكما أوضح هذا دورها في الأحداث التى أدت الى غزو العراق للكويت والحرب الأمريكية ضد العراق. وظلت جمهورية روسيا حتى اليوم تتجسس على الولايات المتحدة، فواجهتها الولايات المتحدة بذات العملية التجسسية عبر أداتها (وكالة المخابرات المركزية). إن الوكالة لما تزل برغم أهميتها شيفرةً محيرةً لمعظم الأمريكان. فبينما يراها البعض تهديداً للحريات الأمريكية يجد فيها آخرون الحاميَ لنفس الحريات. ونحن كي نفرق بين الأسطورة والحقيقة علينا التمعن في كل جزء من أجزاء الوكالة، فهي لم تعد كياناً منفرداً بل إن لكل حيز فيها أسراره الخاصة به.

مدير وكالة المخابرات المركزية

المسؤوليات القيادية*

مدير وكالة المخابرات المركزية DCI

- نائب مدير وكالة المخابرات المركزية DDCI
  - المجلس الاستشاري العام
  - الشؤون العامة
  - القضايا المتعلقة بالكونغرس
- المساعد الخاص للسيطرة على الاسلحة
- مجلس الاستخبارات القومية
- كادر ادارة الاستخبارات

نائب المدير لشؤون التخطيط والتنسيق
- مراقب الحسابات
- مكتب فرص التوظيف المتساوية

نائب المدير لشؤون العمليات
- موظفو العمليات السرية
- العمليات الخاصة
- موظفو الاستخبارات المضادة
- مكافحة الارهاب
- مكافحة المخدرات
- كوادر متخصصة اخرى
- روسيا / اوروبا الشرقية
- الشرق الادنى
- اوروبا
- شرق اسيا
- افريقيا
- امريكا اللاتينية
- المصادر المحلية

نائب المدير لشؤون العلوم والتكنولوجيا
- مكتب البحث والتطوير
- مكتب التطوير والهندسة
- محطة بث المعلومات الاذاعية الخارجية
- مكتب عمليات (سيجنت)
- مكتب الخدمات التقنية
- المركز القومي
- مكتب المشاريع الخاصه

نائب المدير لشؤون الاستخبارات
- مكتب التحليلات السوفيتية
- مكتب التحليلات الاوروبية
- مكتب تحليلات الشرق الادنى وجنوب اسيا
- مكتب تحليل شرق اسيا
- مكتب تحليل افريقيا وامريكا اللاتينية
- مكتب نائب المدير لمكافحة المخدرات
- مكتب البحث العلمي
- مكتب مصادر التكنولوجيا والتجارة
- مكتب التحليل الصوري
- مكتب الانتاج الحالي والدعم التحليلي
- مكتب مصادر المعلومات
- مكتب التحليل القيادي

نائب المدير لشؤون الادارة
- دائرة الخدمات الطبية
- دائرة الامن
- دائرة التدريب والتعليم
- دائرة الادارة المالية
- دائرة السوقيات
- دائرة المعلومات التقنية
- دائرة شؤون الموظفين
- دائرة الاتصالات

* تشمل مراكز مدير وكالة المخابرات المركزية للاستخبارات القيادية ومكافحة الارهاب ومكافحة المخدرات

الجزء الأول

مديرية العمليات

الفصل الأول

ماهية وكالة المخابرات المركزية

عندما يفكر الناس في وكالة المخابرات المركزية يبدر الى أذهانهم إدارة العمليات، جانب التجسس في البيت والمعروف أيضاً بالخدمة السرية. إن هذه الإدارة المؤلفة من خمسة آلاف عميل من كامل عملاء الوكالـة البالغ عددهم اثنان وعشرون ألفاً، لأكثر أقسام الوكالة سريةً وأوفرها عطاءً. إذ تتجشم أشق الصعوبات وهي في ذات الوقت تعـود على الوكـالـة بمتـاعب عظيمة. وتتجلى مهـام إدارة العمليـات في التجسس في الدول الأخرى والبحث عن المعلومات التي تصنف عادةً حسب مكانها المناسب.

إن عمل الإدارة ،كما يـوضح التعـريف، هـو خـرق قـوانين الـدول الأخـرى، وتختلف مهمتهـا في هذا النطـاق عن مهـام وزارة الخارجية التـي تبحث عن المعلومـة الحقة بشكل قانوني. وعلاوة على ذلك فإن مديرية العمليات تتجشم مهاماً سرية مثل محاولات التأثير أو الإطاحة بالحكومـات الأجنبية او الأحزاب والقادة السياسيين من خلال الدعم المالي السري، الإعداد لذلك، العمليات شبه العسكرية والدعاية.

وتتمتع إدارة العمليـات ،كما هو دأب مـديريـات الوكـالة الأخـرى، بشوفينيـة (تعصب مغالى فيه) عملها، ليقينها أن الدور المناط اليها لأكثرها أهميةً.

يقول أحد الضباط السابقين في الوكالة المركزية: «تكمن حقيقة وكالة المخابرات المركزية في الجانب السري. فمـوظفو مديريـة العلوم والتكنولوجيـا هم أناس حديثي

العهد الى درجة ما ويمتهنون البحوث. أما موظفو مديرية الإستخبارات فهم مجرد منتهزي فرص لكتابة التقارير».

وذكر (توماس بولجار) أحد الضباط السابقين في وكالة المخابرات المركزية: «أيقنتني خبرتي أن الناس لأسمى الأشياء في المخابرات، فليس ثمة بديل عنهم كمصادر نقل لما يدور في الميدان».

يفرر الناس الإنخراط للعمل السري في البيت لأسباب عدة. وتعد تلك التي قدمها (ديفيد -د- ويل) المدير السابق لقسم الوكالة في فنلندا وكمبوديا والبرتغال وسويسرا والكونغو البلجيكية السابقة، طرازاً للكثير منها.

يقول ويل: «إنها تحاكي روح المغامرة عندي، إذ أنني سأكرس نفسي لعمل واحد: فكرة الحياة خارج وطني وفي حالة متحدية جداً، فهذا الأمر يروق لي. راودتني الرغبة منذ نعومة أظافري بتجربة كل الأشياء التي أستطيعها قبل أن أفارق الحياة. ها هنا تشترك الوطنية في هذا الأمر، فكل عطاء منك لوطنك سيزيد بينك وبينه ارتباطاً».

عندما ظهرت وكالة المخابرات المركزية للوجود جنح خريجو (الإيفي ليج) الى تبوأ كبرى المناصب بها. كان (وليم .ج. دونافان) رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية محامياً تخرج من كلية كولومبيا ومدرسة القانون في جامعة كولومبيا. وفيما يخص جامعة جورج واشنطن، حبذ مسؤولو الحكومة الجواسيس من بين معارفهم. لم يستثنى دونافان من ذلك وكان معارفه من المؤسسة الشرقية. شكل الكثير من اولئك الناس أنفسهم نواة الوكالة المركزية. بيد أن وكالة المخابرات المركزية (و.م.م) لم تكن البتة، أول الأمر، مرتعاً للإيفي ليج، فوالتر بيدل سميث رئيس (و.م.م) من ١٩٥٠ الى ١٩٥٣ لم يتخرج قط من أية كلية.

يقول والتر سميث: «استدرت حول الطاولة في الإجتماع الصباحي مع أحد عشر من كبار موظفي الـوكالة وقلت لنفعل هذا الأمر حـالاً. كم عدد الذين من بينكم من الإيفي ليج؟». فأجـاب وليم كـولبي مديـر (و. م. م) للفترة من ١٩٧٣ الى ١٩٧٦: «ثلاثة فقط، اثنان منهم لم يذهبا الى أية كلية».

يتلقى ضباط عمليات (و. م. م) -المعـروفين في النطاق المحلي بالجواسيس- قبل إرســالهم للخـارج للتجس تــدريبـاً في كــامب بيري المركــز الأسطـوري خــارج وليامسبرج-فـرجينيا الذي يفترض أن يكـون وجوده سريـاً حتى الآن. وهناك يتعلم أعضـاء بـرنامج الإعـداد الـوظيفي دروسـاً في كشف المتفجرات، المراقبـة والمراقبـة المضادة، كيفية كتابة التقاريـر، كيفية استخدام شتى أنواع الأسلحة، وإدارة عمليات مكافحـة الإرهاب والمخـدرات، والعمليات شبـه العسكرية. والأهـم مـن ذلك كله أنهم يتعلمون كيف يجنـدون العملاء ويـوجهونهم، وهم من سكـان البلد الأجنبي، ليقدموا لضباط (و. م. م) المعلومات السرية.

وفي العمل التجسسي يسمـــو مهماً التفـريق بين الضبـــاط والعمـلاء: فضبــاط (و. م. م) هم كادر الموظفين الوطنيين في خاصة بلـدهم، أما العملاء فهم الأشخاص الذين يجنـدهم ضباط (و. م. م) لخيانـة أوطانهم. بيد أن الصحف توحـد على الدوام المصطلحين مسمية كل من يعمل لصالح (و. م. م) عميلاً.

وينظّم الإعـداد شبه العسكـري في هـارفي بوينـت شمالي كارولينـا، ويتحتم على الضباط في أمـاكن معينة كبنما وجبـال أريزونـا المسير في مستنقعات تعج بـالأفاعي أو فـوق الجليد أثنـاء رحلات تستمـر طوال الليل. وفي كل سنـة تفقد (و. م. م) مئـات السيارات القديمة في تمرين للسياقة الدفاعية كي يتعلم الضباط ما يفعلوه إذا ما نصب الإرهابيون لهم كمائن في الطريق.

ولا تهدف عملية إدارة العملاء تعليم الضباط براعة الحرفة فحسب، بل تبعثهم على التفكير. فمثلاً أثناء أحد تمرينات تولي الأدوار، أعد أحد موظفي (و. م. م) -الذي تظاهر أنه عميل- لقاءً مع إحدى المتدربات في صالة سينمائية. وأثناء عرض الفيلم، أجلس يديه على ثوبها وحاول تقبيلها فرفضت هذه الضابطة. بيد أنه أصر، فنهضت المرأة وغادرت المكان.

وُجه إليها بعدئذ نقداً لأنها لم تخطط للقاء هذا العميل كرةً أخرى. وعلاوةً على ذلك لا ينبغي للضباط أن يلتقوا العملاء في صالة السينما لأنها مظلمة ولا تمكنهم من تدوين ملاحظاتهم.

وفي تمرين آخر يختطف مدربو (و. م. م) مدربين آخرين ويستقلونهم الى موقع سري كي يرغموهم بالقوة على الإعتراف أنهم ضباط (و. م. م). يقول ضابط عمليات سابق: «إنك في شقتك الساعة الثانية صباحاً مرتدياً البيجاما. يطرق أحدهم بابك فيقبض عليك أربعة من الأشداء ويوثقونك بالحبال ويضعوك في سيارة حيث ينقلوك الى موقع قريب من المطار الوطني ويجلسونك في الطائرة فتطير بك الى مكان ما». يحتجز المتدرب في زنزانة ويحقق معه بأمور لا يفقهها، ويدير هذا التحقيق متدربون آخرون في آخر تمرين لهم. وهكذا تنسلخ الأيام ولا يحظى المتدرب إلا بقسط يسير من النوم. لا يؤذن له أن يبرح الزنزانة إلا ليحفل بدش بارد. يضطرب بعض المتدربون وينهارون، ويعترفون أنهم يعملون لصالح (و. م. م)، بينما يتجاوز الآخرون المحنة. لا يحصل أي مكروه لأولئك الذين يعترفون لأنه مجرد تمرين تعليمي. ويتعلم ضباط (و. م. م) أنهم إذا ما عذبوا فعليهم ،في نهاية المطاف، أن يفشوا المعلومات بشكل غير سليم. ويستغرق هذا الإعداد سنة واحدة متضمناً المهام المختلفة للمديريات الأربعة كي يحظى المتدرب بالخبرة المتنوعة.

يعمل ضباط عمليات (و. م. م) في الغالب تحت ستار الحكومة، ويدّعون ،في

الأغلب الغـالب، أنهم ضباط في وزارة الخارجيـة او ضبـاط في الجيش او مدنيـون او موظفـون في أقسام الدولـة، بيد أنهم لن يستخـدموا قط فصائل السـلام كستار لهم. ويتمتع معظمهم في أغلب الحالات بالحصانة الدبلـوماسية، الأمر الذي يعني أنهم لو وقعـوا وهـم يتجسسـون في أيـدي الحكـومـة الأجنبيـة لأعلنت تلك الحكـومـة أنهم أشخاص غير مـرغوب فيهم ولطردتهم الى خـارج البلاد. ومع ذلك فإن الحكـومات المعنية غالباً ما تريهم سوءاً قبل الإفـراج عنهم بحجة أنها كانت تجهل تمتعهم بالحصانة الدبلوماسية.

وتتوسع (و. م. م) لتشمل عـدة مئات من ضباط العمليات الـذين يعملون تحت غطـاء التجارة، وهـذا يعني أنهم يتحلون صفـة مستثمرين مغـامرين أو مـوظفين في شركات خاصة. وهذا النطـاق الذي يتحلى بستار غير رسمي لأخطر جداً من العمل تحت ستار الحكومـة، لأن ضباط (و. م. م) دونها حصانة ديبلوماسيـة عرضة لأن يتم القبض عليهم ويزجون في غياهب السجن بتهمة التجسس. ومن المكلف جداً الدفاع عن ضابط (و. م. م) وهـو في هذه الصفـة. فهم بينما يستخدمـون أسماءهم الحقيقية، عليهم حجب حقيقـة انتسـابهم، وإن مـا يختلقـونـه من قصص تستر مضللـة انما هي لإظهار خلفياتهم المزورة.

ويعـرف كبير مـوظفي الشركـة هـؤلاء الأشخـاص الـذين يعملـون لصـالح (و. م. م)، وقد يعرف أيضاً شخص او اثنان في الشركة هويتهم الحقيقية بالإعتماد على حجم الشركة. وبشكل مثالي فإن ضابط (و. م. م) هـو ممثل الشركة الوحيد في منطقة جغرافية معينة. وبهذه الطـريقة ليس عليه رقباء يعرفون مـا يفعله هذا الضابط في كل يـوم. وفي بعض الأحيان ينجـز ضبـاط (و. م. م) ذوو السـاتر التجـاري أعمالهم على أكمل وجـه حتى لتعـرض عليهم الشركـة فرصـة العمل الحقيقيـة وبأجـر ضعف مـا يتقاضوه من الوكالة.

وقبل عقود من الزمن استخدمت الوكالة الضباط المتسترين بالتجارة لتعيين وتجنيد العملاء. كان هذا الأمر محفوفاً بكثير من المخاطر وليس ضرورياً على الدوام. أما اليوم فقد تحدد عملهم بشكل أوسع للإتصال مع العملاء الذين تم تجنيدهم مسبقاً وخصوصاً مع الحساسين منهم الذين لا يجب أن يوجههم أي شخص ذو صلة مع السفارة المحلية.

وذكر ضابط عمليات سابق: «إنه البرنامج الذي لم يلق مؤازرة بشكل متحمس. إنك تتجشم متاعب الإتيان بأحدهم الى الشركة الأمر الذي يكلفك كثيراً من المبالغ الإضافية... . ولم تشهد إلا السنوات العشر الأخيرة تغيراً باستخدام هؤلاء المجندين للإتصال مع الأشخاص ذوي الأهمية والذين ليس بمقدورهم الإتصال مع الأمريكان مباشرة!!.

تتعاقد الوكالة، بالإضافة الى ما لديها من كادر موظفين، مع مستخدمين في عقود أمدها سنتان براتب شهري وفوائد، بعد أن توكل إليهم مهام محددة مثل القيام بنشاطات ذات طبيعة شبه عسكرية. وهي تمتلك من هذا النوع أربعة آلاف مستخدم بالإضافة الى موظفيها البالغ عددهم اثنان وعشرون ألفاً. بينما يتولى ضباط الوكالة المتقاعدين إدارة مشاريع خاصة ويطلق عليهم اسم (المقاولين المستقلين)، ويتلقون أجراً يومياً مقابل إرشاداتهم.

إن مهمة ضباط العمليات تتجسد في تجنيد الأشخاص الذين يطلق عليهم اسم العملاء او (المساعدين) في الدول الأجنبية لغرض التجسس لصالح الوكالة. ومثالياً فإن (١٠-١٥)٪ من ميزانية المحطة الكاملة تمضي أجوراً للعملاء.

أحيط ضباط الوكالة علماً، بما فيهم الذين لا يعملون في العمل السري في سابق السنوات، أنهم إذا سئلوا عما يمتهنون فما عليهم إلا القول: «لصالح الحكومة»، وكل شخص في واشنطن يفقه هذه العبارة.

وعندما انتخب السيناتور (باتريك .ج. ليهي) الى مجلس الشيوخ في عام ١٩٧٤، استأجر بيتاً في مدينة ماكلين-فرجينيا. لقد أعلم أطفاله، لأنه لم يشأ أن يقال لهم أن والدهم كان سيناتور، أنهم إذا ما سئلوا عن عمل والدهم فعليهم القول: «أنه يعمل لصالح حكومة الولايات المتحدة».

إن ضباط العمليات السرية الذين يقولون أنهم يعملون لوكالة خاصة كوزارة الدفاع مثلاً، يوهبون أرقاماً هاتفية سرية وخلاصةً لماهية هذا التستر ووصف مكتوب للدائرة التي يدّعون العمل بها. فمثلاً يتواجد للضباط الذين يقع مقر عملهم في واشنطن مكتباً مستوراً يلوح كأنه وحدة البنتاغون الحقيقية التي لا وجود لها حقاً. ويوهبون أرقاماً هاتفية على اتصال بمراكز البنتاغون، ولكن المكالمات تجاب في وكالة المخابرات المركزية، حيث يدعي عاملون خاصون أنهم سكرتاريو الضباط وينقلون اليهم الرسائل.

وعادة ما يرتاب الأصدقاء والجيران والعائلة من ضباط (و.م.م) الذين يعملون تحت ستار الحكومة في أنهم على صلة بـ(و.م.م). وتعتمد ملاحة هذا الأمر أو قباحته على مدى إدراك المحيطين عما تفعله (و.م.م). ووجد اقتراع هيئة رأي البحث لعام ١٩٧٩ أن ٦٢٪ من الأمريكان ذوو آراء طيبة عن (و.م.م)، بينما مقتها ٢٤٪ معظمهم من خريجي الجامعات وذوي الدخل المرتفع، ولم يبد ١٤٪ رأيهم في الموضوع. وببساطة فإن جهلك بما يفعله الآخرون يأتي بردود أفعال سلبية. وذكر (روبرت .ر. سيمونس) الضابط السابق في (و.م.م) والممثل الحالي لولاية كينتاكي: «يتمتع الشعب الأمريكي عامة بالصراحة خاصة مع أحسن الأمور، لذا يبدو الشيء السري قبيحاً لديهم. إننا كبلد ينشد له أن يكون كمدينة على رابية ليرى منها الجميع، فأسلمت أن أي شيء سري لا يمكن له أن يحفل بالطابع الأخلاقي والقانوني».

يجب أن يـرغب ضباط (و. م. م) في انتهـاك قوانين الـدول الأخرى والكـذب. يقول ديفيد. د. ويـل: «لم أكترث قط لانتهاك قوانين الدول الأخرى لأنـه شطر من عملي. إن العملاء الأجانب ينتهكون يوميـاً قوانين أمريكا، لذا فإن من الضروري أن نجمع المعلـومـات بهذه الطريقـة. إننـا في فـاقة للمعلـومـات السريـة كي تتماشى مع المعلـومـات التي نجهلهـا. ومن الضروري جداً لنـا أن نستـوعب الموقف في الـدول الأخرى: حـافز الناس، البـاعث لعمل الأشياء، نـواياهم، وليس من اليسير تحقيق ذلك بوسائل قانونية واضحة. وهذا ليس كل القصة ولكن مقوّم مهم منها».

ويستطـرد ويل: «إننا لا نحسبهـا كـذبة حيـة، بل نحن نعتقـد أنها شيء مهم. عليك أن تصون هـويتك لتبقى فعالاً، ومن الضروري أن يتعـاون معك الآخرون في حماية هويتك. إن الأمر كما لو أنك شخص مختلف الى درجة ما عن حقيقتك.».

ويراود كثير من الناس الإعتقاد أن مديرية العمليات تتجسس فقط على الأهداف المعاديـة كالإتحاد السـوفياتي السابق. وعنـدما وضعت الحرب البـاردة أوزارها شرع عشرات المعلقين في الإستفسار عن غـرض الوكـالة الحالي، غير مـدركين أن الوكـالة حتى في أوج الحرب الباردة لم تكـرس لقضية الإتحاد السـوفياتي والكتلـة الشرقية غير نسبة مئوية تتراوح بين (١٠-١٢)٪ من ميزانيتها (ولا تشمل هذه النسبة تطوير الأقمار الصناعيـة والأنظمة التكنـولوجيـة). والشيء المهم الآخـر هو أن المعلقين قـد أغفلوا حقيقة حـاسمة عن (و. م. م)، وهي أنها تتجسس في الـدول الصديقة والمعـادية على حد سواء. وحسب سياسة الوكالة فإن ضابط العمليات يقوم بالتجسس في أي بلد في العالم مـا خلا بريطـانيا العظمى واستراليا وكنـدا. وتعتقد الـوكالة أن ليس ثمـة دولة صديقة تماماً، فأي دولة قد تغدو خصماً للولايات المتحدة ومصالحها، أو أن لها ضمن البلـد مبـادىء تتعـارض مع الـولايـات المتحـدة. فمثـلاً انهمكت فـرنسـا في سرقـة التكنولـوجيا الأمريكيـة من الفروع الأوروبية لشركـات معينة مثل (IBM) ومعدات

تكساس (Texas Instruments). وبلغ بهم الأمر أن يدخلوا عنوة الى غرف (في فنادق) رجال الأعمال الأمريكان في باريس لاستنساخ وثائق الشركات.

أما إسرائيل، أقرب حلفاء الولايات المتحدة، فقد جندت (جوناثان. ج. بولارد) للحصول على وثائق مصنفة بقدر مساحة الغرفة وتخص الدولة اليهودية. كما يقدم العراق، الذي ساعدته الولايات المتحدة خلال حربه مع ايران، برهاناً آخر للتهديد الذي تكنه تلك الدول ضد المصالح الأمريكية، عندما طالب بالسيطرة على أكثر من نصف مورد النفط العالمي، الأمر الذي يوضح حاجة (و. م. م) لمعرفة ما يحصل في كل بلد.

وذكر ضابط عمليات سابق: «للدول الأخرى أولوياتها ونظرتها الخاصة عن العالم، وهي في الغالب لا تتطابق وآراءنا». لقد نقل هذا الضابط عن (شارلس ديغول) قوله: «الدولة التي تستحق الاسم ليس لها أصدقاء -مجرد مصالح.».

وقال ضابط سابق في الوكالة: «التجسس غير مشروع في العديد من الأماكن أساساً، لذا عليك أن تنتهك القانون طالما أنه ليس بخاصة قانونك... وعندما أجند مواطناً من ذلك البلد فإنه يوافق على فكرة أنه سينتهك قوانينه»!!.

وذكر ضابط سابق: «إنك تسعى لمعلومات مصنفة أو تنتقم من وزير... شيء واحد لك أن لا تفعله: لا تخشى القوانين المحلية في أيما بلد كنت، لأنك تعجز عن العمل إذا فعلت ذلك. ونحن ندرج ضمن جدول رواتب (و. م. م) أسماء موظفين حكوميين في كل بلد من بلدان العالم عدا تلك البلدان التي لا نكترث لأمرها».

وذكر توماس بولنار الرئيس السابق لمحطة (و. م. م) في سايكون في مكسيكو سيتي وفي بيونس آيريس والمستشار السابق للجنة المخابرات الإنتقائية الخاصة بمجلس الشيوخ: «على (و. م. م) أن تنتهك قوانين أية دولة، وفي كل دولة من هذه

الدول ثمة قوانين ضد التجسس والتآمر، وإن عملنا هو الإنخراط في مؤامرة ما للحصول على الأسرار التي تحتفظ بها الدول الأجنبية. ويتحقق هذا الأمر من خلال الإدعاءات الكاذبة وتشجيع الخيانة. وفي الحقيقة فإنك تحوك المؤامرة بقصد سرقة شيء ما... وإذا كنت ضابطاً تتمتع بستار ديبلوماسي فإنك محمي. وليس كذلك العملاء المحليون الذين يلقى القبض عليهم».

وتتراوح أنماط الجرائم التي يرتكبها ضباط (و. م. م) في الخارج من دفع الأموال لموظف شركة الهواتف المحلية كي يسلم تسجيلات المكالمات بعيدة المسافة، الى عملية اقتحام السفارة لسرقة الشيفرات الخاصة باتصالاتها. وتحافظ الوكالة ،بشكل جد متستر، على حقيقة تجسسها في الدول الصديقة. وغالباً ما نجح ضباط الوكالة في مهامهم دون القبض عليهم الذي حتى وإن وقع فإنه ينتهي عادة بصيغة حل سلمي دونما عقوبة. قد يبعد الضابط تماماً، وترسل شكوى الى وزارة الخارجية، وفي الغالب يتحرج البلدان من عمل أي شيء.

ويقول بولنار: «عليك أن تتمتع عادة باتفاق الرجل المؤدب، فأنت تؤدي هذا الأمر لنا ونحن نؤديه لك، وإذا ما صادفنا حادث عملي فإننا نحسمه بأسلوب أخوي دونما يتضرر أحد أبلغ الضرر».

وقال عضو سابق في هيئة مجلس الأمن الوطني: «عندما ينتهكون قوانين دولة صديقة، ينبغي على الدوام أن يحققوا هذا الأمر بشكل واقعي». وقال ضابط سابق في (و. م. م) عند وصفه إجراءات معالجة مثل هذا الحادث: «هل يعني هذا الاسم بعض الشيء؟ اوه.. نحن لدينا أسبابنا لنؤمن... بالطبع ستعود على أعقابك... نحن نعلم أنك لا تريد... بالطبع لا».

إن أحد أهداف (و. م. م) في الدول الصديقة هو معرفة مدى قدراتها في تطوير

الأسلحة النوية والكيماوية والبيولوجية. وتمتلك اليوم قرابة أربعين دولة هذه الأسلحة او تحاول تطويرها، وإذا ما علمت الوكالة أن بلداً ما منهمك في مثل هذا البرنامج فإنها ستشرع في الضغوط الديبلوماسية والإقتصادية للحيلولة دون ذلك.

وتعتمد درجة الإهتمام الذي تحظى به هذه الدولة او تلك من لدن (و. م. م) على أهميتها وتوجهات حكومتها الحالية. فالدول الافريقية والإسكندنافية لم تنل من الإهتمام إلا النزر اليسير، وهي تعتبر فرنسا، المعارض الدائم لسياسات الولايات المتحدة، واليابان، المنافس الإقتصادي القوي، هدفين لها. وتحظى إسرائيل ببعض الإهتمام، فقد عقد (جيمس انكلتون) بعد إدارته برنامج المخابرات المضادة الخاصة بـ(و. م. م) عدة علاقات مع المخابرات الإسرائيلية، وتحدد بعدها التجسس في إسرائيل.

يقول ضابط عمليات سابق: «من الملائم تجنيد الإسرائيليين وعلى نحو أكبر الضباط العسكريين الأمر الذي يعني دفع الأموال لهم. لقد بدأنا هذا الأمر بحذر بعد انكلتون». والباعث على ذلك هو رغبة (و. م. م) لمعرفة أن إسرائيل لا تتخذ خطوات قد تدفع الولايات المتحدة الى شفير الحرب.

وبالإضافة لتطويع عميل رئيس بمعلومات ما، فإن أعظم نجاح يحققه ضابط العمليات هو في اختراق وسائل الإتصال لبلد ما من خلال الدخول الى السفارة او الحصول على شيفرات إتصالاتها. وهذه عادة جهود فريق كامل ينال أغلب أعضائه الإستحسانات.

إن النجاحات السوفياتية في اختراق الإتصالات الأمريكية قد أُعلن عنها بشكل واضح: التسلل الى السفارات الأمريكية القديمة والحديثة في موسكو، وتجنيد (جون. أ. وولكر) ضابط صف البحرية السابق الذي قدم للروس شيفرات لتصنيف

الإتصالات البحرية. ولكن ماذا عن نجاحات (و. م. م)؟. كان ثمة الكثير منها وقد أحاطت السرية بأغلبها. لقد تجسست الوكالة، بمرور السنوات، وحصلت على العديد من شيفرات السفارات الروسية والكتلة الشرقية وشفرات الدول الأخرى. وعندما يتطلب الأمر تعاوناً تتبدد كل الخصومات بين الإدارات ويبدأون بالعمل كخلية نحل واحدة.

وذكر ضابط سابق في الوكالة سبق له أن قدم عوناً تكنولوجياً لهذه الأعمال: «كان الهدف هو التسلل الى كل السفارات الخاصة بالدول المعادية. عليك أن تحقق هذا الأمر ولما تشيّد بناياتها، وإذا تعذر اختراق السفارة إلكترونياً فإن أفضل خطوة لاحقة هي تجنيد شخص ما -عمال تنظيف او أي شخص- ليأتوك بالمواد من السفارة. ستكون عملية اقتحام السفارة عملاً أحمق، وإذا ما خلعت خزانة وانفضح أمرك فإنهم يتأهبون. إن عليك أن تجد شخصاً يستطيع الوصول لها ليخرج منها كل يوم، وهكذا تمضي الحياة». لقد علمت (و. م. م) بفضل اختراقها لهذه الإتصالات بالمبادرات الديبلوماسية قبل تقديمها، وبخطط ضباط (KGB) وبهويات الأمريكان الذين يعملون لصالحها.

ويدير عادة عملية التسلل الى السفارة المحلية رئيس محطة محلية. وتقدم دائرة الخدمات التكنولوجية التابعة لمديرية العلوم والتكنولوجيا أجهزة التسلل والمعدات التقنية الأخرى المطلوبة لإنجاز هذا العمل، إنها أدوات تجارة التجسس. فمثلاً قد تدخل (و. م. م) الى السفارة وتصور الأوراق الرئيسية التي تستخدم كل يوم لحل شفرة الرسائل السرية. عندئذ ستتولى دائرة الخدمات التكنولوجية مهمة توفير آلات التصوير ومعدات فتح الأقفال ومعدات نصب أجهزة التنصت. بيد أن العنصرين الأهم من المهارة الفنية لعملية كهذه هما الشجاعة والحيلة، وكلاهما تجلى عندما اخترقت (و. م. م) بعثة الصين الشيوعية.

الفصل الثاني

البكيني

عنـدما قـرر الشيـوعيون الصينيـون والروس فتح بعثـات جـديدة لهم في آسيـا، أناطت إدارة العمليات بـ(هاورد. ت. بين) مهمة التسلل الى المكتبين الجديدين. إن بين؛ بقدر ما يتصوره المرء؛ لصورة أصيلـة من الإيفي ليج المطرود. يبلغ طوله خمسة أقدام ويـزن ١٧٢ رطلاً وذو بشرة متوردة وصـوت أجش. إن مزاجه أسطـوري فهو يمضغ التبغ ويـدخن السجـائر. التحق بين بجـامعة جـورج واشنطن ثم فصل منهـا فمضى الى كلية أدنى ليحظى بتحصيلـه. تخرج في النهاية من جامعـة جورج واشنطن بدرجة في العلاقات الدولية والحكومية.

يتمتع بين بعقلية عملية ثـاقبة، الأمر الذي يعني بلغة المخابـرات جاسوس طيب المظهر. فلديه ذكاؤه وخياله وحاسته المشتركة والقدرة على تنبأ المشاكل وحلها والمضي الى العمل التالي. إنه يقتنص الفرص عندما تسنح ويخلقها عندما تقتضي الحاجة اليها. لقد استحق بسبب مآثره البطولية وسام المخابرات المميز لـ(و. م. م).

لم يتوان بين في الإلتحاق بـوكالة المخابرات المركـزية شأنه في ذلك شأن الكثير من الضباط الـذين التحقوا بالحرب الكوريـة. لقد كان غطـاساً في البحرية فـاعتبره أحد مجنـدي (و. م. م) ذا خلفية نـافعـة للعمل في الحرب. بدأ عملـه عـام ١٩٥٠ موظفـاً لإضبارات (G5-5)، فأرسلته الـوكالـة بعيد ذلك الى كـوريا كضـابط عمليات تحت ستار الجيـش. أدار هناك عمليات كـان الهدف منها إنقـاذ الطيارين الـذين تسقط بهم طائراتهم.

خـدم بين في الهند وبـانكوك وكـان رئيس محطة غـانا وكينيـا وأمستردام. أصبح بعدها رئيساً لعمليات أفريقيا ومساعداً خاصاً لنائب مدير عمليات (و. م. م)، وغدا في نهاية المطاف رئيس قسم مكافحة الإرهاب.

ليس كل ضبـاط الوكـالة حـاذقين في عمليات التسلل، وهـذا الأمر يسلخ وقتـاً عظيماً لتخطيط العملية التي تكون محفوفة بـأهول المخاوف وقد تأتي في بعض الأحيان بنتائج سيئة. وفي إحدى المحاولات السيئـة لزرع جهاز تنصت في سفارة إحدى دول جنوبي آسيـا، حظيت الوكالـة بزقزقـة العصافير لا غير. فلم تجد نفعاً النقـاط الهاتفية التي تم نصبها بمـواجهة أجهزة التنصت المصممة لالتقاط الأصـوات داخل الغرف. وغالباً مـا ساعدت أجهزة المخـابرات المحلية وكالـة المخابرات المركزيـة في زرع نقاط توصيل كهربائية لسرقة المكالمات الهاتفية، وهي تعطيك فكرة للنشاط اليومي الخاص بضباط المخابرات المناوئة او فكـرة عن اولئك الضباط الممكن تجنيدهم لصالحك. بيد أنها نـادراً مـــا قـــدمت الكثير من المعلـــومـــات التي تكشف أسرارهـــا. ويجنح الروس، بشكل خاص؛ الى قلة الكلام على النقيض من زوجاتهم.

تستهلك الأشرطة بمسـاعدة أجهزة التنصت والوصـلات وقتاً للكتابة بـالرموز الصوتية. وغـالباً ما يعطيك المترجم الموجود في ذلك الموقـع تقييماً سريعاً لما قيل، بيد أن أشرطـة التسجيل ترسـل الى واشنطن لتحويلهـا الى رمـوز كتابيـة. ومع كل هـذه المتاعب فإن جهـاز التنصت إذا ما زرع في موقعه الصحيح ،العمليـة التي تعرف بلغة (و. م. م) بالعملية الصوتية او الإختراق التقني، سيفعل العجائب لتعرف (و. م. م) ما يصبو إليه الطرف الآخر تماماً.

وعنـدمـا استقر بين في واشنطن، وافـق على التسلل الى البعثات الجديـدة. كـان مفتاح العملية هـو تحديد ،سلفاً، أي البنايات الحالية التي يـروم الصينيون او الروس استئجـارهـا او شراؤهـا، ومن ثم يحاول بين التسلـل اليهـا قبل أن يستـوطنهـا

الديبلومـاسيون. تمكن بين ، عند ادعائه أنـه موظف إداري في وزارة الخارجية يبحث عن مكان لمستشاريـة الولايات المتحدة، من الإتيان بقـائمة تضم عشرات الأبنية التي يمكن أن تثير اهتمام الصينيين والـروس. وإبـان ذلك دبـــر عمليـة (زراعـة سريعـة) -تنصت مؤقت بسيط التنفيـذ- للمضي الى غرف الفنـادق التي يمكن أن يمكث فيها المسؤولون الصينيـون والروس، ولما يبحثوا عن مقرات لهم. كـان بين متيقناً أنه بهذه الطريقة سيسمعهم يتحدثون عن نواياهم.

أدرك بين أن الـديبلـومـاسيين سيمكثـون في أحـد الفنـادق الخمسـة الكبيرة في المدينة* . لقد مكث هو وضابط من الخدمات التقنية في كل هذه الفنادق وانتظرا ريثما تركت الخادمـات المفاتيح الرئيسية لغـرف الضيوف. رسم هذان الرجـلان صورة في أذهانهم للمفـاتيح، وأعلما مكتب (و. م. م) للخدمـات التقنية في موقعـه في اوروبا. ومن ثم قام الضباط التقنيون بتصميم مفتاحاً رئيسياً لكل هذه الفنادق الخمسة.

تسلل بين باستخدامه المفاتيح الى غرف الضيوف، وأعان نفسه في بلوغ المصابيح الخاصة بهذه الفنادق. أرسلت هذه المصابيح الى المكتب في اوروبا حيث صممت نسخ مطابقـة منها ذات أجهزة إرسال في داخلهـا. وعندما نـزل الديبلوماسيـون الصينيون والروس في أحد هذه الفنادق، استبدل بين المصابيح الخاصة بالغرف ووضع العينات المنصّته. بيد أن هذا لم يؤت ثماره، فقد تمكن من الإستماع الى أحاديثهم ولم يتطرقوا قط لمسألة تحديـد المكان الـذي سيعينوه لبعثـاتهم الجديدة. وإبان ذلك الـوقت اتصل بين بسمســار حقيقي للعقـارات المحليـة اشتمل عملـه على تأجير بنـايـات مكـاتب الديبلوماسيين، وأسرّه بين بأمره ووافق على الدفع لـه مقابل المعلومات. وهكذا غدا هذا الرجل عميلاً لـ(و. م. م).

قرر بين أيضـاً ،وعندما خـاب هذا الأمر، التسلل الى بيت أحـد ضباط (KGB)

*لا يورد هنا اسم مدينة او تاريخ التسلل، لأن هذا الأمر يعرض للشبهة الناس الذين أعانوا الجهد.

الذي قدم الى المدينة مدعياً أنه صحفي جريدة البرافدا. أمضى هذا الرجل أغلب وقته في مساعدة الديبلوماسيين الروس في ايجاد مكان ملائم.

وعندما برح ضابط الـ(KGB) منزله، تسلل الضابط الفني لـ(و.م.م) بسرية الى بيته ونقش نموذجاً لطلاء حائط غرفة المعيشة. عاد الضابط الفني كرة أخرى الى المنزل وزرع جهاز إرسال في الحائط. لقد استخدم لكتم صوت الحفر "ثاقب أخرس" وهو جهاز طورته (و.م.م) لكتم صوت الحفر بواسطة رشاش ماء صغير.

ربط ضابط (و.م.م) جهاز التنصت الى نقطة كهربائية في الحائط، لذا فإنها تستقبل قوتها الكهربائية من تيار المنزل. وبعد أن نصب الجهاز ردم الحفرة في الحائط وصبغها بطريقة تماثل تماماً لون الغرفة. أُحدث ثقب بعد طلاء الحائط كي ينقل الصوت الى مذياع جهاز الإرسال الذي يرسل إشارته الى نقطة إنصات قريبة. لقد ذعر بين لفشل الأمر، عندما بوشر به، لأن ضابط الـ(KGB) كان من دأبه أن يتم عمله خارج البيت.

قبل زرع اي جهاز تنصت لا بد من الحصول على موافقة المقر الرئيس لـ(و.م.م) على الخطة. تقرر الوكالة في بعض الأحيان أن هذا الأمر محفوف بأشق المخاطر وتصوت للفكرة. وهي تحكم أيضاً على درجة التطور لجهاز التنصت الذي يعتمد غالباً على أهمية العملية وحساسيتها. فكلما كانت المهمة أكثر أهمية توجب استخدام أكثر الأجهزة تطوراً.

لقد تمكن بين، بمساعدة عميل العقارات المحلية المدروج الآن ضمن رواتب (و.م.م)، من تقرير البنايتين اللتين من المرجح أن يسكنهما الروس والصينيون. كانت إحداها والتي يمتلكها شخص آسيوي مؤلفة من خمس عشرة غرفة، وكانت الأخرى بناية لمكتب مجاور لملعب الغولف.

قرر بين أن ينسل الى كلا البنايتين. كان وكيـل العقارات الحقيقية الذي جنده بين يعمل ،إبان ذلك الوقت، مع الصينيين والروس كل يـوم تقريباً لإيجاد مكان. أعلمه بين أن عليه أن يحثهم الى هذين الموقعين.

نظم بين طـريقـة للقـاء ابن مـالك البيت من خـلال وسيط يعـرّف أحـدهما على الآخر. تفقه بين أن هذا الرجل يعشق المطاعم الفخمـة، لذا دعاه هو وزوجته لقضاء أمسية في أحدهـا. وبعد أن انتظمت صداقتهم عـرّف هذا الرجل بين بوالـده ووالدته مالكي البيت، فبدأ بين باستمالتهم ودعوتهم الى تناول الطعام أيضاً. أيدت (و.م.م) اقتراح بين في نصب أجهزة تنصت داخل البيت المؤلف من خمس عشرة غـرفة ولكنها أنـاطت بالإنجليـز مهمة التنصت على بنـاية المكتـب. فمالك البنايـة شركة بـريطانيـة ووجدت (و.م.م) أن (MI-6) ستكون في موضـع أفضل منها لأداء المهمة.

وفي تلك الفترة جنـد بين ابن مـالك المنـزل كعميل وأنقده ألف دولار كمقـدمـة للعمل. كـان هذا العميل متأهبـاً لفعل أي شيء يعتقـده نجاحـاً مهماً للوكـالة، وقـد أعلمه بين أن يخبر والده أن له [أي لبين] صديق يعمل مـديراً لإنتاج الأفلام الإيطالية وهو بحاجة الى استئجار مكان فترة اسبـوع لإعداد السـيناريو وإسكان اثنين من نجوم السينما معه في المنـزل. عرض بين أنـه سيتحمل أجرة إقامـة الوالـدين في الفندق فترة الأسبوع وخمسة آلاف دولار كايجار للبناية.

أعلم بين ،بمجـرد أن نقل الرجل العـرض لـوالديـه، ضباط مكتب الخدمـات التقنيـة في اوروبـا وأرسل لهم صـوراً لـدواخـل البيت فتم تعيين سبعـةً من الضبـاط [الفنيين] لهذه المهمة.

قبل أصحاب المنزل العرض وبمجرد أن غادروا المنزل دخل اليه ضباط الوكالة. استبدل بين قـاعدة المفتـاح الموجودة في البوابـة الخارجية بأخـرى مشابهة لها من صنع

(و . م . م). كما اتفق بين مع عميل العقـارات على شيفـرة معينـة وهـي أن يتصل بـه هاتفياً ويخبره بعبارة اتفقا عليها مسبقاً اذا ما جاء اي شخص للإطلاع على المنزل. هتا أراد الصينيـون زيـارة المنزل وقبل أن يغـادره ضبـاط الـوكالـة، فـاتصل العميل ببين وأعطاه الإشارة المتفق عليها، فأخبره بين، وقد تسلـل اليه الرعب، ألا يدع أياً منهم يدخل المنزل.

توجه الصينيون بسيارة الليمـوزين الى المنزل. حاول العميل أن يفتح قفل البوابة الخارجية بـالمفتاح الموجـود لديـه لكنه فشل، فتـوجب على الصينيين العـودة في اليوم التالي.

أفلح ضباط الـوكالة بعـد جهد دؤوب استمـر طيلة أسبوع في زرع كـامل المنزل بالمرسـلات الصوتية التي كانت تبعـث إشاراتها الى موقع تنصت يبعد حـوالي ثلاثمائة متر. كانت بعض أجهـزة التنصت تعمل مع التيار الكهربائي للمنـزل وبعضها الآخر يعمل ببطاريات طويلة الأمد، ويتم تشغيلها أوإغلاقها عن بعد للمحافظة على مصدر الطاقة لها، وأكثر من ذلك لإلغائها إن تحتم الأمر.

وليضيف بعضاً من المصداقية الى القصة المزيفة، ترك بين أزرار قطعتين من لباس البكيني في خزانة الملابس كدليل على أن نجوم السينما الايطالية قد سكنوا الدار.

وافق الصينيون على استئجـار المنزل بعد أن قـاموا بـاستطلاعه في نهايـة المطاف، بينما استأجر السـوفييت بناية المكتب. وعلى هذا كان عمل الإنجليز في عملية التنصت جد قصير. فقد فشلت عملية التنصت وذهبت معها الجهود أدراج الرياح.

أقام بين مـوقع تنصت على بعد مائة وخمسين متراً من بنايـة الصينيين الشيوعيين، ونجحت الوكـالة على مدى السنـوات التالية (حتى استأجر الصينيـون موقعاً جـديداً لهم) في التنصت على جميع محادثات البعثة الصينية بضمنهـا تلك المحادثات التي جرت

في غرفة الشيفرة.

كانت المعلومات كنزاً لا يضاهيه ثمن لوكالة المخابرات المركزية، فالصينيون وخلافاً عن السوفييت، قد آثروا أن تشاطرهم سفاراتهم جميع استراتيجياتهم. وعليه بات بوسع الوكالة أن تعلم مسبقاً بالخطط والمقترحات الديبلوماسية للحكومة الصينية الشيوعية وكذلك في علاقات الصينيين مع الموظفين المحليين ومع السوفييت.

ذلك هو نوع النجاح الذي أثار ضباط العمليات في (و.م.م) ومنحهم وسام الإستحقاق -إنه النجاح الذي بقي مخفياً دوماً- وهو أحد الأسباب التي حدت بضباط الوكالة أن يرددوا عبارة: «لقد أشاعوا عنا فشلنا وأخفوا نجاحاتنا».

وإذا كان هناك من نجاح يستحق الثناء عليه أكثر من نجاح التنصت على موقع ديبلوماسي حساس، فهو تجنيد مسؤول كبير او ضابط استخبارات يرغب في الإستمرار بالعمل لصالح بلده. وهو أمر أعطى الوكالة قدرة على توجيه العميل ليحصل على معلومات طبقاً لحاجة (و.م.م) اليها. وعليه لم يعد أمام الوكالة من مهمة حساسة، نظراً لصعوبة تجنيد موظف عالي المسؤولية داخل الكرملين، سوى تجنيد ضابط من وكالة المخابرات الروسية يعمل داخل السفارة السوفياتية في واشنطن.

الفصل الثالث

المغازلة

لم تكن بناية المكتب ، المشيدة من الحجر البني والواقعة في ٦٥٥١ ساحة لويسدل في سبرنك فيلد-فرجينيا ، بذلك النوع من الأبنية التي سيستخدمها (جيمس بوند) مقراً رئيساً له. فهي النموذج البسيط جداً من البناء بشبابيكها العمودية الصغيرة ورواقها المزين بسجاد ثخين ذي لون أزرق قاتم وأبواب رخيصة مصنوعة من الخشب الوردي. ولم تكن البناية المعروفة باسم (سبرنك مال) أكثر جلاءً من هذا الوصف أو أقل منه جاذبية. وذاك هو مربط الفرس، فمن تلك البناية جندت وكالة المخابرات المركزية ومعها مكتب التحقيقات الفدرالي أول ضابط مخابرات روسي داخل السفارة الروسية في واشنطن.

ربما لا تتمتع الوكالة ، حسب ميثاقها، بسلطة القانون أو صلاحيات الشرطة او أن تتولى وظائف أمنية في الداخل. وهذا الأمر لا يعني أنها لا تتمكن من العمل ضمن نطاق الولايات المتحدة، أذ يجب أن يكون لها ،لكي تؤدي أحسن أعمالها، مقرات في الداخل وتدرب الناس في هذا البلد. ولا ينص ميثاق الوكالة على عدم التوسع في جمع المعلومات داخل البلاد، فتاريخ التشريع يوضح أن الوكالة قد تضطلع بمهمة جمع المعلومات داخل الولايات المتحدة لأن الهدف أجنبي. وهذا المفهوم دوّنه نظام التنفيذ ١٢٣٣٣ الذي وقع عليه الرئيس ريغان في الرابع من كانون أول عام ١٩٨١ . ينص القانون أن (و . م . م) يمكن أن تضطلع بمهام داخلية لجمع معلومات أجنبية "مهمة" طالما أن العمل لا ينطوي على تجسس لنشاطات الأمريكان في الداخل.

وتوضح لوائح الوكالة الداخلية -المصنفة أكثرها- هذا الأمر كثيراً. وتفصح أن ضابط (و.م.م) إذا ما رام تجنيد مواطن أمريكي او أن يستعين بمعونة شركة أمريكية، عليه أن يكشف هوية أنه ضابط مخابرات.

عملت (و.م.م) داخل الولايات المتحدة مستعينةً، على مدى السنوات، بما كان يسمى (شعبة الموارد الأجنبية) التابعة لمديرية العمليات، على تجنيد الزوار الأجانب القادمين الى البلاد او ديبلوماسيي الدول الأخرى او العلماء الزائرين. وأكبر عدد لهؤلاء المجندين الذين غدوا عملاء او جواسيس لصالح الوكالة كانوا من الكوادر العسكرية التي تتدرب في الولايات المتحدة، ويواصلون العمل لصالح الوكالة عندما يعودون الى أوطانهم. ويمكن أن يكتبوا، ولما يأت الأمر بمنفعة لهم، عن أهداف أجنبية ذات فائدة -مثلاً ما يجري داخل سفارة الصين الشيوعية في واشنطن- في الوقت الذي يتواجدون فيه داخل الولايات المتحدة.

إن وجود شعبة الموارد الأجنبية بالذات -التي تدعى الآن فرعاً ضمن شعبة الموارد الداخلية الجديدة- لهو سرّ محاط بكتمان شديد. كانت الإشارة، عادةً، في الصحف لعمليات الوكالة في الداخل بما كان يعرف بالقسم القومي لجمع المعلومات، أما الآن فهي فرع ضمن شعبة الموارد الداخلية. وهذا القسم، التابع أيضاً الى مديرية العمليات، يعمل بشكل علني ويطلب من الأمريكان الذين يسافرون الى الخارج كتابة التقارير عما يشاهدوه هناك. وهكذا حصلت دائرة جمع المعلومات الداخلية، إبان حرب الخليج، على خطط لأهداف العراق بالاستعانة بالأمريكان ورجال الأعمال الذين ساعدوا بتشييدها.

إن هذين القسمين -القسم القومي لجمع المعلومات وقسم الموارد الأجنبية- يعيلان مكاتب مستقلة في مدن كبيرة داخل البلاد ويعملان تحت ستار تجاري. هذا الأمر يعني أن المكاتب توهم المقابل بأنها شركات خاصة. فمثلاً كان مكتب الموارد

الأجنبيـة لمنطقة واشنطن معـروفـاً ،في فترة الثمانينـات، كشركة استشـاريـة في بنايـة الحقوق الجوية في شارع ٧١٠١ وسكونسن في بيثزدا في ميريلاند. ويتولى الإنفاق على مكاتب هـذه البناية ،التي يحجبهـا الزجـاج الأصفر اللون، مـدير المحطة ومسـاعده ومـوظف اتصـال. وعـلاوة على ذلك فإن ثـلاثـة مكـاتب مجاورة ،تتستر بغطـاء الشركات، تجنـد الناس من الكتلة السـوفيتية وشرقي آسيـا والعالم الثالث. لقـد جُنّد محام للعمل كمسؤول كبير لهذه الشركات.

لكل ضابط في الـوكالـة في مكتب واشنطن ثلاثة أسماء مستعـارة لتوجيـه عمله، أحـدها خـاص برجل أعمال والآخـر بمـوظف حكومي عـادي والثالث لمسـؤول في (و.م.م). ولا يجوز بتـاتـاً عقـد الإجتماعـات داخل المكتب، وكبـديل لـذلك رتب ضباط الوكالة اللقاء بوسطاء على الغداء او في أماكن اجتماعية أخرى.

تعيل (و.م.م) محطتي (FR) بالإضافة لتلك الموجـودة في واشنطن. كانت هذه المحطات تعرف سابقـاً بقواعد، وتقع في مدن كبوستن ونيويـورك وشيكاغو وشارع لويس، هيوستن، ميامي، سان فرانسيسكـو، لوس أنجلوس وسياتل. وتوجد أكبر محطتين في واشنطن وتضم ثـلاثين ضـابطـاً، والأخـرى في نيـويـورك وتضم أربعين ضابطاً. ويضم قسـم الموارد الداخلية مكاتب أكثر وكـادر أعظم، ويعمل برغم ذلك تحت ستـار تجاري في نمط أكثر وضـوحاً. ويطلب ضبـاط الـوكالـة ،بعد التعـريف بهويـاتهم، من رجـال الأعمال الأمريكـان والأسـاتذة الجامعيين نقل المعلـومـات من خلال أسفارهم.

وعلى النقيض من ذلك، يجنـد قسم الموارد الأجنبيـة الأجـانب عمـلاءً لـه او جواسيس. ولكل محطـة ،عند تقريـر هوية الأجـانب المراد تجنيدهم، قائمـة بالعمل تتراوح حسب أهمية كل بلد هدف لها من الواحـد الى الخمسة. وكان الروس ،عادة، الرقم الأول وما زالوا كذلك ضمن (FR). وعندما وضعت الحرب الباردة أوزارها،

غدا الصينيـون واليابانيـون والكوبيون في صـدارة الأهمية للعديـد من المواقع الخاصة ببلاد ما وراء البحار .

يمضي ضبـاط (و . م . م) في مكتب الموارد الأجنبيـة (FR) عند تجنيـد الناس الى أماكن الإستقبـال والحفلات التي قد يحضرها الـديبلوماسيون الأجـانب ، ويشرعون بأحاديث معهم يحاولون من خلالها تقدير نسبة شكوكيتهم بتظاهر هؤلاء الضباط أنهم موظفون في شركات خاصة ، ويدعونهم الى وجبات غداء او عشاء . وفي نهاية المطاف يخطـون خطوتهم ويعـرضـون عليهم راتباً ثـابتـاً اذا مـا وافقوا على التجسس لصـالح الولايات المتحدة . يتحـدد مقدار الراتب بمركز الشخص المجند وبلـده ، ومثالياً فإنه بضع مئـات من الـدولارات . ونـادراً مـا كـان المال حـافـزاً للـروس او الشيـوعيين الصينيين ، فهم يوافقون على التجسس لأسباب عقيدية او لاختلافات مع مدرائهم .

تجند (FR)كل سنـة مائتين الى ثـلاثمائة عميل او جـاسوس للـوكـالة . وبمـرور السنوات جنـدت التشيك والهنغاريين والبولنـديين وديبلومـاسيي الكتلة السوفيـاتية الآخرين جواسيساً لها .

وإبان مستهل الثمانينات قبل قرابة نصف المجندين المال والتدريب ثم اختفوا حال عـودتهم للوطن . ومع ذلـك لما يزل ضبـاط القضـايا ومـديـري المحطات يستلمـون اعتمادات طلب التجنيد . وقال ضابط عمليات سابق : «ما الذي يحصل ·· إن ضباط (FR) يجنـدون هؤلاء الأفـراد ، ويعـودون الى بـلادهم فلا تجدهـم المحطة المحليـة . يضربـون مـوعـداً لهم في الخميس الثـالـث من الشهـر ولكنهم لا يحضرون ، وإذا مـا حضروا رفضوا التعاون . » .

أعدت (و . م . م) لتحسين الأداء نظاماً جديداً وأصبح ساري المفعول . ليس ثمة اعتمادات للمجند ريثما يأتي بمعلـومات نـافعة او أن يتعـاون لفترة طويلة مـن الزمن .

وإذا ما لاحت حقيقة تجنيد (و.م.م) جواسيس لها داخل الولايات المتحدة أمراً مدهشاً، فإن أعظم الدهشة هو في تعاون فريقها مع مكتب التحقيقات الفدرالية. كان مكتب التحقيقات في الفترة الطويلة لإدارة (ج. ايدكار هوفر)، على خلافات متكررة مع (و.م.م). ومنع هوفر ،أحد المرات، عملاء مكتب التحقيقات من الإتصال بالوكالة مجبراً إياهم على لقاء ضباطها بشكل سري.

تغير هذا الأمر بشكل جذري عندما تولى (وليم .ه. وبستر) إدارة مكتب التحقيقات خلفاً لـ(م. كيلي). أعدت الوكالتان في عام ١٩٨٠ عملية سرية مشتركة لتجنيد الجواسيس الروس في واشنطن -العملية التي لم تجول يوماً في عهد هوفر. أخذت العملية شكل تكوين (زمرة) داخل مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) في واشنطن، وكانت من بنات أفكار (جورج كالاريس) الذي كان رئيساً لقسم الاستخبارات المضادة التابع لـ(و.م.م) و (جيمس نولان) الذي شغل منصب مساعد نائب مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي لشؤون الاستخبارات المضادة. لقد مثلت العملية في بعض حيثياتها جهداً مشتركاً للتغلب على العداء التاريخي بين الوكالتين.

كانت الوكالة المركزية بشكل اعتيادي تجند العملاء داخل الولايات المتحدة كي يتجسسوا في الخارج، وكانت مهمة مكتب التحقيقات الفيدرالية ،كجزء من برنامجها الخاص بالاستخبارات المضادة، تطوير العملاء للقيام بتجسس مضاد داخل الولايات المتحدة. بيد أن نولان وكالاريس ،اللذين أصبحا صديقين في مجرى عملهما، قررا أن من المفيد لمعرفة وموارد مكتب التحقيقات الفيدرالية ووكالة المخابرات المركزية أن تجند الروس للعمل لصالحهما ولما يتواجدوا داخل التربة الأمريكية.

خصصت العملية المشتركة ،المسماة شفرياً بالمغازلة، زمرة (CI-11) ضمن دائرة

مكتب التحريات في العاصمة واشنطن. وتضم هذه الزمرة ، بالإضافة للسكرتاريين والضباط الإداريين، تسعة موظفين محترفين -خمسة من عملاء مكتب التحقيقات وأربعة من ضباط الوكالة. ويرأس هذه الزمرة عميل فيدرالي نائبه ضابط من الوكالة المركزية. ولكل ضابط او عميل في هذه الزمرة ثلاثة مناصب مزورة مختلفة. يمكنهم الإدعاء أنهم موظفون لوكالات حكومية أخرى او موظفون في شركات خاصة او ضباط في (و. م. م) او في مكتب التحقيقات بأسماء مستعارة. ولتأكيد قصص التستر كانت لهم بطاقات تأشيرات السفر وجداول الضمان الإجتماعي ورخص سياقة، والتي تحمل جميعها أسماء مزورة. كانت حدود الإعتماد الخاصة بأوراق التأشيرة (١٠٠٠) دولار فقط، ريثما عارضت (FR) هذا الأمر فارتفع الى (٢٠٠٠) دولار.

اتخذ الفريق وحتى وقت قريب مقراً له في بناية تقع في ساحة ليوسيدل -خلف (هلتون إن) - قبالة طريق الخروج ٥٧ على طريق ٩٥ بيولاياتي [خاص بولايتين] في سبرنك فيلد -فرجينيا. لقد تم تأثيث البناية ، وعلى النقيض من مظهرها الخارجي الإسبارطي الطراز وردهتها الداخلية، بالسجاد الشرقي والزجاج الذي يمكن رفعه أثناء الغارات. وفيها يجلس موظف الإستقبال حيث لا يسمح إلا لأعضاء الزمرة في دخول المكاتب الداخلية. عملت زمرة (المغازلة) ، ولما كانت تجند ضابط المخابرات الروسية في السفارة السوفياتية في واشنطن، خارج بناية مكتبها في سبرنك فيلد مستعينة بتوقيع شركة استشارية.

كان الهدف من العملية ، كما يوحي بذلك عنوانها، التودد الى الجواسيس الروس سواءً أكانوا ضباط KGB او GRU (منظمة الاستخبارات العسكرية السوفياتية). وعندما يأتي شخص سوفييتي للعمل في إحدى المؤسسات الروسية داخل الولايات المتحدة للمرة الاولى، تعين زمرة من الاستخبارات المضادة من مكتب التحقيقات الفيدرالي لمراقبته. يدرس مكتب التحقيقات لفترة سنة نشاطاته، ويحدد إن كان هذا

الشخص ضابط استخبارات. وإذا ما تجلى لهم أنـه ضابط استخبارات، شكل المكتب فريق استخبارات مضاد بقصد المراقبة الأدق واحتمالية تجنيده. وتتخصص هذه الفرق العشرين بخدمـات استخبارية خاصـة، وثمة زمرة ضمن كل خدمـة. وحتى إن قرر مكتب التحقيقات أن هذا الشخص ليس بجاسوس، فإنه يعين فريق لمراقبته. وتتسنى لزمـرة المغازلة، حسب القـوانين التي أعدتها الوكـالة المركزيـة ومكتب التحقيقات، الفرصـة الاولى في اصطياد ضبـاط المخابـرات الذين يلـوحون أكثـر قابليـة للتطوع. وعندما تنجح المغازلة في تجنيد هذا الضـابط فإنها تضعه، مرة أخرى، في زمرة ملائمة تابعة لمكتب التحقيقات وعلى أساس انتسابه الى KGBاو GRU.

ولتحديد ضباط KGB الأكثر استعـداداً للتجسس لصالـح الولايـات المتحدة، تستشير زمـرة المغـازلـة علماء نفسيين من الـوكـالـة المركـزيـة ومكتب التحقيقـات وتستعرض معهم كل المعلومات المتيسرة عنه. وكل ضابط يبحث عن إشارات مختلفة يراهـا الأنسب في إمكانية التجنيـد. فالبعض يهتم بـالروس الذين لم يغـادروا بلادهم قط، حَسَني الهنـدام ويلوحون مهتمين بـالمجتمع الأمريكي. ويقسم البعـض أن هذه الأمور ليست بذات صلة لتحديد قابلية الشخص الروسي للتجنيد. وتستهدف الزمرة كقانـون لها، شخصاً دولياً واحداً في فترة معينـة من الزمن، وأذا ما خـابت الجهود في تجنيد هذا الضابط أنسبوا اليه زمرة أخرى من مكتب التحريات واستهدفوا هـم شخصاً آخر.

ولا تستخدم الـزمرة بتاتـاً أساليب الإبتـزاز الصريحة او أشكال القوة. إنـه عهد لمجتمع المخـابرات الأمـريكية أن الإبتـزاز لن يؤتي ثماره. وفي إحـدى المرات سلخت الوكالة أشهراً دونما طائل لتجنيد ضابط من KGB في جنوبي شرق آسيا كان يعتقد أنه شاذ جنسيـاً. ومع ذلك تستخـدم (و. م. م) ضد مجنـدها المحتمل عمليـات التعرض للخديعة تـأخذ شكل حساب مصرفي ذو رصيد عـالٍ او الانهماك في حوادث سيارات

متكررة مع مركبة السفارة في مسعاها للتودد الى العميل المحتمل تعاونه معها.

والمال وسيلة لتجنيد العميل. وقد تلجأ أيضاً الى التسوية مع العملاء الذين تراودهم أفكار أخرى للتعاون. بيد أن المبالغ الطائلة لا تفعل فعلها إذا كان العميل المنوي التعاون معه لا يعاني شكوكاً او أزمات بسبب وضعه.

لقد سعى مكتب التحقيقات في عام ١٩٨٢ الى تجنيد (ديمتري. آي. ياكشكين) رئيس محطة KGB (او المقيم) في واشنطن قبيل أن يغادر الى بلاده بعد جولة طويلة في الولايات المتحدة. خوّل مكتب التحريات، لهذا الأمر، بدفع (٢٠) مليون دولار، وهو مبلغ معقول إذا ما تصور المرء أن ياكشكين سيكشف، بكل تفصيل تقريباً، جميع عمليات KGB ضد الولايات المتحدة.

كان ياكشكين، قبيل مغادرته الى موسكو، يتبضع هو وزوجته في سيفوي في شارع دسكونسن التابع لضاحية جورج تاون في واشنطن. أقبل نحوه اثنان من عملاء مكتب التحقيقات، وعندما مضت زوجته في اتجاه آخر قصده أحد العملاء بينما كان ينتقي بعض البرتقال.

قال رجل الـ FBI: «انا عميل خاص لمكتب التحقيقات الفيدرالية، وأتساءل ان كان ثمة فرصة للحديث». واستأذن ياكشكين عن مدى موافقته في اللقاء بعميل خاص يتولى مسؤولية مكتب العاصمة واشنطن. سأله رجل الـ KGB: «ما اسمك؟»، فأعطى العميل اسماً كاذباً. فسأله ياكشكين: «هل لي أن أرى هويتك لأتأكد أنك عميل لمكتب التحقيقات؟». أظهر العميل بشكل متردد هويته فأدرك ياكشكين أن الرجل قد أعطاه اسماً مزوراً.

- قال العميل: انني آسف، فهكذا يتوجب علينا فعله.

- انني أعرف ذلك .

أصر العميل : «أثمة طريقة لضرب موعد يتحدث اليك فيه العميل الخاص المسؤول؟» . فأجاب ياكشكين وهو يبتسم : «بالتأكيد ، ليأتي الى السفارة في أي وقت يشاء» .

- كنت أرجو ، حقيقةً ، اللقاء في مكان يتسم بطابع أدنى من الرسمية إذا كان الأمر يروق لك .

- أنا لا أعتقد انني سأشعر بالراحة في ذلك المكان .

كان جلياً أن الحوار قد أزفت نهايته ، فقرر العميل اقتناص الفرصة لتقديم العرض فوراً ، وعرض على ياكشكين مبلغ العشرين مليون دولار لقاء عمله لصالح الولايات المتحدة . فقال ياكشكين : «أقدّر عرضك أيها الرجل الشاب ، ولكن لو كان عمري عشرين سنة لأعطيته اعتباراً جدياً . لقد سعدت برؤيتك» . ثم رتب قبعته ومضى الى قسم اللحوم قاصداً زوجته .

تمكن أحد ضباط (و . م . م) ، والعامل في قسم الموارد الأجنبية ، من رصد أول ضابط روسي تمكنت المغازلة من تجنيده في عام ١٩٨٢ . كان هذا الروسي يحضر مؤتمراً مهنياً في واشنطن ، ولاح للضابط الأمريكي أنه أكثر قابلية للتجنيد . كان الضابط الأمريكي شاعراً أن هذا الشخص مهتم ، أكثر من غيره الروس ، بنمط الحياة الأمريكية لسبب واحد وهو أنه يتحدث الإنجليزية بشكل أفضل من غيره ، ولديه رغبة جامحة لإسعاد الأمريكان الذين يصادفهم ، أكثر من غيره من الروس . تيسرت للمغازلة كل المعلومات التي قدمها ضباط (FR) فقررت اصطياده للتجنيد .

تصادق أحد أفراد زمرة المغازلة ، مدعياً إنه مستشار خاص ، مع ضابط الـ KGB

ودعـاه الى العشاء وأعلمـه أنه مطلع على الأسرار العسكـرية. وعنـدما تيقن أن هـذا الـرجل سيعمل لصـالح الولايـات المتحـدة، كشف لـه عن حقيقته. ودأب أعضـاء الفريق ،فترة سنوات، على اللقاء بهذا الضابط الروسي مرةً في الأسبوع في أقل تقدير.

كانت اللقاءات بضابط KGB تعقـد ،على التناوب، في شقتين آمنتين في منطقـة واشنطن. كانت الـزمرة تقدم للضابط الـروسي ،كي يجد عذراً للإبتعاد عن واجبـاته المنتظمة، المعلومـات التي تحصل عليها من شخص يعمل في استشارية الـدفاع. كان هـذا العميل المزدوج ،الذي يـدعي أنه يتجسس للـروس، يعمل في الحقيقة لصـالح زمـرة المغـازلة. ويأذن أعضـاء الـزمـرة ،بعض الأحيان، بلقـاء ضـابط KGB بهذا الشخص، وتوضح لـه حكومة الولايـات المتحدة كل شيء قبل أن يخبر به ضـابط الـ KGB او الروس.

وجّه أعضـاء الزمرة ضـابط الـ KGB في الإنغماس ،قبل اللقـاء بـه، في عمليـة (غسيل جاف) تشمل السياقة الى طرق مميتة او السياقة بسرعة (٧٠) ميلاً في الساعة ثم الإنخفاض الى سرعة عشرين ميلاً في السـاعـة لكي يتأكدوا أنه غير مراقب. إنه الحذر الذي يتوخـاه المرء دائماً في مجرى عمله التجسسي، وإن عملية (الغسيل الجاف) لا تثير الشكوك إذا ما لاحظها الروس.

كان أعضاء الـزمرة يسألون الضابط الروسي ،قبل الإدلاء بالمعلـومات، عما كان يفعلـه في الساعـات الأخيرة كي يتأكدوا من حمايتـه لنفسه. كـان الموضـوع التـالي من العمل هو الموافقة على مكان اللقاء التالي -أحد المنزلين اللذين استؤجرا لغرض اللقاء مع رجل الـKGB، تستجوبه بعدها الزمرة عن التطورات الأخيرة في السفارة وخطط الـKGB. لقد سجلت الزمرة صوتياً ،ودون علمـه، هذه الجلسات التي كانت تدوم لساعة او ساعة ونصف الساعة.

دأب أعضاء الزمـرة ، للتأكد من أصالـة معلوماته ، على سؤال ضـابط الـ KGB أسئلةً يفقهون جوابها ، وتجاوزها بنجاح عظيم . كان هذا أول تجنيد لضابط KGB من السفـارة الروسيـة في واشنطن ، وهذا الأمـر لـوحده يبرر ، من وجهـة نظر مسـؤولي الوكالة المركزية ومكتب التحريات ، سبب وجود زمرة المغازلة* .

كـانت زمرة المغـازلة تـدفع لضابط الــ KGB مــائتي دولار لكل لقــاء ومبلغ (١٠٠٠) دولار شهرياً ، يدرج في حسابه الخاص بـاسمه . وعندما راود القلق أعضاء الزمرة أن هذا الشخص سيغدو مركز استقطاب لذاته ، دأبوا على سؤاله عما كان يفعله بالمال الذي يتقاضاه .

نجحت زمـرة مكتب التحقيقـات الفيدرالي ، بعـد أشهـر قلائل مـن تجنيد هـذا الرجل ، في تطويع ضـابط آخر من الـ KGB يعمل في السفارة . وقـد تمكن المكتب ، عـلاوةً على هذا المصـدر ، من تجنيد ضـابط KGB آخـر معين في وفـد الأمم المتحـدة الروسي في نيويورك . كما جنّد أيضاً ، بمساعدة (و . م . م) ، ضابط KGB آخر معين في المستشاريـة السوفيـاتية في سان فـرانسسكو . إن المجندين في واشنطـن لأهم جداً من البقية .

لقد قدم رجل الـ KGB الذي جندته المغازلة للوكالة المركزية ومكتب التحقيقات خارطة طـريق تبين الكيفية التي تعمل بها KGB في واشنطن . لقد أفشى لهم هـويات وواجبات ضباط KGB و GRU والمعلومات المتعلقـة بسير الديبلوماسيـون الروس ونوايـاهم لتجنيد الأمـريكان كجواسيس لهم . كـان هذا الضـابط يعرف المواقع التي نصبت فيهـا KGB أجهـزة تنصت وتفـاصيل عمل الأجهزة الالكترونيـة الأخـرى . فمثلاً كشف أن KGB تزود عملاءهـا بأجهزة تنطلق ذاتياً داخل الماء ، وعنـدما تظهر

---

*لم يتم هنا الكشف عن هوية الرجل او تفاصيل تعيينه لأنه قد يعرض حياته للخطر .

على السطح ترسل رسائل مشفرة بشكل إطلاقات الى الأقمار الصناعية لنقلها الى موسكو. وهكذا تمكنوا من حجب موقع العملاء الذين يستخدمون أجهزة إرسال.

لقد عرفت الوكالة المركزية ومكتب التحقيقات من الضابط الروسي كيف تحمي KGB نفسها قبيل أن يلتقط أحد ضباطها وثائق مصنفة من ثمار ميتة ساقطة من جذل الأشجار في منطقة واشنطن. يحوم ضابط الـ KGB حول النقطة حاملاً معه جهاز إرسال يلتقط الإشارات الراديوية لأجهزة الإرسال الخاصة بمكتب التحقيقات. فإذا ما كان كل شيء على ما يرام، يشعل ضياءً أخضر يُرى من خلال الحاجب الزجاجي لسيارته. وإذا ما تم رصد أجهزة إرسال مكتب التحقيقات الفيدرالي، فإنه يشعل ضوءاً أحمر وتتوقف عملية الإلتقاط.

كشف ضابط KGB كيف كان الروس يعترضون المكالمات ذات الموجات الصغرى الخارجة والداخلة الى مكاتب الحكومة الأمريكية من مركز تنصت سري في (مونت ألنو) بمجمعهم الجديد في واشنطن. لقد سمحت وزارة الخارجية للروس ببناء مجمعهم في ثاني أعلى ارتفاع في واشنطن.

وذكر ضابط مخابرات أمريكي: «كانوا يحاولون عزل مكاتب التجنيد الخاصة بوكالة المخابرات المركزية. كانوا يعترضون مكالمة شخص ما في كارولينا الشمالية ولما يحاول الإتصال بمكتب التطوع. وإذا ما ظفر الروس بأسمائهم وحضر هؤلاء الأشخاص في مكان ما فيستنتجون أنهم من (و.م.م). وذكر ضابط KGB أن السوفييت استهدفوا لانجلي والبيت الأبيض ووزارة الخارجية، ولم يفقه أية نتيجة طيبة تمخضت عن هذا الأمر».

كانت KGB ،كما يقول ضابطها، تزود الضباط بقائمة لما تود الحصول عليه من تكنولوجيا ومعلومات. ويتراوح مضمون طيات هذه القائمة من خطط مبادرة الدفاع

الاستراتيجية ،المعروفة بحرب النجوم، الى المعلومات الداخلية عمّن يرجح أكثر فوزه بالإنتخابات الرئاسية القادمة. نقل ضابط KGB هذه القوائم الى أعضاء زمرة المغازلة ودوّن لهم ،عند عودته مؤقتاً الى موسكو، أحدث التغييرات في قيادة منظمة المخابرات السوفياتية وخطط KGB على النطاق العالمي.

ونقل هذا الضابط ،ذات مرة، نسخاً من خطط KGB الرسمية في واشنطن للعام المقبل، بما فيها خططاً معينةً لزرع معلومات متناقضة عن طريق توزيع وثائق مزورة. وقال لهم الضابط كمثال عن كيفية عمل الـ KGB أن مقراتها الرئيسة -المعروفة كمراكز- ترسل دورياً وثيقةً عمليةً تعلم كل ضابط أن ينقل نفس المعلومات الواردة فيها الى كل أمريكي يلتقونه. وقد تخص هذه المعلومات خطط السوفييت في محادثات خفض التسلح او عدد الصواريخ التي تمتلكها روسيا. وذكر الضابط الروسي المساهم في العملية: «إذاً لديكم المئات من الذين يتفوهون نفس العبارة، فيوافق الجميع أنها حقيقية ولكنها في الواقع، كذبة».

لقد أجمعت الزمرة ،من شرح هذا الضابط، أن KGB لم تحقق النجاح الذي يسمو للمرتبة التي تتصورها (و.م.م) او مكتب التحقيقات الفيدرالي. كان ضباط KGB ،في الغالب، يبعثون بالتقارير الى موسكو مدعين أنهم حصلوا على معلومات سرية، ولكنها في الحقيقة معلومات من الصحف.

وذكر ضابط سابق مشترك في العملية: «كتب أحدهم تقريراً من عشر صفحات عن الحوار الذي زعم أنه أجراه مع (كاسبر واينبيرغر) عندما كان وزيراً للدفاع، وكل ما فعل حقاً أنه تلقى منه سطراً واحداً عندما تصافح معه»!!!.

كان من المفهوم أن رجل الـ KGB هذا جاهل لكثير من الأمور. فمثلاً انه لم يعرف أحداً من المجندين الأمريكان في واشنطن، بالرغم من أن ضابط صف البحرية

السابق (جون وولكر) كان يعمل لصالح السوفييت. بيد أن المعلومات التي قدمها مكنت مكتب التحقيقات والوكالة المركزية من التنبؤ بحركات KGB واتخاذ إجراءات مضادة لخططها. وأفصح أيضاً عن هوية الأمريكان الذين يعملون لصالح السوفييت، دون تزويدهم بمعلومات مفصلة يتمخض عنها حكم الإعدام بتهمة التجسس.

كان حلم ضابط الاستخبارات المضادة أن يكون متمكناً من الاطلاع على ما يفكر به الخصم في دهاليزه قبيل أن ينفذ الأمر. وقال أحد الأفراد الذي اطلع على خلاصة الإستنتاجات: «عرفنا كل شاردة وواردة، ولن يحدث أمر إلا ونعرف به».

أضفت حقيقة أن تحدث عملية التجنيد داخل واشنطن، حيث تشكل العديد من الوكالات الحساسة الهدف الأول لوكالة المخابرات الروسية، أهمية أكثر لهذه العملية. إن تطويع الآخرين إنما هو واحد من مئات النجاحات التي حققتها (و. م. م) والتي لما تزل سريةً. وفي أحايين معينة، جندت الوكالة ضباط KGB وتقاعدوا في مواطنهم دون أن تعرف دولتهم أنهم خونة في معظم الوقت. ومعظمهم تم تجنيده ليس في واشنطن، بل في محطات الوكالة في الخارج.

الفصل الرابع

الوقوع في شباك الحب

لوكالة المخابرات المركزية محطات موزعة في مائة وثلاثين بلداً تتراوح في حجمها من محطة ذات شخص واحد، كتلك الموجودة في بعض الأقطار الافريقية، الى مراكز تتألف من ستين شخصاً -بما فيهم موظفو الإعانة- في مدن كطوكيو وروما. ويتواجد قرابة ١٥٪ من موظفي (و. م. م) خارج البلاد.

وقد تضم محطات الوكالة، بالإعتماد على حجمها، مديراً للإعانة وضابطاً مالياً وضابط اتصالات وضابط نقل وضابط ملاك. وللمحطات الكبيرة فروع يتركز اهتمامها في الأمور السياسية الداخلية والأمور السوفياتية والإرهاب والمخدرات والأسلحة النووية والإتصال مع المخابرات المحلية وأجهزة الأمن الداخلي.

تحصل (و. م. م) من خلال اتصالاتها مع المخابرات المحلية على معلومات عن أناس ذوي أهمية للوكالة، وهي تقدم بالمقابل المعلومات التي يحتاجها البلد المضيف، مثلاً مكان أحد اللاجئين، علاوة على الإعتمادات المالية لمساعدة ذلك البلد في مواجهة مشاكل الإرهاب والشيوعية المحلية. بيد أن (و. م. م) تلعب على الحبلين، فهي تجند أعضاء في أجهزة المخابرات المحلية لمعرفة ما يفعله البلد لاختراق أو مقاومة الوكالة المركزية. وتسعى في ذات الوقت للحصول على المعلومات التي لا ترغب أجهزة المخابرات المحلية مشاطرة الوكالة فيها. وفي الغالب يكون اتصال ضباط الوكالة مع الأجهزة المحلية ذريعة للتودد الى أفراد هذه الأجهزة وتجنيدهم. وعلى

النقيض من هـذا الأمـر، جندت غـانـا (شـارون . م. سكـرينج) موظف إعـانـة في (و. م. م) لتعرف غرض الوكالة داخل البلاد.

يتمثل دور المحطات الـرئيسي في تجنيـد العمـلاء كي يسروا (و. م. م) بما تفعلـه الحكومـة المضيفة ونقل نشاطـات ديبلوماسيي الـدول الأخرى، كالإتحاد السـوفياتي والصين الشيوعية، التي هي موضع اهتمام الوكالة. ويتسلم ضابط الوكالة المعلومات من العميل، طبقـاً لـدرجـة حساسيـة منصبـه، في فترة الغـداء او عن طـريق فليمات (ميكروفيلم) توضع في ثمار ميتة ساقطة من جذل الأشجار.

ويحاك أيضـاً، من أجل تـوفير أكبر حماية للعميل، مـا يلـوح أنـه لقاء الصـدفـة المعروف باللقـاء العابر. وينقل العميل الوثـائق او الفيلم الى ضابط الوكـالة في محفظة صغيرة او أية مـادة أخرى ولما يمر أحـدهما بالآخر. وغـالباً ما تستخـدم الإرسالات المشفرة بالـراديو او الأقمار الصناعية، او أن تنقل الـرسائل بالأشعة الليـزرية الموجهة على البنايـات. والسبيل الوحيد لاعتراض الإتصـالات الليزريـة هي في نصب جهاز استقبال في طريق الأشعة.

ينجز ضبـاط المخابـرات، ولما يكون لهم ستـار رسمي، واجباتهم العسكـرية او المتعلقة بوزارة الخارجية خلال أيام الأسبوع، ثم ينفذون عمليات وكالة المخابرات في الأماسي وعطلة نهاية الأسبوع.

يقول (هـربرت . ف. ساندرس) ضـابط الوكالة السـابق: «اذا أردت أن تعرف هويـة رجال المخـابرات، فما عليك إلا أن تتطلع الى سجل الحاضرين في السفـارة يوم الأحد، فكل من يحضرها في ذلك اليوم هو من رجال (و. م. م) ما خلا السفير».

يتلقى ضبـاط وكالـة المخابـرات المركزيـة رواتبهم عن طريق وزارة الخارجيـة او الجيش بعد أن تكون الوكالة نفسها قد سـددت هذه المبالغ سراً. وعندما تبعث رسالة

الى ضـابط سري في لانجلي، فإنها تعـاد. وبنفس الشـاكلة اذا مـا سئل مشغل لـوحـة المفاتيح عن موظفيها لأجاب أن ليس ثمة جدول بهم.

ويمكن لضابط المخابرات أن يتبوأ أي منصب لوزارة الخارجية في الخارج ما خلا مركز السفير ومساعد رئيس البعثة؛ القيادي الثاني في السفارة. وعندما أمسى رئيس المخابـرات السابق (ريتشارد هلمس) سفيراً في ايران، فإنـه تجرد من خدمة الوكـالة. كذلك الأمر بالنسبة لوظيفة المستشار، التي تشير الى الديبلوماسيين ذوو الرتب العالية ويتولون إدارة شعبة ما. ويجند ضباط (و. م. م) عملاءهم بنفس الشاكلة التي يمضي فيها رجال الأعمال او المحامون للبحث عن رزقهم، او كما يفعل الصحفيون في الجري وراء مصادرهم. فإذا كان ضابط الوكالة في مكسيكو سيتي مثلاً راغباً في تجنيد ضابط عسكري، فإنه يذهب للاسترشاد بتوصيات الملحقية العسكرية الأمريكية الموجودة في السفـارة هنـاك، وسيحضر المؤتمرات والأعمال التي قـد يتردد اليهـا هـذا الكـادر العسكري او يـذهب الى البارات التي يكثر التردد اليها، او أن يترصد الفـرص للقاء الشخص الـذي يتعقبـه. وإذا كـان هـذا الشخص راغبـاً في تجنيد الـديبلـومـاسيين، فسيسعى لحضور النشاطات الديبلوماسية او المضي الى النوادي الخاصة بالديبلوماسيين التي شيدت (و. م. م) أكثرها لهذا الغرض.

فإذا مـا حدد الضـابط هـدفه المحتمل، اتصل بـالمقر الـرئيس للـوكالـة من أجل "الخلفيات" اي البحـث في سجلات الوكـالة عـن معلومات تخص هـذا الشخص. وأكثر هذه المعلومـات محفوظة في أجهزة الحاسوب. وقد ينشـد أيضاً مساعدة مكتب الخدمات التقنية، فيمـده بأدوات مهنة التجسس كمرسلات راديويـة او ورق الكتابة السرية. وقـد يزود مقـر الوكـالة الـرئيس الضابط بمعلومـات عن اهتمام الشخص، كالتنس مثلاً، فيقترح عليه ضابط الوكالة عندئذ اللعب معاً. او قد يعرف الضابط ان هدفـه يعاني مشـاكل صحيـة. وفي قضية السفير السـوفياتي الكبير في أفـريقيا، أدرك

ضابط المخابرات المركزية (هاورد بين) أن السفير كان يعاني مشاكل صحية قلبية، ودبر مساعدته بماكنة EKG التي كانت حديثة في وقتها. وعندما أزف موعد استرجاع الماكنة، قرر بين أن يقوم بالعملية بنفسه ويفعل فعلته. لقد أظهر للسفير مقالة في (التايم) تتعلق ببعض التطورات الحديثة عن معالجة الأزمات القلبية في الولايات المتحدة. وقال للسفير: «يمكننا أن نتدبر هذا الأمر لك دون أن يشعر به أحد».

وفي هذه القضية لم يقطف فعل بين ثماره، ولكنها غالباً ما كانت تنجح. يعرض ضابط المخابرات على الشخص، بعد أن يعقد معه صداقة، الأموال لقاء أن يغدو عميلاً للوكالة المركزية ويتجسس لصالح الولايات المتحدة. ثم يكتب ضابط الوكالة تقرير اتصال بعد كل لقاء يعقده مع الشخص "المطوّر" -الهدف المراد تجنيده- او العميل الذي تم تجنيده مسبقاً. وينص التقرير على موعد الإجتماع ومكانه، والمبالغ التي بودلت، الوثائق المستلمة، الأمور التي تم التطرق اليها والمشاكل الأمنية. ويقرر ضابط التقارير في المحطة أهلية إرسال التقرير الى واشنطن.

وإذا ما آمن ضابط الحالة أن ثمة مادة قيمة يجب نقلها الى واشنطن، فيحق له نقلها بصيغة تقرير استخباري بينما يقرر ضابط التقارير الكيفية والجهة التي يرسل اليها التقرير. وللتقرير عند إرساله الى واشنطن جزءان، تتضمن الصفحة الأولى الاسم السري للمصدر وأنه يتعلق بالإستخدام الداخلي لـ (و. م. م). وترسل بقية التقرير، بالإعتماد على المعلومات التي يشملها، الى وكالات معينة كالخارجية ومكتب التحقيقات او مجلس الأمن القومي الموجودة ضمن مجتمع المخابرات. إنها تمنح فكرة عامة عن مصدر المعلومات والإشارة الى مصداقيته. وإذا ما كانت المعلومات المتيسرة في التقرير جد حساسة، فإن الوصف العام يستحيل كتماناً شديداً للمصدر.

ويحتفظ بالاسم الحقيقي للعميل في خزانة في محطة (مكسيكو ستي) ويليه الرقم. وتضم خزانة أخرى قائمة تربط كل رقم باسم سري، ولاكتشاف الاسم الحقيقي لهذا

الاسم السري فإن على ضابط (مكسيكو ستي) توحيد قوائم هاتين الخزانتين والمقارنة بينهما، أو يمكنه الحصول على إسم العميل من ضابط الحالة. وتحتفظ المقرات الرئيسية أيضاً بالأسماء الحقيقية للعملاء، ويحمل كل تقرير وارد من محطة (مكسيكو ستي) والمحطات الأخرى المائة والتسع وعشرين خط الإتجاه الخاص بالمرسل اليه لتحديد وجهته يتبعه سطر فارغ يعني أنه يجب توزيع التقرير داخل الوكالة المركزية وإلى الوكالات الخارجية. وتعني الشفرة الواحدة أن على التقرير أن لا يقصد الوكالات الأخرى دون أن يستشير أولا القسم المسؤول عن هذه المنطقة من العالم. وفي هذه القضية (أمريكا اللاتينية) يتم إرسال المواد، لكل الحالات تقريباً، إلكترونياً وتخزن في أجهزة حاسوب. ولكل إتصال مستوى محدد من الأهمية وأهمها الخطير ثم الخاطف، الفوري، الأفضل ثم الاعتيادي. ويمنح خط المستويين الأولين، نادري الحصول، أفضلية على الخطوط البقية ويتطلب إرسالاً مباشراً. وتمضي أغلب هذه التقارير إلى مديرية الإستخبارات التي تعد التعليمات والمذكرات الأخرى من خلال مجلس الاستخبارات القومي عن الطبيعة المحتملة للأحداث المستقبلية في العالم -إمكانية دولة ما في تطوير أسلحة نووية، أو أن العراق سيحتل الكويت-. وتمضي مثل هذه التقارير إلى الرئيس في (مذكرة الصباح اليومية). يحدد درجة أهمية تقارير المحطات بعدئذ كادر التقارير ضمن قسم المنطقة التابع لأحد المقرات الرئيسة. وتؤثر في هذه الدرجات، بعض الأحيان، ردود أفعال الجهات الأخرى التي تطلع على التقارير مثل الخارجية والدفاع. ويمنح الكادر عشرون درجة لأفضل التقارير وعشر درجات للتقرير الجيد جداً، أما الخمسة السالبة (-٥) فتعني أن هذا ما كان يجب أن يرسل. وفي نهاية كل شهر تحسب نقاط كل محطة، وكلما زادت المحطة من تقاريرها ذات الدرجات العالية زادت نقاطها. ويعتقد أكثر ضباط العمليات أن جدول النقاط عديم المعنى، كما يقيم كادر التخطيط والتقييم التابع لمديرية العمليات مدى فعالية العمليات محتفظاً بمسالك الأحوال لأغراض الميزانية. ويحاول أيضاً تقدير فئات

الـدولار للمعلومـات التي حصلوا عليهـا بعـد المشاورة مع الـذين ينتفعون من هـذه المعلومات.

يحتفظ نظـام الحاسب المالي الـدقيق في الوقـت ذاته بـالسبل التي أنفقت المحطـة أمـوالها. ولـ(و. م. م) نظـام صـارم في السيطرة الماليـة أوقف، شبـه تماماً، حـالات السرقة أو الاختـلاس. وأكثر أشكـال السرقة شيوعـاً هو إدعاء ضبـاط الوكـالة أنهم أنفقـوا أموالاً للعمـلاء في الداخل، ولكنهـم في الحقيقة أودعـوها في جيـوبهم. ومن السهل تزويـر وثائق معينة كإيصالات الإستـلام التي يوقع العملاء عليها. لقـد كان ضبـاط الوكـالة يـدفعون بشكل روتيني في فيتنـام مئة ألف دولار شهـرياً للمسـؤلين المحليين لتوزيعها على رجالهم. وكانت ثمة إدعـاءات قليلة للسرقة الداخلية. ويقول الدكتـور (جون. م. كـلارك) المراقب المالي السابق ومساعـد نائب مـدير (و. م. م): «أعتقـدأن لــ (و. م. م) سلطة على كل دولار تنفقـه أقـوى من أيـة وكـالة حكـوميـة أخرى. تسنت لي الفرصـة عند حضوري برنامـج (هارفارد) للإدارة المتقدمـة لمقارنة الممارسـات المالية لأكبر خمسين شركـة ومؤسسـة مـالية أمـريكية، ولم تتمتع أي منهـا بسلطة قـوية كتلك الخاصة بـ(و. م. م). فغـالباً يكشف محاسبي القسم المالي عشرات من حالات السرقة والاختلاس سنوياً وربما كانت إحداها عملية (ضخمة)». ويقول ويل ضـابط الـوكـالـة السـابق والمديـر التنفيذي الحالي لجمعيـة ضبـاط المخـابـرات السـابقين: «لم تكن (و. م. م) بأي حـال من الأحوال فيـلاً متشرداً، فليس ثمـة شيء مستقل تتمتع به. إننـا مدعوون إلى عمـل هذه الأشياء تحت سلطـة قانونيـة، وكل ما نقوم به يخضع لرقابة سلطات صارمـة، وأي مبلغ تنفقه خاضع لسيطرة خارجية أشد عليه من جميع هياكل الحكومة الأخرى».

يدعي ضابط ما بعض الأحيان أنـه حصل على معلومات من عملاء ليس لهم ثمة وجود، وذلك أمر غالباً ما يفتضح عندمـا يرسل هذا الضابط إلى محطة أخرى ويتوقع

بديلـه التعرف إلى ذلك العميل فإذا به مختفيـاً، أو أن يلتقيه فيلوح العميل جـاهلاً أي شيء عن الترتيبات السرية مع الـوكالة المركزية. ويقول ضـابط عمليات سابق: «إنها لمعضلة في حالات نادرة. إنك تتبوأ محل غيرك الذي سيقول لك هؤلاء عملائي، وإذا بأحدهم يرد عليه: «ما الذي تعنيه؟ لم أوافق قط عى فعل هذا الأمر، فما تعني بقولك إنك تريدني جاسوساً؟». ».

لا بد لمثل هذه الحيل أن تكتشف في نهاية المطاف وعقوبتها فصل ضباطها. وقال ساندرس ضابط الوكالة السابق: «ثمة إدراك في الخارج أن ضباط قضايا (و. م. م) او ضباط العمليات هم كمدافع مفكفكة يعملون وفـق أهواءهم تحت رقابة هزيلة، إن لم تكن معدومـة. وفي الواقع ثمة كثير من الضـوابط والموازين، فإن لم يسمع منك أحد شيئـاً خلال ثماني سـاعات، فعليك أن تـوضح الموقف حـال ظهورك؛ لقـد كنت في المكان الفلاني وعملت ذاك الشيء. ».

ويقول ويبل ،الضابط السـابق: «لن تضطلع بعمل سري او سياسي دون تخويل من واشنطن. ولا أعرف ثمة قضية أنجز فيها أحدنا عملاً سرياً دون أمر بذلك».

توجد ،كقاعدة عامـة، درجة من الإختلاف بين ضباط وزارة الخارجية وضباط (و. م. م) المعينين في موقع مـا. ينظر ضباط الـوكالة الى نظـرائهم من وزارة الخارجية بأنهم سعاة بريد مغفلون، بينما ينظر ضباط وزارة الخارجية الى ضباط الوكالة على أنهم غواة مشاكل طائشون.

ويذكر ضـابط عمليات سابق: «إنك بحاجـة الى مفكرين وعلماء للعمل بجانب مديرية العمليات. بيد أن الوكالة ليس لها مع المفكرين ناقة ولا جمل، إنها تسعى وراء موظفين سريين متبجحين. وهـذه علة قلـة تعاون وزارة الخارجيـة مع الوكـالة، فهم يعتقدون أن الوكالة تعج بالسفاحين الجهلاء. بينما تعتقد الوكالة أن كل موظفي وزارة

الخارجية مجرد لفيف من المتباهين، وهذه العلة في تعذر عمل الوكالتين بشكل متوافق.». تتمخض تلكم الخلافات، شطراً ما، من حقيقة أن كلا الوكالتين تمارس أدواراً مختلفة.

ويقول ضابط عمليات: «يتوقع رجال وزارة الخارجية أن يتحدثوا الى مسؤولين في الدولة المضيفة من المستوى ذاته الذي هم فيه. إنهم يأخذون، بالمعنى الظاهري، ما يخبرون به. وبالمقابل، يطفق رجال المخابرات المركزية على تجنيد العملاء الذين يحصلون لهم على معلومات مصنفة ويكشفون أحاديث سرية. إنهم يختبرون هؤلاء العملاء، كرّةً بعد أخرى، ليتأكدوا أنهم يسرون بالحقيقة».

ويضيف: «سيجلب لك اسم اللعبة العميل الذي سيخبرك بما يفعله اولئك الناس. إن وزارة الخارجية تدفع لرجالها لقاء ترددهم على صالات الإستقبال ليسألوا الدبلوماسيين الآخرين: ماذا تفعل هذه الأيام؟. أما ظهيره فهو ذلك العميل السري. إذ يقول الديبلوماسي شيئاً واحداً فيجيبه العميل: ذلك هراء إنهم يفعلون النقيض.».

ويرى الديبلوماسيون من جهتهم أن المعلومات التي يظفرون بها لأثمن في قيمتها من معلومة ضابط المخابرات لأن مصدرها مسؤولون بالحكومة. إنهم ينظرون بازدراء الى ضباط الوكالة المركزية.

ويذكر مستشار أمريكي عمل في لينغراد: «لم يكن ضباط وكالة المخابرات على نفس درجتنا. فإذا ما ابتغيت أن تكون ضابطاً في الخدمة الخارجية، فعليك أن تحصل عملياً على شهادة الدكتوراة، وأن تخضع لامتحانات جد شاقة. وهذا الأمر غير حاضر في بقية الوكالات التي تستقبل اولئك الفاشلين في اختبار الخدمة الخارجية. لقد عرضت علي (و.م.م) عملاً لديها براتب يزيد ربع المرة عن راتبي هذا، ولكنني لم

أكن راغباً له.».

تنشأ المشاكل عندما تشرع وكالة المخابرات ووزارة الخارجية بالتخطيط للفوز بنفس الشخص، او عندما يرغب السفير معرفة كل ما تفعله الوكالة المركزية داخل البلاد التي يعمل فيها، لاعتقاده أن له الحق في معرفة هوية عملاء (و. م. م) داخل تلك البلاد. بيد أنهم لا يملكون مثل هذا الحق، وغالباً ما أخبرتهم الوزارة بذلك.

يقول ضابط سابق: «ثمة حالات من الغيرة، دائماً، بسبب الإفتراض الخاطىء أنك تتمتع بامتيازات إضافية كالسكن مثلاً، وأنك تأخذ أكثر مما تنتج وهي ليست بالقضية مطلقاً. وهذا الأمر يستند الى الإعتقاد أن (و. م. م) لا تدفع لما تحصل عليه، وهو ما يسبب استنزافاً لميزانية السفارة. وفي الحقيقة تدفع (و. م. م) لوزارة الخارجية مبالغ لضباطها العاملين في سفارات أكثر مما تدفعه لهم الوزارة نفسها. وسيبقى هذا الأمر موضع خلاف برغم توضيح الوزارة له.».

ترد مسألة الخلافات في كل منظمة تقريباً بين مقراتها الرئيسة والجانب الميداني. يقول ساندرس: «في كل وكالة حكومية، سيما (و. م. م)، ثمة تنافس مستمر او ربما فرط في الإمتعاض بين الكادر الميداني والمقرات. يعتقد الضباط الميدانيون أن المقرات تعج بالمعتوهين الذين لا يفعلون شيئاً ما خلا حضور الإجتماعات، ولا يفقهون شيئاً حتى كيف تجلس القرفصاء. بينما يرى كادر المقر القيادي أن نظيره الميداني ضيق التفكير. والشيء المضحك أن كلا الطرفين اذا ما استبدلا أماكنهما، لاستنتجا أنهما الآن قد دخلا الزمان المطلق وفيه يملكان كل العمل وكل الأجوبة.».

يقول وليم كولبي: «إن أفراد مديرية العمليات إخوة بينهم، فهم يعملون معاً أحدهم بجنب الآخر ويستشعرون بحالة من النظام. ثمة ولاءات متبادلة، فإذا ما استقر الحال بهم في محطة خارج الولايات المتحدة، جنحت عوائلهم للعيش في أماكن

متقاربة».

عندما خطت الوكالة ،في عهد وليم وبستر، خطوةً في تشغيل وترقية عدد أكبر من النساء والقاصرين، لم تحرك مديرية العمليات ساكناً. إذ يعتقد كثير من ضباط العمليات السابقين أن النساء لا يحسنَ الإتصال مع الرجال في أمريكا اللاتينية او الشرق الأوسط (وثمة رأي منحاز مشابه كان ،حتى وقت قريب، يؤخذ على ضابطات الشرطة). لم تشهد الوكالة قط منصب مدير شعبة من العنصر النسائي واكتفت بإناطتهن ،وعلى نحو قليل جداً، منصب رئيس محطة تابعة لها.

يقول (روبرت .ر. سيمونس) ضابط الوكالة السابق: «يقولون أن هناك دول لا تستطيع العمل فيها. فأنى ،مثلاً، يمكن لامرأة العمل في الشرق الأوسط؟. ومع ذلك تجد أن أفضل الضباط هناك قد يكونوا من العنصر النسائي، وهي حالة ربما عبدت الطريق للعمل ضد ما يتوقعه الناس في منطقة ما. فهذه الضابطة لها من الأسباب ما يدعوها للتواجد هناك. فبوسعك أن تضع يدك في يدها، وبمقدور العميل أن يهديها وردةً وفي داخلها رسالة سرية. وبإمكانها تقبيله في خده لتضع شيئاً في جيبه. يمكنهما المضي معاً دون إثارة الإنتباه.

وبسبب ضغوط العمل السري، يشيع الزواج بين ضباط وضابطات الوكالة المركزية. يقول ساندرس: «يسعك القول لزوجتك أنك تعمل لصالح (و.م.م) وأنك ماض الى سنغافورة في واجب عملي دقيق، دون الخوض في أنك مكلف بمهمة تسجيل مكالمات فلان وفلان. إن القيود الأمنية ذات تأثير ،في بعض الأحيان، في تشجيع الزواج بين أناس (و.م.م)، وثمة فرق عديدة في الوكالة يتألف أعضاؤها من الأزواج والزوجات. فالزوج (الزوجة) الذي عمل للوكالة، لأكثر حساسية للمتطلبات الأمنية والجهد المقترن بالعمل. فلن يسأل عم تفعل، ولن تغدو في موضع إهانة إذا لم تبح بالمعلومة. وإذا كان كلا الزوجين ضابطاً في (و.م.م) لغدت الأمور

أكثـر يسراً. فبينما يتوجب عليهما ،نظـرياً، الإمسـاك عن الحديث في الأمور العمليـة الحسـاسة ،مـا لم يشترك كـلاهما في نفس العمليـة، تراهما يشرعـان في الـواقع العملي بالحديث بحرية عن نشاطهما اليومي.

إن عمل ضابط قسم العمليات ،في أكثر حالاته، ليس محفوفاً بالمخاطر ذاتها التي يتعرض لها ضباط الشرطة. اذ يعمل أكثـر ضباط الوكالة تحت حصانـة ديبلوماسية، وتتحاشى كثير من الحكومات إيذاء هـؤلاء الضباط خشية تعرض ضباط استخباراتها للإيـذاء. ومع ذلك قتل عدد من ضبـاط الوكالـة في مجرى عملهم، (بلغ عددهم ٥٣ قتيلاً في آخر إحصاء).

كـان من بين أشهر هـؤلاء الضحايـا (ريتشارد ويلخ) رئيس محطـة (و. م. م) في أثينا. فقـد نشرت صحيفة أخبار أثينـا الناطقة بالإنجليـزية في عددهـا الصادر في ٢٥ تشرين الثاني عـام ١٩٧٥ اسمه ومحل إقامتـه. وقبل هذا، ظهر اسمـه عام ١٩٦٧ في إحـدى صحف ألمانيـا الديمـوقـراطية في مقـالـة تحت عنـوان (من هم رجـال وكالـة المخـابرات المركـزيـة). وأدرجت منشورات أخـرى مثل (الجاسـوس المضاد) اسمـه أيضاً. طالبت صحيفة أخبار أثينا باتخاذ إجراءات ضده وضباط (و. م. م) الآخرين. بعدها لقي ويلخ مصرعه في ٢٣ كانون الأول عام ١٩٧٥، على عتبة بابه في أثينا

لقد وجـه العديد من ضباط الـوكالة اللوم والإتهام في مصرع ويلخ الى مـا نشرته (الجاسوس المضاد)، لأنها الصحيفة الأخيرة التي أدرجت أسماء ضبـاط الوكالة. بيد أن الكثير من الضباط المنتسبين الى محطـة أثينا ،ذلك الـوقت، إشاروا أن هـوية ويلخ ومنزلـه كانـا جد مشهورين قبل نشرهما. وقـال أحد ضباط محطـة أثينا آنـذاك: «لقد سكن بيت سلفـه السـابق. كان عين الـلامبـالاة٠٠ أنت تبحث عن راحتك٠٠ الجو معتدل٠٠ كان أمـراً مقضياً٠٠ ما كان عليه أن يبحث عن منـزل، الكل يعرف من هو رئيس المحطـــة، وليس بـــوسعك أن تشغـل هـــذا المنصب دون أن يعـــرف بك

الاأخرون.».

وفي ١٦ آذار من عـام ١٩٨٤، اختطف (وليم بـاكلي) رئيس محطـة (و.م.م) في بيروت، وتوفي في حجزه في الثالث من حزيران عام ١٩٨٥ بعد تعذيبه بوحشية.

يقـول ضبـاط العمليات في (و.م.م) أن مـزاجهم في العمل يعتمـد على طبيعـة العمل الذي هم منهمكون فيـه أكثر من اعتماده على من يرأس الوكـالة، او على طبيعة التحقيقات الجارية فيها، ليدحضوا بـذلك الإدعاءات التي تقول أن معنويات ضباط الوكالة قد انهارت منذ مرافعات لجنة تشيرش.

يقول أحـد الضباط المتقـاعدين حـديثاً والذي عمل للـوكالـة لعقود عـديدة من الزمن: «إن المعنـويات تكاد أن تكـون نفسها. فكل شيء يعتمـد على الشخص الذي يعمل لصالحه. ولربما كان مـديرك جوهرة، بيد أن من هو أعلى منـه رتبة ابن عاهرة. وتشعر كل محطةٍ في الخارج بالسعادة اذا ما أفلحت في مهامها وعلمت أنها ناجحة. إن كل منظمة أصبحت أكثر بيروقراطية».

تمنح الوكالة الضباط الذين يحسنون عملهم مكافئات مالية وأنواط المخابرات مع ترقيـات. وأكثر الضبـاط المكرمين اولئك الـذين يجندون أكبر عـدد من الجواسيس، بغض النظر اذا كانت إدارتهم سيئـة. والكثير من أفضل الجواسيس لا يشاءون العمل داخل المقرات.

ويقول ضـابط مخابرات سابق: «لا يعني الأمـر لضابط جند الكثيرين أنـه قائد. فثمـة ضباط قضـايا كثيرون يستطيعـون تجنيـد شجرة، ولكنهم لا يصلحـون لإدارة المحطـة. وتجد بعض الأحيان أنـاسـاً يقولـون أن مرامهم الـوحيـد أن يغدوا ضبـاط قضيـة، فأكثرهم يـريـد مزيـداً من السلطة. وأنـت لا تعرف في الغـالب مقدرة هـذا الشخص في التجنيد».

ويقول ضـابط سابق: «قـد ينجح شخص في تجنيد عميل فشـل غيره في تجنيده»، وقد نـرى نموذجاً من الناس يسهل لكل ضـابط تجنيده. وهذا النموذج هـو من يرى الوكالة ويحلم بأموال خياليـة منها. وتجد صنفاً آخر لا يشكل المال لهم أهمية، وكل ما يظنـون أن ليس بوسعهم عمل شيء في ظل نظـامهم الحاكم، فيلجوا عتبـة (و.م.م) لعلهم يطيحوا بنظام حكمهم».

يتودد ضباط الـوكالة المركزيـة عادةً الى عملائهم الكامنين لعـدة أشهر او اسابيع قبيل أن يرمـوا الكرة. بينما تتحلى KGB ،من جهة أخرى، بـالصبر الطويل، وتعمل بعض الأحيان الى تطوير علاقة أمدها سنوات قبل أن تخطو خطوتها الأولى. إنها تجنح نحو التركيز على الناس الذين يكشفـون أسراراً معينة بدلاً من تجنيد أي شخص مطلع على معلومات حساسة.

ويقول ضـابط سابق آخـر: «إن الإختلاف الكبير أن KGB بطبيعة السلطة التي تمارسها لأكثر مشـابرة. إنهم سيقولون: هذا هـو الهدف، فتسلل إليه. وهـم لن يفلتوه من أيديهم. إنك غـالباً ما تتطلع الى شيء وتقول: «ليس ثمـة سبيل لأحصل منه على شيء، سأجرب وسيلة أخرى». إنهم بهذا الأمر لأكثر تنظيماً، فهم يرشدون ضباطهم خطـوةً بعد أخـرى الى مـا يجب أن يفعلوه». وتـؤدي KGB واجباتها اليـومية بشكل أفضل أيضاً.

ويقول ضابط سابق: «يمضي الأمريكان الى الحفلات المنوعة ويبدأون شيئاً. بينما يقـول السـوفييت: «هـذا الشخص مهم لعمل الإستخبـارت، جـدوا كل شيء عنـه وتقربوا إليـه». إنهم يذهبون اليه بشكل مختلف. فهو يتهيأ للقاء قبل مـوعده. وإذا ما قرروا ملاحقته، فلأنهم يعرفون أنه مهتم بعملهم».

ويذكر ضابط سابق: «أنا أعتقد أننا ،بطبيعتنا، أجزع من غيرنا. فعملية التجنيد

اذا ما أريد لها النجاح وأن تأخذ منحاها التقليدي، فعلينا أن نعطيها من الوقت دهراً. وإذا ما أنجزت العملية في ثلاث جلسات، فإن الشخص المقابل ليس بأهل لكثير من الإعتبار، وإنه لن يغدو عميلك الذي تريد بأي شكل».

ومن ناحية أخرى تمتلك (و. م. م) أفضلية ،هي طبيعية، في تمثيل أمريكا رسمياً، وهذا ما زرع لدى ضباط KGB رغبةً في داخلهم للعمل لصالح الولايات المتحدة أكثر من ميلهم في العمل بالطريقة النقيض. وفي ساحة التجسس البشري، أحرزت الوكالتين ضربات موجعة ضد الأخرى.

ويقول ضابط سابق: «العديد من الأشخاص يجندون أنفسهم، والعديدون منهم يطرقون هذا السبيل». ويقول ضابط آخر: «إحدى المشكلات التي تصادفها الوكالة هي الكم لقاء النوع. إن الجميع يوعظون بأهمية النوع ولكن ما تحظاه في أغلب الوقت هو الكم. كان العدد على الدوام مهماً لأنها منافسة. إنهم يتعقبون ويسجلون.. ماذا حصل لك؟.. لم نكتب الا أربعة وستين تقريراً [من ضباط محطة واحدة] هذا الشهر».

ويذكر (توم كيلكان) ضابط عمليات (و. م. م) السابق في كتابه "حياة وكالة المخابرات المركزية": «تلك هي الطريقة التي تقاس فيها سيرة المرء في عمله هذا.. إنها وسيلة الأرقام».

يسأل بعض ضباط المقرات تكراراً عن مزيد من المعلومات تتعلق بمواضيع تافهة، لا لشي إلا ليوسعوا سلطانهم. فكلما زادت المعلومات التي يحظون بها، تسنت لهم فرصةً أفضل للمطالبة بميزانية مالية أكبر.

يقول ضابط سابق: «إننا نملك كماً كثيراً من المعلومات التي لا تنفع سوى لنفس تلك المعلومات، وثمة جميع ضروب الأقزام الجالسين هنا وهناك خلف مكاتبهم بعد

أن اقتصر عملهم على متابعة إنتاج الحديد الخام في البرازيل.

يتولى مدراء المحطات كتابة تقارير سنوية ،في شهر أيلول من كل سنة، تتضمن التقدم الذي أحرزوه مقارنة بالسنة المالية المنصرمة مدرجين فيه ،كذلك، احتياجات الميزانية للسنة المالية المقبلة. ويعد أيضاً تقرير فصلي قصير في شهر آذار من كل سنة يشمل قوائم بالأسماء السرية للعملاء والمؤتمنين، وكلما تقدم ذلك التقرير خطوةً في سلسلة المراجع التي يعرض عليها، شطبت منه أسماء سرية وحلت محلها أرقاماً إجمالية بهدف توفير غطاء أكبر لهويات العملاء.

يقول ضابط عمليات سابق: «إن كل ما تحتاج الى فعله بالأساس هو أن تبرهن أن أداءك خلال الأشهر الستة المنصرمة كان أفضل من الأشهر الستة السابقة لها. وإذا كنت مدير محطة جديد او رئيس قسم فما عليك إلا أن تظهر أنك أفضل من سلفك بقولك أنك قد جندت (س) من العملاء، وطردت (ص) منهم. ويضيف هذا الضابط: «سترى في نهاية المطاف أن النوع ليس بتلك الأهمية التي تتصورها وليس بالضرورة أن يحظى العميل الجيد بوزن أكبر من نظيره الإعتيادي.

إن واحدة من أخطر المشاكل التي واجهت (و.م.م) هي احتمالية أن يكون العميل عميلاً مزدوجاً اي أنه يعمل لكلا الطرفين. لقد حصل هذا الأمر فعلاً في كوبا، حين تجلى أن جميع العملاء ،تقريباً، الذين جندتهم الوكالة المركزية منذ مطلع الستينات كانوا (شتلات) تتسلم تعاليمها من الرئيس الكوبي فيدل كاسترو. وظل الحال هكذا حتى عام ١٩٨٧ عندما ارتد (جون أنطونيو رودرلز) الذي عمل لصالح المخابرات الكوبية والمخابرات المضادة لها، فبدأت الوكالة المركزية تتعلم أسلوب الخدعة. أما الصدمة الحقيقية فقد وقعت في السنة التالية، عندما ارتد الرائد(فلورنتينو اسبيلاها لمبارد) الذي عمل أيضاً لصالح المخابرات الكوبية. كان في جعبته تفاصيل أعظم من تلك التي يخبرها رودرلز، وشخص ثمانية وثلاثين عميلاً مزدوجاً يعملون

ضمن قائمة عملاء (و. م. م). لقد خضع كل العمـلاء تقريباً لاختبار كشف الكذب وتخطاه أغلبهم، بينما كانت نتائج الإختبار لأكثـر بقية العملاء غير نهائية، الأمر الذي يعني أن ليس ثمة دليل يؤكد رياءهم.

أرسل هذا التجلي موجات اهتزاز عنيفة داخل الـوكالة المركزية سيما داخل شعبة اميركا اللاتينية التي تضطلع بقضية كوبـا. وهنا أعاد بعضهم الى الأذهان التحذيرات المسبقة التي سبق وأن أدلوا بها. إذ عبر، على سبيل المثال، كادر المخابرات المضادة في (و. م. م) في مطلع عـام ١٩٧٦ عن خشيته من أن يكـون بعض الكوبيين الموجـودين ضمن جدول رواتب (و. م. م) عمـلاء مزدوجين. فالمعلومـات التي قدموهـا كانت جد سطحية وغير نافعة، وكانوا كذلك على اطلاع عظيم بجميع عمليات محطة مدريد التابعـة لـ (و. م. م) والتي كانت على مـدى السنوات الماضية منطلقـاً للعمليات التي استهدفت كوبـا. وتلك دلالة أن تلك العمليات قد تعرضت للمسـاومة عليها او أنها أمست تحت السيطرة الكوبيـة. بيد أن أياً من هذه التحذيرات لم تطـرق مسامع أحد، ولم يحرك أحد صوبها ساكناً.

لقد تلقى العملاء الكـوبيون كما يذكر رودرلز تدريبـاً مكثفاً في كيفية التغلب على جهاز كشف الكذب بعـد أن أعلمهم مدربوهم أن اختبارات جهـاز كشف الكذب لا تعمل مطلقـاً. وإذا مـا فشلـوا في الإختبـارات فبإمكـانهم على الـدوام إقنـاع ضبـاط عمليات (و. م. م) أن عطـلاً ما أصاب الجهاز. لـذا لن يظهر أكثرهم إمارات التـوتر التي يترجمها الجهاز بالكذب.

يعلل رودرلـز المشكلـة في أن ضبـاط العمليات الأمـريكـان الـذين استخلصـوا المعلومات من الكوبيين لم يكونوا أنفسهم على اطلاع بطبيعة الكوبيين ولم يفقهوا الكثير عن ثقـافتهـا كي يتيسر لهم التحقيق مـع اولئك العمـلاء بشكل فعـال. ويضيف في موضع آخـر: «إن جهاز كشف الكذب لأكبر غلطـة، فنحن (في المخابرات الكـوبية)

نسعى لنحظى بالصينيين كي يجندوا لنا الصينيين. نحن لسنا بمتكبرين، وكان لـزاماً على (و. م. م) أن تستخدم الكـوبيين. وإن لم يكن الأمر كـذلك لما كـان بمقدورك أن تكتشف (العملاء المزدوجين). ».

قارن رودرلز هفـوات (و. م. م) بقرارها بالتصعيد لعملية غـزو خليج الخنازير. ويضيف: «إنهم لم يتعرفـوا الى الكوبيين بعـد، فليس بغير الأحمق من يظن أن الناس، عام ١٩٦١، سيخرجون عن دين فيدل كاسترو».

وافق على هـذا القول ضـابط عمليـات سـابق مطلع كثيراً على حقيقـة ما حـدث بقوله: «تتطـور العلاقة بين ضابط القضية والمصـدر، وثمة ميل لفض المشكلات مع المصدر. لقد أدرك الكـوبيون ذلك، وأعلموا العملاء أنهم إذا مـا واجهوا مشكلة مع جهـاز كشف الكـذب فعليهم منـاشدة عميـل القضية: لا تـدع هـذا الأمـر يغلبك، أخبرهم أنك كنت مـرهقـاً. لقد أعطيتهم أحسن المعلـومـات، وإن شيئـاً ما أصـاب الجهاز».

ويقـول ضـابط عمليات سـابق: «إنك تـرغب أن يجتـاز عميلك اختبـار كشف الكذب بنجاح، لأنك لا تود القتال في المحاولة بسبل أخر لإثبات مصداقيته». مؤكداً بقوله هذا أرجحية الكم على النوع في مسألة العملاء.

ويقول ساندرس ضابط العمليات السـابق: «ليس غريباً لضابط قضية أن يقع في غرام عميل. فبمجـرد أن تتطور عـلاقة خاصـة بين ضابط وعميل تنشأ بينهما تـركيبة كيماوية فريدة، حتى ليرفض التصديق أن العميل كذاب او مزدوج وإن اتضحت هذه الحقيقة لديه».

كان مخاض الخداع الكـوبي أن الوكالـة المركزية قـد أهدرت عظيم وقت وأنفقت كثير مال وظلت ،مع هـذا، مشلولة لا تقـدر أن تنال المعلومـات التي كانت بحق في

فـاقـة اليهـا . وأكثر المعلـومـات التي زود العمـلاء المزدوجـون بها (و . م . م) كـانت صحيحة ولكنها لم تضمر ، في الجانب العملي ، إيذاءً لكوبا .

ويذكـر ضابط عمليـات سابق على اطـلاع بتحليل (و . م . م) لما حصل : «قـالوا [الكـوبيـون] لعمـلائهم : (أخبروهم كل مـا يـريـدون) . تكمن خيبـة الظن في أن المعلومـات سيئة . إنها كـانت حقيقية ولم تتسبـب في هفوات سياسيـة فادحـة تستحق الذكر .

عرض التلفـزيون الكـوبي ، غداة شيوع أمـر استقالـة اسبيلاج ، مسلسـلاً أظهر العديد من عمليـات (و . م . م) على الجزيرة طيلة سنوات مضت . لقـد صور البرنامج كيف يلتقط ضباط عمليات (و . م . م) وثائق تـركها لهم العملاء المزدوجون في أماكن نـائية ، او كيف ألقى الضبـاط بمعـدات اتصال متطـورة لعملائهم ، او اللقـاء بهم في الدول الأجنبية لإملائهم بآخر التعليمات .

وفي الوقت الـذي ادعى فيه البرنامـج أن بعض الديبلومـاسيين الأمريكان كـانوا ضباط مخابرات خـارج الوكالة ، فإنهم في الحقيقـة كانوا داخلها . كما عـرض البرنامج الخطط الهمجية التي كان يناقشها ضباط (و . م . م) ، كاستبدال الخزانات الرديئة لخزن الأمونيـا بحيث تتسرب منها المادة الكيماويـة لقتل المحاصيل ، على أسـاس أنها خطط حديثة ومستمـرة للوكالة . بيد أن الـوكالة نبذت ، في حقيقـة الأمر ، مثل هذه الخطط منذ عام ١٩٦٤ .

كان (ريتشـارد . ف . ستولز) يشغل منصب مسـاعد مديـر (و . م . م) للعمليات عندما تم الكشف عن العمـلاء المزدوجين . وهو قد خدم قبل هذا في رومـا وموسكو وميونخ واستنبول وبلغـراد ولندن ، وكان رئيس شعبة السـوفييت شرق اوروبا . لقد أعلم ضباطه أن كوبا نجحت باستغفال الـوكالة المركزية بالعملاء المزدوجين ، بسبب

الضغوط الهائلة التي أحدثها البيت الأبيض والوكالة ذاتها للمضي بعملية التجنيد. كما أوقع ستولز اللوم على مبدأ "الغرور العرقي" ذاكراً أن الوكالة قد حطت من شأن قدرة اللاتينيين كثيراً. وانتقد أيضاً ذلك الإعتماد المفرط على مكشاف الكذب، موضحاً أنه فن وليس بعلم. لقد شرعت (و. م. م)، إبان إدارة ستولز، بالتخلص من العملاء المستهلكين لا المنتجين على النطاق العالمي في محاولة منها لتحسين الكم وخفض النفقات.

صبت (و. م. م)، بعد أن أفل نجم الحرب الباردة، جهودها لكشف خطط البلدان في تطوير الأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية، وهذا واحد من أهم الأدوار التقليدية للوكالة. فإذا ما تكشف لها الدليل عن وجود هذه الأسلحة، تبدأ الحكومة الأمريكية في استخدام الضغوط الديبلوماسية، العقوبات التجارية، او الأسلحة الإقتصادية الأخرى لوقف البرنامج. فمثلاً كانت تايوان تعمل في عام ١٩٨٨ في منشأة سرية يمكن استخدامها للحصول على البلوتونيوم، العنصر الأساس في صناعة الأسلحة النووية، وهو ما يمثل خرقاً لتعهدات تايوان السرية مع أمريكا بعدم تبني أي بحث يهدف الى تطوير أسلحة نووية. وعلاوة على ذلك حذرت الصين الشيوعية أنها ستغزو الجزيرة إذا ما طورت تايوان أسلحة نووية.

جندت الوكالة، مع مضي العمل في المشروع، العقيد (شانغ هايسن لي) العالم العامل في هذا المشروع، والذي انضم، في نهاية المطاف، الى الولايات المتحدة. ونجحت وزارة الخارجية بالإعتماد على المعلومات التي قدمها في ممارسة ضغط ناجح على تايوان، انتهى عام ١٩٨٨ بقبر المشروع.

واليوم تمتلك العديد من الدول القنبلة الذرية، وتحجم الإفصاح عنها. يذكر وليم وبستر: «تمتلك الكثير من الدول الأجهزة النووية او إن بمقدورها أن تصنع هذه الأجهزة بقليل من الذكاء والوقت. والآخرون يطورون تكنولوجيا نووية أساسية

يمكن استخدامها بعدئذ للمتفجرات النووية إذا ارتأت تلك الدولة ذلك. وهناك دول أخرى وضعت أولى الخطى في مجال البحث في التكنولوجيا النووية وتطويرها».

ويظن وبستر أن المخابرات المركزية تقتفي أثر تطورات إنتاج الصواريخ البالستية، معتقداً أن خمس عشرة دولة ستنتج صواريخها البالستية بحلول عام ٢٠٠٠

ناقشت (و. م. م) أيضاً إمكانية الحياة على الكواكب الأخر كجزء من مسؤوليتها. لقد خول وولتر بيدل (و. م. م) عندما كان مديرها، دراسة الأجسام الطائرة المجهولة معلناً «أن لها تطبيقات ممكنة لأمننا القومي».

وتساعد المعلومات الأخرى التي تجمعها (و. م. م) الولايات المتحدة في التنبؤ بالأحداث القادمة او الحصول على كسب في تجارة الأسلحة او محادثاتها. وتهتم الوكالة أيضاً، وعلى نحو دائم، بصحة القادة الأجانب فتراها تسعى أثناء زيارتهم الولايات المتحدة للحصول على عينات لبرازهم وشعرهم والسوائل الجسمية الأخرى كي تحلل في لانجلي لمعرفة مشاكلهم الصحية. كان لـ (كم سانج) المعمر القوي في شمالي كوريا خراجاً في رقبته لم يظهر قط في الصور الشعاعية، فنظمت الوكالة سبيلاً للحصول على تقرير عميل مباشر يكشف ظهوره. كان شيئاً رائعاً.

لقد حاولت الوكالة، على الدوام، معرفة المواقف التفاوضية للدول الأخرى قبل الشروع بمحادثات التسلح او المحادثات التجارية. وتزرع المحطات أجهزة تنصت في غرف الفنادق او في أجهزة الهاتف، مما يساعد وزارة الخارجية في معرفة ما سيحدث قبل أن تبدأ المفاوضات.

حظيت الشؤون الإقتصادية، شأنها شأن قضية نشر الأسلحة، بأولوية كبرى بين أولويات الوكالة منذ أن وضعت الحرب الباردة أوزارها. فهي تحاول، مثلاً، أن تعرف أنواع أجهزة الحاسوب التي تسعى اليابان الى تطويرها. وكان لها، لسنوات

عديدة، موظفاً داخل ديوان رئيس وزراء اليابان. لقد ساعد هذا الموظف ،بما لديه من معلومات داخلية تتعلق بموقف اليابان القادم في المحادثات، وزارة الخارجية الأمريكية لتهيئة مزيد من المقترحات المضادة. إنها أشبه بطريقة (النصف على البائع والسمسار معاً) عندما تتفاوض لشراء منزل.

إرتأت وزارة الخارجية ،لضعف موقفها في تسليم الأسرار الخارجية مباشرة الى نخبة مختارة من الشركات الأمريكية، تقديم تلك المعلومات الى وزارة التجارة مباشرة لتتولى الوزارة بدورها إصدار دليل شامل لجميع الشركات، كأن تصدر على سبيل المثال دليلاً عن التوجه الحالي لصناعة أجهزة الحاسوب اليابانية.

لكن ما الذي يحدث عندما تكتشف أن ما يفعله الجانب الآخر ليس كافياً، سيما عندما تحاول حكومة الولايات المتحدة القيام بدور أكثر فاعلية؟. ذلك يعني أن المصطلح الذي ستنطوي عليه العملية السرية يحمل مضمون التأثير على او الإطاحة بقوة أجنبية او زعيم او حزب سياسي.

الفصل الخامس

لحية كاسترو

يتولى تنفيـذ مهام العمل السـري ، كقاعـدة مطلقة ، الضبـاط أنفسهم في كل محطة للوكـالة والذين يجمعون المعلـومات. وينسق هذه العملية كـادر العمل السري التابع لمديرية العمليـات. وعلاوة على ذلك، فثمة كادر عمليات النشـاطات الخاصة داخل المديريـة والذي يـوجه العمليـات شبه العسكـرية كتلك في أفغـانستان. ويقـدر أحد الضباط الحالـة الإجمالية بقوله أن ٧٥٪ من الـوقت الذي يسلخه ضـابط العمليات في الميدان مكرس لجمع المعلومات، والوقت الآخر للعمل السري.

يستهلك العمل السري في الـوقت الحالي ٣٪ من ميـزانيـة المخـابرات الـوطنيـة الخارجية -حوالي (٥٠٠) مليون دولار)- او ١٥٪ من ميزانية الوكالة المركزية. بيد أن العمل السري يوضح أكثر حالات السمعة السيئة التي حظيت بها الوكالة.

لقد حققت الـوكالة ، بعيد انبثاقهـا، العديد من النجاحـات؛ او ما لاحت كأنها نجاحات. فهي مولت عام ١٩٤٨ الـديموقراطيين المسيحيين في ايطاليا، وآزرتهم في الحيلولة دون تولي الشيوعيين مقاليد الحكـومة. وفي عام ١٩٥٠ ساعد العقيد (ادوارد .ج. لانسديل) ، الـذي اقترض مبلغاً لـ (و.م.م) من القوة الجويـة، القائد الفلبيني (رومان ماكسبـاسي) في سحق عصابات الهوك الذين يسانـدهم الشيـوعيون. وفي ٢١ آب عام ١٩٥٣، أطاحت الوكالـة المركزية بقيادة (كرمت روزفلت) بحكومة الجناح اليساري لرئيس الوزراء الايراني محمد مصدق بعد أن أمم شركة النفط

الأنجلو-ايرانية التي تمتلكها بريطانيا. وبعد ثلاثة أيام عاد الشاه الى قصره بعد أن فر منه الأسبوع المنصرم.

أمست الولايات المتحدة، وهي تحتفل بهذه الإنتصارات، أكثر عدائية. وترجمت جميع التطورات الأخرى المسالمة كدليل آخر أن الإتحاد السوفياتي يوشك أن يمسك بقبضة العالم. لقد ساندت (و.م.م) في حزيران عام ١٩٥٤ في الإطاحة بحكومة الرئيس (جاكوب آربنز) في غواتيمالا، بعد أن أمم (٤٠٠) ألف دونماً من أراضي زراعة الموز المهجورة والتي تمتلكها شركة الفواكه المتحدة. لقد عرض آربنز مبلغ (٦٠٠) ألف دولار عنها، وهو بالتحديد ما أعلنت الشركة أنه قيمة الأرض للأغراض الضريبية. وعلاوة لذلك، فهو تبوأ السلطة بعد فوزه في الإنتخابات الشعبية. بيد أن سياسي آربنز ذوي الميل اليساري، وحقيقة أن بعض المحيطين به هم من الشيوعيين قد ألفتها واشنطن أسباباً كافية للإطاحة به.

إن ثمار العمل السري، لأكثر الحالات، كان مؤقتاً. لقد تبوأ مكان آربنز قادة متهورون أكثر منه، وعاشت غواتيمالا، منذ حينها، في حالة من منهتى الفوضى. وفي ايران، أطيح بالشاه الذي حكم أكثر من خمس وعشرين سنة وحل محله آية الله خميني في عام ١٩٧٩.

بعد الإطاحة بمصدق، وإذا ما افترضنا أن الوصول الى حالة استقرار لفترة خمس وعشرين سنة يعد عملاً بطولياً، فإن عمل (و.م.م) في تنصيب الشاه (كما كتب غريغوري ترفرنون في كتابه "العمل السري") إنما أوثق الشاه وايران معاً بالولايات المتحدة دون أن تكون الفائدة مستقلة لأي منهما. لقد فتح هذا الأمر باباً أمام نوع من الإعتماد النفسي للشاه على الولايات المتحدة، بأن الأمريكان دون ريب قد أحبوه مبكراً حتى وجد نفسه ينوح مبكراً في عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨.

وإبـان ذلك الوقت، استمـر الروس تطفل الـوكالـة المركزيـة في شؤون الـدول الأخـرى الى أقصى نطـاق من التأثير. لقـد اعتبرت الـولايـات المتحـدة امبريـاليـة ومخادعـة، وهل من حـاجة الى دليل أكثـر من حقيقـة أنها حـاولت الإطاحـة بـرئيس انتخب بشكل شرعي.

وسيقول (ديفيد. أ. فيليب) ضابط (و. م. م) السابق الذي غدا بعدها مدير لجنة مخابرات مجلس الشيوخ المنتخبة: «يقـول المدافعون عن العمل السري إننا نحارب من أجل استتباب الحرية والديموقراطية والنمط الأمريكي. وعندما تغوص في التفاصيل تتعجب إن كانوا يتحدثون عن الشيء ذاته.

شرعت (و. م. م) في ١٧ نيسان عام ١٩٦١، بغزو كوبـا في خليج الخنازير وكان فشلاً ذريعـاً. كانت مديريـة العمليات متمكنة جداً بشأن سريـة العملية، حتى أنها لم تستشر مديرية الاستخبارات التابعة لـ(و. م. م) لتقدير رغبة الشعب الكوبي في الثورة ضد كاسترو إذا ما بـدأ الغزو. ولو حصل هذا الأمر لكان رأي المديـرية أن الكوبيون لن يسـانـدوا الغـزو*. وقبيـل الغـزو خلص محللـو (و. م. م) الى نتيجـة أن كاسترو، بمرور الزمن، يزداد قوةً لا ضعفاً.

وحذرت إحدى المذكرات أن كـاسترو (أرسى الآن أقوى ضرباً من السيطرة على ميدان الشعب الكوبي.

لم تتمتع الوكالة المركزية بقوة نارية كافية لإنجاح الغزو، وسببه يرجع ،الى درجة معينـة، الى آخر تقييـدات أصدرهـا الرئيـس كنيدي. وفي الـوقت الذي تكتمت فيـه مديـرية العمليـات بهذا الامر عن بقية أقسـام الوكـالة فقـد تسرب النبأ الى العالم حتى خبرته صحيفة نيـويورك تايمز وآثرت ألا تنشر القصـة. وفكرت (و. م. م) ،في نهاية

---

*كانت مديرية العمليات تسمى مديرية التخطيط.

المطاف، بحماقة غير واقعية أن الغزو سيجنح اليه المغتربون الكوبيون دون علم كوبا أن الولايات المتحدة تساندهم. ويذكر (ريتشارد. م. بيسل) أستاذ علم الإقتصاد في جامعة (بيل) الذي قاد عملية الغزو بصفته مساعد مدير (و. م. م) للعمليات: «أرى شخصياً أن أفدح الأخطاء التي ارتكبناها في هذه العملية كانت تشبثنا بالاعتقاد أن بوسعنا أداء المهمة بطريقة لا يعود الفضل فيها إلى حكومة الولايات المتحدة، وإذا ما تأملنا في فكرة أن تجارتنا لو آتت ثماراً طيبة (دون أن يعزوها أحد لحكومة الولايات المتحده) لوجدنا الأمر لن يعدو غير عمل جدّ سخيف وشيء لا يمكن تحقيقه بالكامل، وكل شيء بهذا الحجم سيأتي باللوم على حكومة الولايات المتحدة حتى وإن رفعت أيديها عن العملية. بيد أننا دفعنا ثمناً باهظاً للتملص في مسألة القدرة العملية. لقد منعونا من استخدام المتطوعين من طواقم القوة الجوية الأمريكية، لذا كنا في فاقة لمثل هذه الكوادر ولم نستطع تجميع قاذفات (ب. ٢٦) ولم نتمكن من الإقلاع من أية مناطق تسيطر عليها الولايات المتحدة (كبورتريكو). ثمة قائمة من المتطلبات لم يؤذن لنا الحصول على متطوعين أمريكان ليذهبوا مع لوائنا الى الشاطيء وهو الذي كان سيأتي علينا بمنفعة كبيرة. لذا أعتقد أننا أخطأنا من رأسنا حتى أخمص القدم، ومع ذلك شرعت وكالة المخابرات المركزية تحت ضغط من الرئيس كنيدي في كانون الأول عام ١٩٦١ بسلسلة من العمليات السرية الأخرى بهدف الإطاحة بكاسترو، ولكن كل عمل كان اسوأ من سابقه. ويذكر تقرير مفتش عام (و. م. م) في ٢٥ .آب. ١٩٦٧ عشرات من المحاولات الخرقاء لإغتيال كاسترو أو إحراجه أمام شعبه. وشملت إحدى هذه الخطط أن (و. م. م) ستلوث بمادة كيماوية هواء منطقة المحطة الإذاعية التي يلقي فيها كاسترو خطاباته وسيؤدي هذا الأمر الى إصابته بردود فعل هلوسيه تشبه تأثير مادة (أل. أس. دي) المخدرة. وانطوت الخطة الثانية على دس مادة كيماوية داخل السجاير التي يدخنها كاسترو بحيث تؤدي الى اختلال مؤقت في الشخصية. وارتأت الفكرة الثالثة إدخال أملاح الثاليوم في أحذية كاسترو كي تسقط

لحيته، ألأمـر الذي تراه (و. م. م) المتآمـرة في شأن تدمير صورتـه الشعبية. إقترحت (و. م. م) في نهاية المطاف إطلاق ألعاب نارية من شاطيء كوبا لتحمل الى السماء صور السيد المسيـح، الأمر الـذي يظهر أن كاسترو يـزدري الله. كـانت الخطـة الأسوأ في إدراج المافيـا لإغتيــال كـاسترو. لقـد طلب بيسل مســاعـد مـديـر العمليـات من (شيفل. إدوارد) مـدير الأمـن الإتصال بقـادة ألمافيـا لهذا الغرض. إتصل إدوارد بـــ (روبرت .أ. مـاهو) المحقق الخاص الذي أشـار الى جون روسلي مساعد قـادة المافيا بعـرض مبلغ ١٥٠ ألف دولار لقاء الإطـاحـة بكاسترو. وافق روسلي على الإتصـال بـ(سالفاتور. سام. كانيكانا) أحد أعضاء المافيا الذي طلب حبوباً مميتة لدسها في طعام كاسترو. صنعت (و. م. م) حبوبـاً تحتوي توكسيناً سامـاً لكاسترو. أرسلـت الوكالة هذه الحبـوب الى المافيا التي اعتـذرت عن إنجاز المهمة لأن مصـدرها في تنفيـذ عملية الإغتيـال قد فقـد منصبه الـوظيفي في مكتب رئيس الـوزراء. لقـد طورت الـوكالـة المركزية أيضاً خططاً لم تنفذها لإغتيال (باتـريك. لومومبو) رئيس ما كان يعرف سابقاً (بالكونغو) وحالياً زائير. إن مؤامرات الإغتيال محظورة الآن، وأول تحريم رئاسي قد تضمنه الأمـر التنفيذي ١١٩٠٥ الـذي وقعه الرئيس جيرالـد فورد في ١٨ شبـاط عام ١٩٧٦. ينص هـذا الأمر أن لا يشترك أي مـوظف حكومي في محاولـة اغتيال القـادة الأجانب. ويسيطر الأمـر التنفيذي ١٢٣٣٣ الذي وقعه الـرئيس ريغان في الرابع من كانون الأول عام ١٩٨١، على نشاطات الوكالة المركزية اليوم. وينص الأمر (لا يحق لأي موظف يعمل لدى حكومـة الولايات المتحدة او بالنيابـة عنها أن يشترك او يتآمر بالإشتراك في أية عملية اغتيال).

حاولت (و. م. م)، غـداة فشلها في كوبا، السيطـرة على الإنتخابات في تشيلي، فأنفقت لهذه العمليـة عـام ١٩٦٤ مبلغ ٢,٦ مليـون دولار لمسانـدة انتخـاب المرشح الديمـوقراطي المسيحي (ادوارد فري) والحيلـولة دون تبـوأ (سيلفادور آلند) مقـاليد الـرئاسة. وأعـادت الكرّة، في عـام ١٩٧٠، بالتصعيـد لانقلاب عسكـري في تشيلي

ومنع تثبيت فوز سيلفادور آلنـد في انتخابات الرئاسة التشيليـة بعد أن أنفقت ٨مليون دولار. وكل هذه المحاولات كانت دون طائل.

سـاهمت (و. م. م) أيضاً بعمليـات عسكريـة وشبه عسكـرية في فيتنـام ولاوس وكمبوديـا وأنغولا ونيكـاراغوا وأفغـانستان التي اعتبر تـدخل الوكـالة فيهـا النجاح الوحيد المتكامل لها.

ومن السهل كما يفعل بعض ضبـاط (و. م. م) إلقاء اللـوم على الرؤسـاء آنذاك، لحثهم الوكالـة على المباشرة بعمليات سرية طائشة. إن كل عمل، تقـريباً، بحاجة الى مصادقة الرئيس وصناع السياسة الذين كانوا يتطلعون لحل سريع لمشكلة اليوم. وجاء في تقرير المفتش العام للـوكالة عن هذه المؤامرات تأكيد درجـة المسؤولية التي شعر بها ضباط الوكـالة أنفسهم بسبب ضغوط إدارة كينيدي الشديـدة عليهم للقيام بعمل ضد كاسترو ونظـامه. «علينـا أن ننظر الى المؤامـرات الماضية العقيمـة وغير الواقعيـة بهذا المنظار». لكن هذا ليس بكـامل القصة. لقد شجعت الوكـالة عادةً البيت الأبيض الى التأمل بنجـاح العمل السري، وطورت خططـاً متهـورة لتنفيذهـا. لقد كـان التفكير قاصراً دوماً إزاء مـا يتوجب إنجازه، وهل ستحقق العملية النتيجـة المرجوة منها. او ماذا سيحدث لو افتضح علناً تورط (و. م. م) فيها.

لقد نـاصر ضباط (و. م. م)، غالباً، العمل السري لا لشيء سـوى أن يكون لهم مأثراً، دون التفكير العميق بمترتبات الأمر الممكنة.

ونتيجـة لمرافعـات لجنـة تشيرش في عـامي ١٩٧٥ و ١٩٧٦ أوقفت المراقبـة الكونغرسية الشديدة العديد من الخطط المتهورة. بيد أن المصادقة على او مناقشة بعض العمليـات السريـة الخطـرة جـداً او القـريبـة لـذلك، قـد تمت ولما أدار وليم كيسي (و.م.م).

والمثال الأول هو خطة ايران- كونترا لتبادل الرهائن بالأسلحة. لم تشترك (و. م. م) نفسها بالعملية ولكن كيسي ومجلس الأمن القومي ساعدا (اوليفر. ل. نورث) معاون رئيس مجلس الأمن القومي، بالإستعانة ببعض الأفراد في الوكالة، لتنفيذ الخطة.

زودت (و. م. م)، في عام ١٩٨٥، معدات اتصال وتدريب الى ضباط المخابرات اللبنانيين الذين ادعوا أنهم مناوئون للإرهاب وسيساعدون في إخلاء سبيل وليم باكلي مدير محطة الوكالة المركزية في بيروت والذي اختطف في ١٦ آذار ١٩٨٤. وافق الرئيس ريغان على الخطة بإقرار استخباري خطي، وهو تخويل رسمي يطلب قبل تنفيذ أي عمل سري. *

بيد أن (جون ماكماهن) نائب مدير المخابرات المركزية عارض هذا الأمر، وقال ان ضباط المخابرات السابقين ليسوا بأهل للثقة، وأن (و. م. م) خاطرت بمساندة أناس قد يقتلون غيرهم.

طلب كيسي من الرئيس ريغان، كما يذكر ماكماهن، سحب إقراره ولما تمض (و. م. م) قدماً في إكمال المشروع. بيد أن الضباط، الذين أوشكوا على الحظو بالمساعدة، دبروا خطتهم الخاصة بقتل الشيخ محمد حسين فتح الله رئيس حركة الشيعة الإرهابية التي تطلق على نفسها اسم (حزب الله) والتي يعتقد أنها مختطفة باكلي. وفي ٥ آذار عام ١٩٨٥ قتل ثمانية أشخاص عندما انفجرت سيارة مفخخة قرب شقة فتح الله في إحدى ضواحي بيروت. لقد نجى فتح الله من المحاولة دونما أذى، ووجه اللوم الشديد الى (و. م. م) لتدبير محاولة الإغتيال.

يقول ماكماهن: «عندما حصل هذا الأمر، مضيت الى بل [كيسي] وقلت: الا

*يشار الى الوثيقة التي تمنح الموافقة الرئاسية للعمل بالقرار، لأنها تبدأ: «إنني ها هنا آمر أن العمليات التالية مهمة للأمن القومي الخاص بالولايات المتحدة».

ترى أيها الطبيب، هذا ما أعني بالضبط. يفعل غيرنـا أموراً لسنا في عيرها ولا نفيرها ولكننا نلام عليها.»

تكـرر نفس الطـراز من المشكلـة في عملية العنقـاء؛ البرنـامج الـذي أداره وليم كولبـي إبان حـرب فيتنام لمعـرفة الفيتنـاميين الشيوعيين المختبئين بين سكـان جنوب فيتنام. لقد جمعت المخابرات الأمريكية ومخابرات جنوب فيتنام المعلومات ونقلتها الى سكـان الجنوب. وفي أكثـر الحالات احتجـز سكان جنـوبي فيتنـام هؤلاء الشيـوعين وحققوا معهم، وفي أحايين معينة قتلوهـم. وعليه تطورت العملية لتنال سمعة (فرقة الإغتيال)، بـالرغم من أن هـذا لم يكن هدفهـا. كما أنسبوا ،عـلاوةً لذلك، ضحـايا الأعمال العسكرية لهذا البرنامج.

قرر كيسي ،حديثاً جـداً، أن تطيح الوكالة في سورنيم بــ(ديـزاير .د. بوترس) قائد شعب أمـريكا الجنوبيـة، لأن حكومته دأبت على تصفيـة قادة المعارضـة، وتجيز استخدام البلد كمنطقة لتبادل نقل الكوكايين. ولم تحظ هذه الخطة أيضاً بالموافقة عليها بعد أن واجهت معارضة في الكونغرس والإدارة.

ويذكـر ماكماهن: «كنا قلقين عما يجرى هنـاك، وكان السؤال هل نبـاشر بالعمل عسكريـاً أم نتولاه نحن؟. حاولنا جمع العـدد الكافي من الأشخاص لتنفيـذ العملية. لقـد فشلت الخطـة، ولا أعتقـد أن العلـة تكمن في البيت الأبيض او مجلس الشيـوخ فحسب. كان ثمـة الكثيرون في الوكالة راودتهم الشكـوك عنها. لقد منحتها الـوكالة محاولة كاملة، أخذت برسم الخطط للشروع بها».

وينفذ حالياً اثني عشر برنامجاً للعمل السري سنوياً، بعضها استراتيجيات واسعة يمكن الشروع بها في عـدة دول. وأغلبهـا جهـود دعــائيـة ذات مستـوى هـابط، او مساعـدات حميدة الى الدول المحـاربة لـلإرهاب والمخدرات. فمثـلاً تقدم (و.م.م)

بطلب من الحكومات، أسلحة ومركبات تدريب وقواعد معلومات لفحص المسافرين أثناء مرورهم بالجمارك. وعلة سرية التمويل أن الدول نفسها لا تريد لشعبها أن يعرف أن الولايات المتحدة تساند محاربة الإرهاب والمخدرات.

وتتألف جهود دعاية (و. م. م) عادة من طبع الكتب لتوزيعها في الإتحاد السوفياتي السابق او إدخال المقالات التي تبغي تحسين صورة الولايات المتحدة، او الأفكار الأمريكية لأقطار يكون وسطها الإعلامي مناد لأمريكا.

ويذكر ضابط عمليات سابق: «كنا نقدم ، إبان الحرب الفيتنامية، كل ما يتيسر لنا مما من شأنه أن يشوه صورة السوفييت والفيتناميين الشماليين. وليس بالضرورة أن يكون كذبة، فربما تكون حقائق لم تجد طريقها للنشر. إن السوفييت يفعلون هذا الأمر دوماً. إن الصدق ، ليعتقد العامة، سلاح أفضل [في الجهود الدعائية]. وفي كثير من الأحيان لا يمكن لك أن تساعد أمريكا عبر الورقة، فكل شيء فيها مناصر للسوفييت وشعوبها لا يفقهون سوى هذا الجانب».

وتجنح (و. م. م) ، في هذا الوقت، الى رفض العمل السري بخلاف ما كانت تفعله قبل جلسات المرافعة للجنة تشيرش. ويقول المساعد السابق لرئيس مجلس الأمن القومي: «على الوكالة أن تنفذ الأمور على أساس قضية تلو الأخرى. فثمة قضايا كانت فيها جد مؤثرة، بينما لم تفعل شيئاً في قضايا غيرها. وربما أتت في بعض القضايا بالرياح المعاكسة. هذا الأمر يعتمد على مشروع التنفيذ وكيفية الشروع به وأهدافك وسياساتك المتوخاة منه. وعملياً فإن كل عمل سري يغدو ، في نهاية المطاف، شائعاً فيتمخض عنه أمراً سيئاً لا طيباً، الا وهو الصورة البشعة التي يلتقطها العامة للولايات المتحدة.

كان التأثير التراكمي القاسي للعمليات السرية لـ(و. م. م) ، وعلى مدى السنوات

الخوالي، هـو أن اللوم يقـع على الوكـالـة كلما حدث شيء مـا سلبي. فصحف الهنـد الكبرى وكذلك المسؤولين الحكوميين باتوا على قناعة مطلقة أن (و. م. م) كانت وراء تدبير عمليـة اغتيال (راجيف غانـدي) التي نفذتها امـرأة من جنوب آسيا في أيـار عام ١٩٩١. وجـاء في تعليق محللي صحيفـة (واشنطن بـوست) في نيـودلهي (إنها لمسألـة عويصة أن تشرح هذا الرأي او تـدحضه، فهو نابع ليس من دليل حي او توقع رصين بل من قناعات عاطفية عميقة الجذور).

يقول سيمونـز الضابط السابق في الوكالة: «لمَ لم يلق النـاس مشقة في تصديق أن ديف فيليب هو مـن قتل كينيدي؟ إنني أعرف ديف جيـداً، ولعمري إنـه لم يخط خيطاً في هذه المؤامرة. ثم إنه رئيس شعبة في الوكالـة وعليه فسيكون هدفاً واضحاً لمثل هذه التهمة. لقد آمن الناس بهذا القول لأن ديف كان عنصراً في الوكالة.».

في ذات الـوقت، ألطخت العمليـات السريـة، أكثر من أي شيء آخـر، وصمـة العار على الوكالة في عقر دارها، فوقفت عقبةً كأداء أمام مسعى الوكالة لتجنيد أفضل الشخصيات الأمريكية او الحصول على مستشارين من الأكاديميات العلمية.

ذكر (روسل. ج. باون) المحلل المتقاعد في الوكالة والذي لما يزل يعمل مستشاراً لها: «يرتبط الموقف السلبي للـدوائر الأكاديمية حيال الاستخبـارات بفشل العمليات السرية الذي أنسبته هذه الـدوائر الى المجتمع الإستخباري فقط. لقد واجهنا كماً هائلاً من التعري تجاه عمليـات سرية مشكوك فيها، وهو مـا ألقى ظلاً على الجانب الإيجابي الذي أنجزه الجانب التحليلي في الوكالة».

يقـول (جورج بـول) نائب وزيـر الخارجية في إدارة كينـدي وجونسـون: «أرى مبدئياً أن من الأهمية بمكان إجهـاض فكرة مناهضة الحروب السرية او الشروع بكثير من العمليـات السرية. عندمـا تخرق الولايـات المتحدة هـذه القواعـد (عندمـا تزرع

مـوانىء نيكـاراغـوا بـالألغـام) فـأنت تكـون قـد جعلت الفـارق بيننـا وبين الإتحاد السوفياتي ضبابياً».

جاء في آخر تحليل أن العمليات السرية لم تساهم الا بالقليل لتعزيز الأمن القومي للولايـات المتحدة. فإذا مـا استحق عمل ما القيـام به فعلينـا القيام بـه أمام الملأ، كما فعلت الـولايات المتحـدة ذلك في إخراجهـا العـراق من الكويت في حـرب الخليج. والولايـات المتحدة في تعقبها للعمليات السريـة إنما تخلد بذلك أسطورة أن نشـاطاتها السرية ستظل دومـاً سريةً، متجنبـةً سؤال نفسها تلك الأسئلـة القاسيـة التي تعودت مواجهتهـا قبل تبني أية عملية علنية. فتلك الأسئـة غالباً ما أفضت الى نتيجـة أن هذه السرية او تلك، لا تستحق نـوع المخاطرة التي تنطوي عليها. إن العمليـة السرية هي الجانب الإستعراضي للنشـاطات الـرئيسة للـوكالـة. إنها الشطر الـذي يستقطب اليه الإهتمام، لكن سوءه في نهاية المطاف أكثر من جدواه.

وعلى النقيض مـن العمليـــات الإستخبـــاريـــة، يمثـل جمع المعلـــومـــات الاستخبارية، الذي هو رزق (و. م. م)، النشاط الأقل خطراً نسبياً. فهذا النشاط لا يؤول الى عنف او تدخل في شـؤون الدول الأخرى، برغم ما ينطـوي عليه من خرق لقـوانين التجسس لتلك الدول. إن دولاً كـالـولايات المتحـدة او الإتحاد السوفيـاتي السابـق، لتنشد من وراء معـرفتها المتـزايدة لما يدور في الـدول الأخرى، دفـع عملية السلام من خلال منعها لأي نوع من جنـون العظمة الذي قد يقود الى الضربة الأولى. ولهذا السبب لم يكن ثمـة نشاط لـوكـالة المخـابرات المركـزيـة يهدف الى تعزيـز الأمن القومي للولايات المتحدة، أهم من معرفة ما يدور في دهاليز الإتحاد السوفياتي.

الفصل السادس

مناطيد الجو

أمسى الإتحاد السـوفيـاتي ،لسبب وجيـه، الغـاية الأولى التـي تنشدهـا وكـالـة المخابـرات المركزيـة طيلة أربعين عـاماً. فقـد أعلن (جوزيف ستـالين) ،بعد الحرب العالمية الثانيـة، الإتحاد السوفياتي منطقة محظورة وشرع ببناء القـوة العسكرية لبلاده. وانطوت خطاباته على مضمون أن الحرب بين البلدان الرأسمالية وتلك الشيوعية قائمة لا محالـة. فاجتـاح السـوفييت عـام ١٩٤٤ هنغاريـا واكتسحـوا عـام ١٩٤٧ بولنـدا ورومـانيـا كما نجح عام ١٩٤٨ انقـلاب عسكـري في تشيكـوسلوفـاكيـا، وشكلت المضايقـة السوفيـاتية عقبة كأداء أمـام العبور الغربي إلى بـرلين. وأخيراً غزت كـوريا الشمالية بـدعم من الصين الشيوعية كوريـا الجنوبية. بعدهـا أسس السوفييت ،لقمع الشقـاق داخل البيت، الشرطـة السريـة التي كـانت الـ KGB في طليعتهـا، والتي اضطهدت بـوحشية عامـة الشعب في منازلهم وغدت تهديـداً استمرارياً فعـالاً خارج بلادها. هنا أيقنت الحكومة الأمريكيـة أن الخطوة اللاحقة للسوفييت ستكون مهاجمة أوروبا الغربية وحتى الولايات المتحدة نفسها.

كان صراعـاً من أجل البقاء أو الفناء، وكان صراعـاً جد مخيب لأنك كنت تجهل بـالـذي يـدور خلف مـا أسماه (ونستون تشرشـل) بالستـارة الحديـديـة. لقـد أعلن السوفييت بلادهم أرضاً موصدة، فكيف إذاً بوسع وكـالة المخابرات المركزية أن تفقه بشيء عما يدور داخل الأرض السوفياتية دون أن يكـون لها هناك أقمار تجسس صناعية

أو طـائرات ذات ارتفـاع طيراني عـالي مثل (يـو ٢). وفي خضـم ذلك الجهل تسلل الخوف للوكالة.

يقول (هـاري روسترك) ضابـط الوكالـة السابق والمسـؤول عن العمليـات ضد الإتحاد السـوفياتي خـلال حقبتي الأربعينـات والخمسينات: «كنـا نجهل حتى أبسط الحقـائق كتلك المتعلقة بـالطـرق والجسور ومـواقع مصـانع الإنتاج ومخططـات المدن والمطارات. وتألفت مواضيع بحوث سلاح الجو الأمريكي من ملفات تتعلق بأهداف المقاطعات السوفياتية والمستقاة من معلومات قديمة من مكتبة الكونغرس».

يقـول محلل سـابق في وكـالـة المخابـرات: «كـان السـؤال الحقيقي الأول الـذي واجهناه والـذي نشأ كنتيجة للحرب الكوريـة هو: كم هو حجم الإتحاد السـوفياتي؟ نحن قد شخصنا أن عدونا هو الإتحاد السوفياتي ولكننا لا نعلم عنه شيئاً. لقد حجبوا عنا كل معلومة وكـانت هناك تجربة كبيرة ونظاماً جديـداً. وكنا نجهل هل سينفع هذا معهم أم لا؟ كم هم قـريبين إلينا في إطـار ما؟ وهل كـان نموهـا سريعاً أم أنها كـانت متوقفة؟؟؟

طلبت (و. م. م) من نفر المسافرين الـذين سمح لهم الروس بدخول أراضيهم أن يبحثوا لها عن مواقع الصواريخ فما فلحوا لها بشيء. ثم حاولت الوكالة أن تجمع سويةً الصور الجوية التي التقطها الألمان للأراضي السوفيـاتية والتي أظهرت اين بدأ الروس بناء منشآتهم العسكرية، لكنها كانت صور منشآت قديمة.

ثم شرعت الوكالـة، في محاولة مستميته منها، بإلقـاء عملاء مظليين من طائراتها خلف الخطوط السوفياتية والذين هم عرضة لحكم الإعدام إذا ما ألقي القبض عليهم لعدم تمتعهم بالحصانـة الدبلوماسية. لقد تجلت صعوبـة أن يتسلل غريباً داخل البلاد بعد أن فرضـت الحكومة السوفياتيـة قبضتها على مجتمعها، وعلمت الوكـالة أن جميع

(غير الشرعيين) قد ألقي القبض عليهم.

إنطوت الحيلة الثانية للوكالة المركزية على إرسال مناطيد استطلاع مزودة بآلات تصوير لتحلق فوق الإتحاد السوفياتي والصين الشيوعية على ارتفاع خمسين ألف قدم، بأمل أن يجرف التيار أحدها الى الجانب الآخر من البلاد، ويعود إليها بصور للمنشآت العسكرية والمصانع. ولكي يتخذ المنطاد شكل منطاد جوي، أضافت إليه الوكالة إشارات تعني في الروسية العودة لأغراض إرصادية. وبناءً على مقدار الفترة الزمنية التي سيستغرقها المنطاد في عبوره قارة آسيا، فقد زودت الوكالة المنطاد بساعة هي نفسها التي ستبعث بالفيلم الى الأرض. وبمتابعة للإشارات اللاسلكية سيكون باستطاعة القوة الجوية التقاط الحزمة التي سيبعث بها المنطاد في الجو والعودة بها الى الأرض. وإذا ما فشلت في التقاطه فسيبقى المرسل يبعث بإشارات تدل على موقع الحزمة لمدة أربع وعشرين ساعة.

أسقط السوفييت بعضاً من هذه المناطيد بينما وقع بعضها داخل الأراضي السوفياتية أو حطت في الأراضي البولندية. لقد أطلقت الوكالة خمسمائة وستة عشر منطاداً عاد منها أربعون فقط محملة بثلاثة عشر ألفاً وثمانمائة وثلاث عشرة صورة لأراضي روسيا والصين الشيوعية، مغطية حوالي ثماني بالمائة من مجموع أراضيهما. وأوقفت الولايات المتحدة المشروع بعد أن عقد الروس مؤتمراً صحفياً وعرضوا خمسيناً من المناطيد التي أسروها.

إنصب اهتمام (و.م.م) حينئذ على تطوير نظام رصد لأي هجوم مفاجيء. في هذه الحالة سيتحتم إطلاق سيارات تجارية وستكون هناك حاجة للعربات المسطحة لنقل الدبابات. وعليه جندت الوكالة أناساً من مكاتب النقل لخطوط سكك الحديد. كانت الوكالة تعلم أين تقع عربات خطوط سكة الحديد وخطوط سفرها الإعتيادية، واستجوبت الوكالة بعض اللاجئين أو المرتدين، إذ أخبرت إحدى العاهرات الوكالة

بموقع للصـواريخ الروسية قـرب موسكو، بقـولها أنها كانت تـرقب تلك الصواريخ وهي في طريقها الى الثكنات العسكرية التي تعمل فيها.

جـاءت اولى وأكبر عمليات تجنيـد الوكـالـة المركزيـة لضباط من الإستخبـارات الـروسيـة عـام ١٩٥٢ عنـدمـا عـرض المقـدم (بيتر بـوبـوف) ، الضـابط في وكـالـة الإستخبارات العسكـرية الـروسية GRU، العمل لصـالح الوكـالـة. سلم بوبـوف للوكالة ،بجانب كشفه لأسماء ضباط المخـابرات الروسية، نسخةً لأحد أولى أهداف البنتاغون المستهدفة. هكذا يقول وليام هوود، ضابط القضية الخاص ببوبوف.

بنت الـوكالـة المركزية في السنـة التاليـة (نفق برلين) الـذي بلغ طـوله ستمائة متر وبـارتفاع ستـة أقـدام وبعمق خمسة عشر قـدمـاً، لغـرض تسجيل المكالمات الهاتفيـة الروسية في ألمانيـا الشرقية. إذ تربط خطوط الإتصال الهاتفية ،البـالغ عددها أربعمائة واثنان وثلاثـون خطاً، القيادة السوفيـاتية العليا في ألمانيا الشرقيـة مع القيادة المشتركة والدائرة الخارجيـة السوفيـاتية في مـوسكو ووحـدات الجيش الأحمر الكبرى في ألمانيا الشرقية، بالإضافـة الى المؤسسات الديبلوماسية والمقرات الإستخباريـة السوفياتية في برلين الشرقية. لقد غذت عملية التقاط تلك المكالمات الوكالة المركزية بالسير الكامل لمعركة (مجموعـة القوات السوفياتية) في ألمانيا الشرقية بالإضـافة الى تعليقات الضباط السوفييت عن قطاعاتهم في ساحة الميدان.

في عام ١٩٦١ تقرب الى الإنجليز في موسكو العقيد (اوليغ نيكوفسكي) الضابط في الإستخبارات العسكرية الروسية. ثم بـدأ في السنة التالية التجسس لصالح الغرب بعد زيـارته للندن. لقـد زود اوليغ وعلى مدى ستة عشر شهـراً المخابرات البريطـانية MI-6 وكذلك (و.م.م) بجميع الحسـابات الجاريـة لاستراتيجيات القوة العسكـرية السوفيـاتية وقدرة الصواريخ التي أحـدثت أزمة الصواريخ الكـوبية في تشرين الأول عام ١٩٦٢، وكـذلك تفاصيل عمليـات الـKGB و GRU الموجهة ضد الـولايات

المتحدة. كما قدم للوكالة المركزية سلسلة من المقالات لمجلة عسكرية (سرية للغاية) تتضمن أسئلة لبعض القادة العسكريين السوفييت تستشف رأيهم في السياسة. هذه المقالات أبصرت الوكالة على ما كان يجول داخل العقلية العسكرية السوفياتية.

لقد تقرب نيكوفسكي أولاً الى ضابط (و. م. م) في موسكو، الذي رفض ذلك التقرب خشية أن يكون نيكوفسكي كميناً سوفيتياً. ثم وبعد محاولة فاشلة أخرى للتقرب من الكنديين، اتصل نيكوفسكي مع (غريفل واين) ضابط الإستخبارات البريطانية السابق أثناء زيارة عمل له الى موسكو. قدم واين ضابط الإستخبارات الروسي الى الـ MI-6 البريطانية. بعدها وافقت الوكالة المركزية أن تساهم في تمويل وإدارة العملية مع الإنجليز.

إن رفض (و. م. م) تجنيد نيكوفسكي لصالحها بادىء الأمر ليقدم دليلاً لحجم الحصانة الكبير الذي زرعه الروس لدى مواطنيهم خشية وقوع مثل هذا الأمر. كانت الوكالة تعلم أن كل سوفيتياً قد يكون مخبراً كامناً للإستخبارات السوفياتية، فظلت (و. م. م) ترقب بحذر أي أعمال استفزازيةً قد تتمخض في طرد ضابطها المعين لدى موسكو. واليوم أدركت أن من الأفضل الوقوف بجانب مبدأ قبول أي عميل، حتى وإن عنى هذا الأمر طرد ضباط لها بين الفينة والأخرى بسبب عملية ابتزاز ما.

توجب آنذاك على مديرية العمليات التابعة لـ (و. م. م) في محاولاتها اختراق الصفوف السوفياتية أن تعتمد تماماً على السوفييت الذين يتطوعون بمحض إرادتهم للعمل التجسسي، سواء أكانوا مجندين في أماكنهم او مرتدين على الإتحاد السوفياتي.

قال ضابط عمليات سابق: «سيقع جميعهم بين يديك بمعونة السوفييت. لست بحاجة لتطويعهم.... سيأتوك بمحض إرادتهم».

إلا أن (و. م. م) لم تمتلك في أي وقت من الأوقات أكثر من عشرين مؤتمناً او

عميلاً لها داخل الإتحاد السوفياتي، وربما كان أكثرهم أهمية (أدولف توكاشيف) العالم السوفياتي الذي ادخرت البحرية الأمريكية ، بفضل معلوماته، مليارات الدولارات حين أبان لها أن الولايات المتحدة وحلفاءها كانوا يسيرون في الإتجاه الخاطىء في برنامجهم الهادف الى تطوير أنظمة رصد ومهاجمة القوات السوفياتية. وعلى مدى سنوات عديدة خلت، تعود توكاشيف أن يترك صورة عن مخططات ونماذج التقنية العسكرية السوفياتية في مواقع الإستلام التابعة للوكالة المركزية والتي تتغير كل شهرين. لقد اتفق الطرفان على إخفاء الفيلم في صخور مزيفة او في براز كلاب يحوي فجوات سرية صممت ببراعة بقسم الخدمات الفنية التابع لـ (و.م.م).

يمثل (فيكتور شيخوف) و(الكسندر اوكرودنك) نموذجين آخرين لعمليات التطويع الكبرى التي حققتها (و.م.م). عمل شيخوف في المديرية الرئيسية التابعة لـ KGB والمختصة بمعالجة الإتصالات الإستخبارية. ثم تخلى عام ١٩٨٠ عن عمله بعد أن عمل لسنوات عميلاً لـ (و.م.م) او مجنداً من مكانه. أما اوكرودنك ،الديبلوماسي السوفيتي، فقد كتب تقارير عن المداولات السوفياتية الداخلية. وجاء في تقارير (فلاديمير فيزوف) الذي كان له اسماً مستعاراً هو (وداعاً Fare Well)، ان الروس قد زرعوا أجهزة تجسس دقيقة داخل آلات الطباعة التي تستخدمها أجهزة الإستخبارات العسكرية لأغراض الإتصال. هذا الأمر أدى الى إجراء فحص دقيق لجميع الآلات الطابعة التي تستخدم لكتابة المذكرات الهامة داخل السفارة الأمريكية في موسكو، وبالتالي اكتشاف نفس أجهزة التجسس تلك.

قلما أفلح ضباط (و.م.م) المعينين للعمل في محطة الوكالة في موسكو في تجنيد عميل روسي، لسبب وجيه هو أن الروس رصدوا تحركاتهم هناك أنما كانت. وبدلاً عن ذلك عمل اولئك الضباط ضحايا لعملاء تم تجنيدهم مسبقاً خلال سفراتهم خارج البلاد، او لعملاء تطوعوا للعمل التجسسي وهم في موسكو. ويقدم

اوكرودنك مثالاً لهذا الأمر، فهو قد تطوع للعمل التجسسي لصالح الوكالة ولما حط به المقام في فنزويلا. ولم يكن ضباط الوكالة المركزية الذين يلتقطون الفيلم من العميل او يتركون الأموال او المعدات داخل الثمار الميتة، هم أنفسهم الضباط المعينين لتلك القضية بل إنهم أي كادر بدا أنه الأقل رصداً للإستطلاع الروسي في ذلك اليوم.

عندما بلغت الحرب الباردة أوجها، برزت شعبة السوفييت -اوروبا الشرقية- بأنها الكادر الأجدر لهذه المهمة التجسسية. بيد أن ضباط الوكالة في موسكو غالباً ما عادوا أدراجهم يبحثون خياراً أفضل بعد أن أمسوا في فاقة الى عميل مجند لهم في الداخل.

وبينما تضم الوكالة المركزية بين صفوفها ضباطاً انطوت مهمتهم على التقاط الوثائق من عملاء جندهم ضباط آخرون غيرهم، فإن هناك كما يقول ضابط عمليات سابق من (و. م. م): «عميل آخر مجند في افريقيا يلتقط الوثائق كما يلتقط الموز من الشجرة. وعليه فإن جميع هؤلاء العملاء يدخلون في منافسة جماعية أحدهم ضد الآخر، وما عليك الا أن تنظر وتقول إن عليك أن تجند عملاء».

وقال ضابط سابق كان يعمل في شعبة السوفييت -اوروبا الشرقية-: «ستظن الصحافة أن الـ SE (شعبة السوفييت اوروبا الشرقية) لا يتنسب إليها إلا الصفوة المختارة، لكن لا أرى مشقة في الإنضمام إليها. إن معظم إنجازات (ضباط الوكالة في موسكو) ليست بتلك الإنجازات المذهلة».

يتخذ ضباط الوكالة في معظم مناطق العالم من أقسام وزارة الخارجية السياسية والقنصلية والإقتصادية ستاراً لهم. بيد أنهم أنسبوا أنفسهم الى العديد من الدوائر الأمريكية الحكومية الأخرى، كالدفاع او وكالة المعلومات الأمريكية كي يجعلوا مهمة رصد الإستخبارات الروسية لهم أكثر عناءً. الا أن وزارة الخارجية نفسها قد ساهمت

في خلق هذه المشكلة بعد أن أبدت اللاإحتراس في الحفاظ على أمن السفارة الأمريكية في موسكو. فقد نجحت الـ KGB في زرع أجهزة تجسس داخل الآت الطباعة المستخدمة داخل السفارة الأمريكية قادرة على نقل مضمون المذكرات المصنفة الى أقرب موقع تجسس تابع لها، ساعدها في هذا الأمر وزارة الخارجية نفسها حين شحنت تلك الآلات الى السفارة الأمريكية القديمة في موسكو عن طريق القاطرات الروسية. لقد أخفت المخابرات الروسية أجهزة التجسس تلك في قضيب من الألمنيوم وضع بشكل أفقي مع الإطار الخارجي للآلة الطابعة، وقد قطع القضيب من نصفه ثم أعيد صبه الأمر الذي منع تماماً رؤية الشق الفاصل بين النصفين. كما عجزت أشعة إكس عن رصد هذه الأجهزة لأن مادة صنعها كانت من نفس الكثافة المصنوع منه الإطار الخارجي للآلة الطابعة.

كما فشلت عمليات الكشف الإكترونية الدورية على بناية السفارة ومحتوياتها على كشف تلك الأجهزة التي كانت تختزن المعلومات ثم ترسلها بشكل متقطع. فتلك الأجهزة كانت تحت سيطرة السوفييت ولما ترسل المعلومات، والذين إذا ما شعروا بوجود عمليات تفتيش داخل السفارة أغلقوا (عن بعد) تلك الأجهزة. وعلاوة على ذلك، استخدمت الإشارات الشفرية نفس ذبذبة البث التلفزيوني السوفياتي، مما جعل من المتعذر رصدها طالما أنها من نفس الطول الموجي للمحطة التلفزيونية. لقد اكتشف الأمريكان تلك الأجهزة بعد استخدامهم أجهزة مسح متطورة جداً كانت تمطر المادة المراد مسحها بالنيوترونات.

في هذا الوقت، زرع السوفييت أجهزة تجسس جديدة في السفارة الأمريكية الجديدة في موسكو، لقد كان تصميمها ينم عن عبقرية فذة، إذ جعلوها جزءاً من مادة البناء يصعب إزالتها. كان غرض الروس الأول من عمليات التسلل الإلكترونية تلك هو معرفة ما يجول في عقلية (و.م.م) وبما يمكنهم من تولي زمام المبادرة واتخاذ

إجراء مضاد ضد الوكالة المركزية.

لقد أبعد الروس ،وعلى مدى السنوات، عشرات من ضباط الوكالة في موسكو بتهمة التجسس، وأعلنت في آذار من عام ١٩٨٣ (ريتشارد اوسبورن) السكرتير الأول في السفارة الأمريكية شخصاً غير مرغوب فيه في موسكو، بعد أن زعموا أنهم أمسكوه متلبساً بجرمه التجسسي حاملاً معه أجهزة تجسس بضمنها معدات راديوية تستخدم (لبث معلومات تجسسية عبر القمر الصناعي الأمريكي للإتصالات -ماريسات-). وماريسات هو نظام ماريتم للإتصالات عبر القمر الصناعي والذي يستخدم في عمليات الإرسال التجارية والبحرية. كما ادعى السوفييت أنهم وضعوا أيديهم على (مذكرات اوسبورن الخاصة) والتي كتبها على وسادة مصنوعة من الورق السريع الذوبان في الماء.

وفي حزيران من عام ١٩٨٣، أبعد السوفييت (لويس توماس) الملحق الأمريكي في السفارة والخبير في الإلكترونيات، بعد أن ألقوا القبض عليه متلبساً بجرمه التجسسي المشهود. وطردوا أيضاً في أيار من عام ١٩٨٥ (ميشيل سيلر) السكرتير الثاني في السفارة الأمريكية لدى موسكو، بعد أن نشرت له صحيفة (ازفتيا) صورة تنكر فيها بزي اوكراني ومرتدياً شوارب مزيفة وشعراً اصطناعياً.

أبعدت السلطات السوفياتية أيضاً في حزيران من عام ١٩٨٥ (بول ستومبوف) بعد أن أمسكت به وهو يتسلم وثائق من ادولف نوكاشيف الذي أعدمه فريق إعدام روسي فيما بعد. لقد زودت وكالات الإستخبارات الأمريكية ،طبقاً لما نقلته وكالة تاس، نوكاشيف بكاميرات جد صغيرة لتصوير الوثائق السرية وبأجهزة إرسال واستقبال وأجهزة حل الشيفرات وأنواع خاصة من السموم. لقد تمت المساومة بنوكاشيف مقابل (ادوارد لي هاورد) الضابط السابق بـ (و.م.م) والذي ارتد الى الروس بعد أن طردته الوكالة لإدمانه على تعاطي المخدرات.

لم يكن لوكالة الإستخبارات الروسية الـ KGB إلا القلة القليلة من النسوة الضابطات، وكثيراً ما ملكتهم الدهشة لاستخدام الأمريكان لهن في هذا المجال. وربما كان ذلك هو السبب الذي حدا بـ (و. م. م) الى تعيين العديد منهن في موسكو وإحداهن كانت (مارثا بيترسون) التي أبعدها الروس عن أراضيهم بتهمة العمل بصفة ضابط عمليات للعميل اوردونك.

أبعد الروس أيضاً ضابطاً آخراً من الوكالة ولما كان يجرب جهاز الإرسال (آرني ٨٠٤) الذي بإمكانه إرسال عشرة آلاف إشارة الى الأقمار الصناعية على شكل انفجارات شفرية لا تستمر سوى بضع ثواني. وقد سبق للاستخبارات القومية أن صادرت مثل هذا الجهاز قبل بضع سنوات. وأبعد ضابط آخر بعد أن دفع أموالاً لرجل سبق وأن تم إرساله الى موسكو بصفة مقاول، واختفى ثم عاود الظهور مطلع الثمانينات. لقد زعم الرجل أن الروس قد ألقوا به في السجن ثم أطلقوا سراحه بعد أن قضى فيه بعض الوقت، وأنه يرغب الآن باستلام رواتبه المترتبة على الوكالة والتي قررت الإتصال به ودفعه الأموال التي يستحقها، برغم معرفتها أن هذا ربما شكل استفزازاً للسلطات الروسية. لقد أخطأت الوكالة في تقدير ولاءات عملائها هذه المرة، فالرجل كان يعمل لصالح السوفييت. فبمجرد أن وصل ضابط المخابرات الأمريكي الى موقع اللقاء المحدد حاملاً معه الأموال التي يستحقها العميل، تكشف له أن الـ KGB كانت تترقب قدومه.

نجحت (و. م. م)، بمساعدة وكالة الأمن القومي NSA، في التقاط العديد من الإتصالات المدنية والعسكرية في موسكو. فهي قد زرعت، بجانب المعدات التي نصبتها على الطريق العلوي لبناية السفارة الأمريكية في موسكو، جهاز تجسس داخل جذع شجرة خارج موسكو لالتقاط البث ذي الموجات القصيرة وتحويلها الى جهاز استقبال آخر. ونصبت أيضاً جهازاً آخر داخل بالوعة، استخدمته لربط الخطوط

الهاتفية العسكرية السوفياتية. بيد أن السوفييت اكتشفوا ، نهاية المطاف، كلا الجهازين.

إن الصعوبات الجمة التي واجهتها الوكالة المركزية في تجنيد العملاء داخل موسكو قد حدت بها الى تنفيذ العديد من العمليات المثمرة التي كانت أصلاً موجهةً ضد الإتحاد السوفياتي في بلدان أخرى من العالم. لكن الإعداد والتنسيق لتلك العمليات تكفلت به شعبة السوفييت- اوروبا الشرقية التابعة لمديرية العمليات، برغم أن تنفيذها تم على يد محطات الوكالة المحلية في تلك البلدان.

تنقسم شعبة السوفييت- اوروبا الشرقية الى أربعة مجاميع وهي: مجموعة (سي. آي CI) المسؤولة عن شؤون الإستخبارات المضادة، ومجموعة العمليات الداخلية التي يتركز عملها داخل الكتلة السوفياتية، ومجموعة العمليات الخارجية التي أخذت على عاتقها مسؤولية مراقبة نشاطات الكتلة السوفياتية في العالم. أما المجموعة الرابعة والأخيرة فهي مجموعة التقارير المسؤولة عن معالجة التقارير الإستخبارية المتعلقة بالإتحاد السوفياتي. وتضم الشعبة ، بالإضافة الى هذه المجاميع الأربعة، (قسم الإسناد) المكلف بمراقبة الأمن وتأثيث مكاتب الشعبة وشؤون كادرها. وتنيط الشعبة مهمة النشاط السري بأحد أعضاء هيأتها الإدارية. وهذا النشاط يشمل طباعة الكتب وباقي المنشورات الصحفية وتوزيعها داخل الإتحاد السوفياتي دون أن تخضع المنشورات لراقبة (و. م. م).

انطوى الهدف الرئيس لشعبة السوفييت- اوروبا الشرقية في الحصول على المعدات العسكرية السوفياتية التي ربما تركها السوفييت مكشوفة في مناطق لا يتوقعون وصول (و. م. م) إليها. فقد حصلت الوكالة على الأسلحة السوفياتية التي هجرها الروس بعد انسحابهم من غانا عام ١٩٦٦ . وعلى مدى عقد من الزمان، حصلت الوكالة على آخر التقنية العسكرية الروسية عن طريق عائلة الديكتاتور

الروماني السابق تشاوشيسكو.

نشرت وزارة الدفاع الأمريكية قائمـةً مصنفةً بأنواع الأسلحة وقطع غيارها التي ترغب بالحصول عليها. وشملت القائمة جميع أنواع الطائرات السوفياتية، وأدرجت الوزارة في القائمة أيضاً الأسعار التي ترغب بدفعها عن كل مادة. ساعد هذا البرنامج (و. م.م) في الحصول على الصواريخ السوفياتية أثناء حرب فيتنام، وصممت طرائق لإرسال إشارات مخطوءة الغرض منها تضليل أنظمتها التوجيهية.

هكـذا نجحت (و. م. م)، بفضل معرفتهـا المسبقـة بما يفعله الجانب الآخـر، في تغذية الإدارات الأمـريكية المتعاقبة للبيت الأبيض بالمعلومـات التي مكنت الولايات المتحدة على المبادرة بإجراءات دفاعيـة، وأن تبدد من نفسها المخاوف التي ربما أفضت الى ضربات عسكرية وقائية.

قال (إدوارد برولتـور) الذي شغل منصب نائب مديـر (و. م. م) للإستخبارات للفترة من ١٩٧١ ولغاية ١٩٧٦: «كـان نجاحنا أننا تحاشينا حربـاً متوقعة، وذاك هو النجاح الساحق».

شرعت (و. م. م)، بعـد أن وضعت الحرب الباردة أوزارهـا وآثرت الـولايات المتحدة أن تغـدو صديقاً لـلإتحاد السوفياتي لا عـدواً له، في نقل مصادرهـا من شعبة السوفييت- اوروبا الشرقية الى مناطق أخرى من العالم. وهي، وكي تنجح في التنسيق لتلك الأولويات، أسست مـراكز خاصة صبت جلّ اهتمام مـديريات الوكـالة مجتمعةً في آخر المشاكل الدولية مثل الإرهاب والمخدرات.

الفصل السابع

أهداف جديدة

تجلى الأمر ، بعد أن ألقى مكتب التحقيقات الفيدرالي القبض على (فواز يونس)، الإرهابي اللبناني الذي اختطف طائرة في مطار بيروت الدولي، كأن المكتب قد حقق ضربةً موفقةً غير متوقعة أخرى. عمل يونس، تاجر السيارات المستخدمة، حلقة اتصال مباشرة مع قيادة مليشيات أمل الشيعية ونجح في الحادي عشر من حزيران عام ١٩٨٥ في (إغتصاب) طائرة نفاثة تابعة للخطوط الملكية الأردنية. لقد عامل يونس حرس الطائرة بوحشية بشعة، وأمر طاقم الطائرة أن ينقلوه وأتباعه الى تونس لتسليم رسالة الى اجتماع أعضاء جامعة الدول العربية المنعقد هناك. بيد أن السلطات التونسية رفضت السماح للطائرة المختطفة بالهبوط في أراضيها، فأمر يونس الطيارين أن يعودوا به الى بيروت. هنا سمح يونس لركاب الطائرة بمغادرتها وأصدر أمراً الى أتباعه بنسف الطائرة بعد أن قرأ بياناً بضرورة إبعاد الفلسطينيين من لبنان، أرضه المحصنة. كان بين ركاب الطائرة ثلاثة أمريكان أطلق سراحهم دون أذى.

أمسك مكتب التحقيقات الفدرالي بيونس بعد مرور سنتين على الحادث حين أغووه صوب طعم نصبوه له في يخت يبلغ طوله واحداً وثلاثون قدماً قبالة ساحل قبرص. أما الحقيقة التي بقيت سراً آنذاك، فهي أن وكالة المخابرات المركزية هي من أزل قدم يونس في خطوته الأولى صوب اليخت.

أمسى تدخل الوكالة في مثل هذه العمليات ممكناً بفضل توجيه إستخباري

مصنف، والموسوم بـ(العثور) الـذي وقع عليه الرئيس رونالد ريغان في كـانون الثاني عام ١٩٨٦ . خول هذا التوجيـه (و. م. م) بتشخيص الإرهابيين الذين اقترفوا جرائم ضد الأمريكان خارج الولايات المتحدة والإتيان بهم الى أمريكا لمحاكمتهم. لقد نجم هذا الفعل عن تـوصية قدمتهـا قوة المهام التي تـولى إدارتها (جورج بوش) الـذي كان آنـذاك نـائب الرئيـس. أصدر بعـدهـا الكـونغـرس تشريعاً خـول بمـوجبـه مكتب التحقيقات الفيدرالي بـاستقصاء جميع الأعمال الإرهابية التي ارتكبت ضـد الأمريكان ومطاردة أولئك المسؤولين عنها أياً كانوا من بقاع العالم.

أسس في تلك السنة، وليـام كيسي (مدير و. م. م) مـركزاً لمكافحـة الإرهاب، وضع نصب عينيـه هدف لم شعت جميع مـديريـات الوكـالة لتـواجه الإرهـاب معاً، وكذلك تنسيق جهـود (و. م. م) مع باقي الوكـالات الفيدرالية لنفس الغـرض. وقد تأسست حينها ثلاثة مراكز أخرى اضطلع أولها بمحاربة المخدرات وتولى الثاني توجيه الإستخبـارات المضـادة بينما أخـذ الثـالث على عـاتقـه مهمـة تنسيق المعلـومـات الإستخبارية المتعلقـة بانتشار الأسلحة النـووية ومنظومات النقل، أي أنـه مركز لمنع انتشار الأسلحة. شكلت هذه المراكز الثـلاثة ،برغم أنها انطوت تحت لواء (و. م. م) أو تحت لواء مديريـة العمليات بالنسبة لمركز الإستخبارات المضـادة، بؤرة لنشاطات المجتمع الإستخبـاراتي بـالتنسيق مع عشرات الـوكـالات الإستخبـاريـة الحكـوميـة الأخرى. فقد أوكل النظـام الإستخباراتي للولايات المتحـدة بمدير وكالـة المخابرات المركـزية مهمـة تنسيق العمل وإخضـاع ميزانيـة كل وكـالة ضمن الميـزانيـة المركزيـة للمجتمع الإستخباراتي.

شغل (دوي كـلارج) ،ضـابط العمليـات المسعـور الـذي تعـود أن يـدخن سيجـاراً كبيراً ويعمل ست عشرة سـاعــة في اليـوم، منصـب أول مـديــر لمركــز الإستخبارات المضـادة الذي نجح ،بفضل إدارة كـلارج، في الإتيان بيـونس صوب

الشرك المزروع لـه. أمـا أداة تلك الخطـة فهـو (جمال حمدان). كـان حمدان ،المخبر في إدارة تنفيذ المخـدرات، يعرف يـونـس مسبقاً. وفي آذار عـام ١٩٨٧ بدأت (و.م.م) تدفع له مبالغ لقاء تجديد علاقته بيونس.

أجرى الطرفان على مدى الأشهر السبعة التالية حوالي ستين مكالمة هاتفية ولقاء، نجحت (و.م.م) في تسجيل معظمهـا. وبطريقـة مهذبـة خـاض يونس في تفـاصيل اشتراكه بعملية اختطاف الطائرة الى صديقه حمدان وأوجز يونس في لقاء له داخل شقة حمدان في قبرص: «دخلت الى الطـائرة وأغلقت مقصـورة الطيار. جلس الـركـاب، دون استثناء، على أرضية الطائرة وأيديهم فوق رؤوسهم. طلبت المضيفة وسألتها عن رجـال الأمن.. كـانـوا ثمانية.. أنـزعتهم أربطـة العنق وشـددت بها أيـديهم خلف ظهورهم ثم شرعت بضربهم بعد أن أخـذنا منهم أربع رشاشات وثمانيـة مسدسات. لقد أبقيناهم موثقين هكذا ثماني وأربعين ساعة.

زرع حمدان ،بتوجيـه من (و.م.م)، لدى يونس فكـرة أن بإمكانـه أن يجعل منه ثـريـاً وأقرضـه في دفعـة واحـدة أربعـة آلاف دولار حتى أخبره في نهاية المطـاف أنـه سيتعرف بـواسطته (أي بـواسطة حمدان) الى تـاجر مخدرات اسمـه (جوزيـف). كان يـونس عندئذ عـاطـلاً عن العمل ومكلف بإعـالة ولـديـه الشـابين فلم يتوان بقبـول العرض.

نظم حمدان موعداً للقاء يـونس في الحادي عشر من أيلول في فندق (شيراتون) في ليماسول ــ قبرص في صباح الثالث عشر من ذات الشهر. إستقل كلاهما قارباً بخارياً سريعاً من حوض الفندق حتى وصلوا بعد مرور ساعة ونصف الساعة المياه الدولية. وهناك صعدوا على ظهر يخت اسمه (سكوتك كيلـو) ،أرسته هناك البنتاغون. كانت تستلقي على ظهر اليخت فتاتان جذابتان، من عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي، بيد أن يونس لم يتعـرف إلى (جوزيف) بل تلقفه اثنان من عمـلاء آلـ FBI من تحت قدميه

ودفعا به الى ظهر اليخت فسقط يونس على معصميه وانكسرا. بعدها أخبر (ديمتري دروجيتسكي)، عميل ألـ FBI الخاص الذي يجيد تكلم العربية بطلاقة، يونس أنهم القوا القبض عليه بتهمة القيام بعمل إرهابي ضد مواطنين أمريكان وسيأخذ الى الولايات المتحدة للمحاكمة.

أدين يونس بالتآمر واختطاف رهائن وبالقرصنة الجوية، وصدر عليه الحكم بالسجن مدة ثلاثين عاماً يقضيها في سجن (ليفنورث) الفيدرالي في كنساس.

لقد اضطلعت (و. م. م) بمكافحة الإرهاب حتى قبل تأسيس مركز مكافحة الإرهاب التابع لها عام ١٩٨٦. فقد استولى، على سبيل المثال، في الرابع من كانون أول عام ١٩٧٦، سبعة إرهابيين من (ملوكان الجنوبية) مسلحين بالمتفجرات والبنادق والمسدسات والسكاكين على القنصلية الأندونيسية في أمستردام، مطالبين الحكومة الهولندية بالإعتراف بجمهورية ملوكان الجنوبية غير الموجودة في أندونيسيا. وأخذوا واحداً وعشرين طفلاً كانوا متوجهين الى مدرستهم الموجودة في نفس البناية رهينةً لديهم، بالإضافة الى خمسة عشر آخرين. مد الإرهابيون سلك متفجرات حول الغرفة التي يحتجز فيها الرهائن وهددوا بتفجيرها. هنا قررت شرطة أمستردام أنها ستقتحم السفارة إذا ما قتل أي من الرهائن. في هذه الأثناء أرسلت (و. م. م)، بموافقة الحكومة الهولندية، فنياً تمكن من الوصول الى الطابق التحتي للسفارة بعد أن زحف إليه عبر أنبوب البالوعة. وهناك نصب جهاز تنصت على أحد الجدران، فبات بمقدور (و. م. م) أن تسمع ما كان يدور بين الإرهابيين. بعد بضعة أيام، انطلقت من إحدى البنادق رصاصة داخل السفارة واستعدت الشرطة الهولندية لاقتحام السفارة، وهو ما كان يعني مقتل العديد من الرهائن. لكن جهاز التنصت التقط أن الرصاصة انطلقت عن طريق الخطأ من إحدى بنادق الإرهابيين. ظل الإرهابيون داخل المبنى خمس عشرة يوماً، أطالت معهم الشرطة صبراً حتى استسلموا بعد هذه

الفترة، وقضى واحدهم حكماً بالسجن لمدة ست سنوات. وهكذا أنقذت الوكالة أرواحاً بفضل معرفتها بما كان يدور في داخل السفارة.

يملك مركز مكافحة الإرهاب الذي اتخذ له مقراً في الطابق السادس من بناية (و. م. م) القديمة في ماكلين كادراً يبلغ قوامه مئتي موظف، بالإضافة الى عشرة آخرين من بقية الوكالات مثل الـ FBI و NSA، وإدارة الطيران الفيدرالي وكذلك وزارة الدفاع. يدرج المركز، كواحدة من مهامه، قوائم بأسماء المنظمات الإرهابية وطبيعة تهديداتها في نظام حاسوبي متوفر لدى باقي وكالات الحكومة ويعرف باسم (دسست) والذي يتولى إدارته كادر على مدى عقارب الساعة.

نسق مركز مكافحة الإرهاب جهود الحكومة الرامية للتحقيق في قضية تفجير الطائرة (بان أمريكان الرحلة ١٠٣) التي انفجرت قبل أربعة أيام من أعياد رأس سنة ١٩٨٨ فوق لوكيربي- اسكوتلندا، وأدت الى مقتل جميع ركابها البالغ عددهم (٢٥٩) راكباً، بالإضافة الى طاقمها. توصلت (و. م. م) الى نتيجة مفادها أن مسؤولين ليبيين رفيعي المستوى، بضمنهم أخ الرئيس الليبي معمر القذافي، قد أمروا بتفجير الطائرة وكذلك طائرة الجامبو الفرنسية في منتصف عام ١٩٨٩. فقد أدركت الوكالة أن لهذه التفجيرات علاقة بقصف المقاتلات الأمريكية لمدينة طرابلس الليبية عام ١٩٨٦.

يعمل مركز مكافة الإرهاب، في مسعاه لمنع الإرهاب، خلف الكواليس. فإذا ما سافر إرهابي على سبيل المثال أعلمت (و. م. م) جميع البلدان التي يمر بها في خط رحلته بذلك. وهنا يتوقف الأمر بحال تلك الدولة، كأن ترفض دخوله أراضيها او أن تمسك به إذا كان هارباً دون أن يعلم أحد بدور (و. م. م) بذلك.

قبل بضع سنوات، اقترحت (و. م. م) على وزارة الخارجية الأمريكية أن تصدر تهديداً يكشف حقيقة أن بلداناً مثل هنغاريا كانت تساعد في تمويل عمليات منظمة

(أبو نضال) الإرهابية، بالسماح لها ببناء شركات داخل هنغاريا. كما اتضح فيما بعد أن هنغاريا قد منحت حق اللجوء السياسي عام ١٩٧٩ لأحد الإرهابيين الدوليين المعروف باسم (كارلوس). وافقت وزارة الخارجية على الخطة التي انطوت على رسم مسودة (ورقة بيضاء) تشرح تورط هنغاريا في هذا الأمر، وقد أثمرت الخطة.

قال موظف في وزارة الخارجية: «لقد اكتشفنا أن لدينا سلاحاً جديداً، لقد برهن نجاحه في كل قضية بعد أن لقينا بفضله تعاوناً من المعنيين».

لقد أفلح جداً هذا العمل المنسق، مما حدا بوليام وبستر أن يشرع بتأسيس مركزين آخرين أحدهما لمكافحة المخدرات والآخر لتنسيق المعلومات الإستخبارية المضادة. وتأسس في أيلول عام ١٩٩١ مركزاً آخر لمنع انتشار الأسلحة تولى إدارته (ريتشارد كير) الذي كان يشغل منصب المدير المؤقت لـ(و. م. م). يضم مركز مكافحة المخدرات الذي رأسه (هاورد هارت) ضابط العمليات السابق، بضع مئات من الموظفين من (و. م. م) شرعوا يعملون في مكاتب بلا توقف في الطابق التحتي من بناية مقر الوكالة الجديد. ويتألف الكادر من مترجمي صور ومحللي سياسة وضباط عمليات وفنيين. كما يضم المركز ممثلين لجميع المنظمات الإستخبارية الحكومية الأخرى ووكالات حماية القانون الفيدرالية، يتم اختيارهم للعمل في المركز مدة سنتين ثم يستبدلوا بغيرهم.

يجمع المركز المعلومات المتعلقة بتجارة المخدرات لتستفيد منها بعدئذ وكالات حماية القانون للمساعدة في القبض على تجار المخدرات ومحاكمتهم. ويتعقب المركز، بمساعدة الأقمار الصناعية، عمليات شحن المخدرات عبر أعالي البحار ويعين على نحو دقيق جداً مواقع المختبرات وكذلك الحقول التي يمكن أن ينمو فيها نبات الكوكا وباقي المخدرات. تنقل بعدها هذه المعلومات الى وكالة حماية القانون المحلية ليتخذوا بشأنها الإجراء المناسب، ولقد كان مركز مكافحة المخدرات هذا وقت اندلاع حرب

الخليج واحداً من أكثر المستفيدين من الأقمار الصناعية التابعة لوكالة المخابرات المركزية.

يتولى مركز الإستخبارات المضادة، شأن المركزين الآخرين، مهام واسعة النطاق. تركزت جهود المركز، الذي ترأسه أول الأمر (كاردنر. د. هانوي) (كأس) الذي شغل قبل هذا منصب رئيس شعبة السوفييت- اوروبا الشرقية وكذلك رئيس محطة (و. م. م) في موسكو، على مقاومة مساعي الأجهزة الإستخبارية المعادية داخل الولايات المتحدة او خارجها. لقد تداخل عمل المركز، الى درجة ما، مع مهام (المكتب الأمني) المسؤول عن حماية الوكالة وأسرارها.

تحمل العقلية الحديثة لـ (و. م. م) ذكرى سيئة لطريقة العمل التي جلبها (جيمس آنجلتون) الى مركز الإستخبارات المضادة. فهنا يطفق سوء فهم ينطوي على ضرورة أن ينحدر ضباط الإستخبارات المضادة من سلالات مختلفة، وهو ما يجعلهم في محل شك أن جنون العظمة قد أصابهم. هذه النظرة غالباً ما يشار إليها (بعقلية الإستخبارات المضادة). وتلك قضية، فالذين يمسكون بالجواسيس ليسوا بأقل او أكثر موضع للشك عن اولئك الذين يمسكون بالقتلة وسارقي المصارف والمجرمين.

لقد وقفت عقلية آنجلتون المتغطرسة، حجر عثرة أمام مساعي (و. م. م) لاستثمار جميع المعلومات المستقاة من المرتدين، وهو في ذات الوقت قد زرع شكوكاً حول كل من يملك في جعبته شيئاً يتعلق بالإتحاد السوفياتي ليسحق بذلك جهود الوكالة في تجنيد العملاء. فهو قد رفض التصديق أن هناك شقاقاً بين الشيوعية الصينية والسوفياتية، حتى بعد أن تشابك جنود البلدين وقتل كلاهما عدداً من الآخر. بينما أصر على تصديق (أناتولي غولستين) ضابط الـ KGB السابق الذي ارتد عام ١٩٦١، برغم أن جميع الدلائل أكدت أن غولشتين قد حاك قصصاً لتتوافق مع مفاهيم آنجلتون المسبقة.

أيقن آنجلتـون أن استجـواب المرتد سيجلب شبهـات على (و . م . م)، لأن هـذا سيكشف أسرار الـوكالـة. بيد أن الـوكالة ،في حقيقـة الأمر، لم تسـأل مرتـداً سؤالاً سيأتيها بـالمعلومـات، وإنما اكتفت بأسئلة ربما يتوقعهـا أي فرد بـالإعتماد على منصبه فتجنبوا إماطة اللثـام عن كل معلومة. فسؤال الوكالـة ،على سبيل المثال، لمرتد ما إن كان لدى وكالته (رجال الظلام)، لا يعني بـالضرورة أن الوكالة نفسها تمتلك مفتاحاً أن واحداً ما موجوداً لدى تلك الوكالة.

ووفقاً لما نقلـه (توم مانجلود) فإن أنجلتـون استقر في رأيه على معلـومات تتعلق بعمليـات التجسس الكبرى للبلدان الخارجيـة كان مصـدرها الإسم الشفـري لعميل يعمل لصالح الـ FBI وهو (نيك ناك)، أكثر من أن يكون مصدرها المرتد المفضل لديه غولستين. كان نيك ناك ضابطاً في الاستخبارات العسكـرية السوفياتية عمل مؤقتاً في نيويورك ومواقع أخرى مطلع الستينات ومرةً أخرى مطلع السبعينات.

تسببت المعلومـات التي أدلى بها نيك ناك ،بعد أن رفع حليفه أنجلتـون الحجاب عن تلك السجلات بعد سنوات، في إلقـاء القبض على قائد الدفاع الجوي السويسري السابق (لويس جينماير) عام ١٩٧٦، وكذلـك اعتقال حلقة تجسس داخل فرنسا عام ١٩٧٨. واقتضت معلـومـات نيك نـاك ،التـي نقلهـا مكتب التحقيقـات الفيـدرالي مباشرةً الى الإنجليز، الى تـوجيه أصابع الإتهام الى (فرانك بوسـارت) الضابط السابق في القوة الجوية الملكية البريطانية، والـذي عمل مهندساً في بحوث الصواريخ الموجهة في وزارة الحرب.

إن أي طـرف ،سـواء أكـان ضابطـاً في (و . م . م) او عميـلاً لمكتب التحقيقـات الفيدرالي، كان سيواجه عقوبة الفصل من الوظيفة وربما تحقيقاً جرمياً أيضاً لو كان قد أخفى معلومات سرية كهذه.

لقد أشرف أنجلتون على مجموعة من أسوأ الحماقات ، التي تعرت فيما بعد على يد لجنة تشيرش، كان بضمنها برامج فتح الرسائل البريدية بين الولايات المتحدة والكتلة السوفياتية، وكذلك إعداده أضابير للمنشقين الأمريكان. هذه المعلومات ، بالإضافة الى كونها تمثل خرقاً لميثاق الوكالة المركزية، لم تنفع الوكالة بمثقال ذرة. فهي لم تمط اللثام عن هويات الجواسيس الروس ولم تجد الوكالة أي تورط خارجي في الحركة المناهضة للحرب خلال مرحلة الستينات. إن كل ما فعله أنجلتون لم يكن مجرد هدراً للوقت، بل إنه الحماقة بعينها. فبعد أن كشفت صحيفة (رامبارتس) عام ١٩٧٦، على سبيل المثال، أن (و . م . م) كانت تمول إتحاد الطلبة القومي، كتب أنجلتون تحليلات مطولة لمضامين مقالات هذه الصحيفة. وكتب في ملحق مذكرته التي بعث بها الى مكتب التحقيقات الفيدرالي أن الصحيفة قد قست علينا كثيراً (من لسانها اليساري الجديد حتى مخرجها الهادف الى دعاية سوفياتية. وقد استند في رأيه هذا على عدد المرات التي ظهرت فيها مثل هذه المقالات في الصحيفة المذكورة... عدد المرات التي أطلقت على الولايات المتحدم تسمية (المريض)... كم مرة ذكرت الصحيفة أن الحكومة الأمريكية الحالية (فاشستية)... وعدد المرات التي ادعت أن (الكنيسة الكاثوليكية) كانت رجعيةً وهرمية... وعدد المرات التي نشرت فيها أن (و . م . م) والـ FBI (شيطانين).

لم يتسبب أنجلتون بإلحاق الأذى بالوكالة بعد أن أوصد باب مصادر المعلومات الكامنة وتجاهله لمعلومات سرية وإساءته لحقوق الأمريكان واتهامه غير العادل لموظفي الوكالة بالتعاون مع الأعداء، بل إنه لم يفلح قط في الإمساك بجاسوس. فقد أصبح ، إبان عهد أنجلتون، (كارل كوشير) ضابط وكالة الإستخبارات التشيكية موظفاً في (و . م . م) وتولى مهام ترجمية حساسة، وكان هو الذي ساوم على الكسندر اوردونك الديبلوماسي السوفياتي رفيع المستوى الذي كان يعمل للوكالة، ومع هذا لم يعلم أنجلتون بهذه القضية التجسسية التي تمت داخل وكالته.

التقى المؤلف أنجلتون في نيسان عام ١٩٨٧ ،اي قبل شهر من وفاته، وتطرق الى موضوع كوشير. لقد كان هناك رجل الظلام داخل الوكالة المركزية، تم استئجاره قبل سنة من أن يتقدم أنجلتون باستقالته مجبراً، وهو الذي ألحق فيها بعد ضرراً كبيراً بالوكالة. لم يظهر أنجلتون ذرة اهتمام حيال القضية، فهي بالنسبة له مجرد لعبة، فكوشير ليس برجل الظلام الذي ينشده أنجلتون. ولأنه كذلك فليس ثمة مبرر ليبدي تجاهه أي اهتمام.

أدرك وليام كولبي بعد توليه رئاسة الوكالة أن مضرة أنجلتون على الوكالة أكثر من نفعه لها. وعليه أخبره في كانون الأول عام ١٩٧٤ : «ستغادر الوكالة الآن لبعض الوقت». وقد توفي أنجلتون في الحادي عشر من أيار عام ١٩٨٧ .

كان أنجلتون ،وبرغم جميع هفواته، رجلاً ذكياً ولبقاً وشاعراً. وهو لما يزل يحظى بالعديد من الأصدقاء من ضباط الوكالة المتقاعدين في عهده. كانت مساهمته العظمى للوكالة هو حصوله بواسطة (الشين بيت، وكالة الأمن الداخلي الإسرائيلية) على خطاب خروتشوف في عام ١٩٥٦ الذي شجب فيه جوزيف ستالين لوحشيته الإجرامية وسوء إدارته الحكومة. بيد أن أنجلتون لم يحظ بمن يدافع عنه من ضباط الوكالة المعاصرين.

قال ضابط عمليات تقاعد حديثاً: «أعتقد أن كثيراً من الأمور حدثت إبان عهد أنجلتون ما كان لها أن تحدث. فهو كان يرقب الطلاب ويحتفظ بقوائم للأسماء ويفتح الرسائل».

قال وليم ويبستر في آخر اجتماع صباحي عقده مع المراسلين الذين عملوا في المجال الإستخباراتي وقبل أن يعلن استقالته من إدارة الوكالة عام ١٩٩١ : «أعتقد أن الإستخبارات المضادة بإدارة أنجلتون كانت برنامجاً لبناء الريبة أكثر من بنائها درعاً

وقائياً، وهو ما كان يجب أن يكون غايتها، والتي هي عليه اليوم».

ولا أعتقد أننا نكـون قد حكمنا بالعـدل إذا ما وضعنا اللوم على كـاهل أنجلتون وحده. فمعظم الإساءات التي تورط بها قد صادق عليها مدراء (و.م.م) في عهده، وكذلك المدعي العام الأمريكي. ولم تكن الإستخبارات المضادة الساحة الوحيدة التي تحلت بمثل هذه الإساءات.

الفصل الثامن

الفيل المتشرد

في السابع عشر من حزيران عام ١٩٧٢، سطا عدد من اللصوص على مقرات اللجنة القومية الديموقراطية الكائنة في بناية دائرة ووترغيت في واشنطن. استدعى أحد رجال الأمن شرطة المنطقة الذين قبضوا على اللصوص فوراً. وقد اتضح بعد انتشار حكايتهم أن معظم المشتركين في عملية الإقتحام هم ممن كان لهم ارتباط بـ (و. م. م). إذ كان (جيمس ماكورد) قد استقال من دائرة الأمن التابعة لمديرية الإدارة عام ١٩٧٠، كما استقال (ي. هوارد هنت) بنفس السنة من مديرية العمليات. وجندت (و. م. م) (برنارد باركر) حين كان موظفاً لدى الشرطة الكوبية، وبعد ذلك عمل لصالح هنت حين كان الأخير في (و. م. م)، وتوقف عن نشاطه لصالح الوكالة في عام ١٩٦٦. وأما (يوجينو مارتينو) فقد كان موظفاً متعاقداً مع (و. م. م) وما زال يتسلم راتبه من الوكالة حين حصل الإقتحام.

تجلى الأمر بعدئذ أن الوكالة لم تكن تعرف شيئاً عن حادث الإقتحام. غير أن علاقة اللصوص مع الوكالة غذت الشكوك في أن الوكالة قد فقدت زمام السيطرة على شؤونها. لقد نالت هذه الشكوك حيزاً واسعاً من التصديق بسبب تنامي عدم الثقة بالحكومة كنتيجة لأسلوب الحكومة في إدارة حرب فيتنام. بدأت هذه الشكوك بالظهور في عام ١٩٦٧، حين أفشت مجلة (رامبارتس) خبراً مفاده أن (و. م. م) كانت تقوم بتزويد الأموال الى (رابطة الطلبة القوميين) لاستخدامها في مساعدة جموع الطلبة

للحيلولة دون هيمنة الشيوعيين على منظمات الشباب الدولية. هذه السلوكية لم تشكل خرقاً لميثاق الوكالة بعكس سلوكيات أخرى مثل فتح البريد او السماح بتسلل جماعات منشقة. إن دعم منظمة أمريكية لم يعن أن (و.م.م) متورطة في (نشاطات أمنية داخلية). غير أن تقديم الأموال أهاج شيطان الوكالة الذي كان يحاول التأثير على أمريكا أكثر من الأهداف الخارجية التي من المفروض بالوكالة أن تحكم قبضتها عليها، والأكثر من هذا أنه أثار الشكوك في عيون كل من الأمريكان والأجانب في أن مؤسسات أمريكا ربما لها ولاءات مزدوجة، واحد لمدرائها والآخر لـ (و.م.م).

وعلى المدى البعيد سلط الفساد لمؤسسات أمريكا تهديداً للحريات الأمريكية أكبر مما لو حصل أن أحرز الشيوعيون لهم موطىء قدم في موسسة الشباب الدولية. وفي النهاية، إنها صورة أمريكا كموطن للحرية التي كان لها أكبر التأثير على الدول المتناحرة بين الشيوعية والديموقراطية. ورداً على ما كشفته مجلة (رامبارتس)، عين الرئيس جونسون لجنة من ثلاثة أعضاء برئاسة المدعي العام السابق (نيكولاس كاتزنباتش) للنظر في القضية. وقد أوصت اللجنة بايقاف هذا التمويل، ومنذ ذلك الحين شدد الرؤساء على تلك السياسة.

ومن ثم أبانت تحقيقات ووترغيت ارتباطات عويصة أكثر لدى (و.م.م). إذ أقدمت الوكالة على تزويد هوارد هنت بشعر مستعار وآلة تصوير وجهاز تبديل الكلام ووثائق شخصية مزورة ،بما في ذلك إجازة سوق، لأجل استخدامها أثناء اقتحام مكاتب (جويس فنلدنج) الذي هو الطبيب السابق لـ (دانيال الزبرغ) في أيلول ١٩٧١. لقد أمر البيت الأبيض أثناء حكم نيلسون البدء بعملية الإقتحام غير القانونية هذه، لمعرفة المزيد عن تورط الزبرغ في تسريب وثائق البنتاغون الى صحيفة نيويورك تايمز.

سعى الرئيس نيكسون بعد ذلك الى استخدام (و.م.م) في تغطية ارتباطات

البيت الأبيض بعملية اقتحام ووترغيت. وعليه استدعى مساعدوه (ريتشارد هلمز) الذي كان آنذاك مدير (و. م. م) الى البيت الأبيض، وأخبروه أن نيكسون يرغب منه أن يستدعي (باتريك جراي)، مدير FBI بالوكالة، ليملي عليه عدم تتبع بعض النتائج الأولية لحادث اقتحام ووترغيت لأنها ربما تفشي عمليات (و. م. م) او مصادرها. أخبر هلمز المساعدين أن القصة ليست صحيحة ورفض ذلك، وهذا ما حدا بالرئيس نيكسون أن يقيله من الوكالة المركزية ليكون سفيراً في ايران.

وبزيه البسيط، استبدل نيكسون هلمز بـ (جيمس شليسنجر)، الذي لم يكن مرشحاً للمشاركة في أية عملية سرية. لقد تسبب فضح تورط (و. م. م) في اقتحام مكتب طبيب الزبرغ البدني الى إناطة شليسنجر بمنصب مدير (و. م. م)، للتأكد من عدم حصول نشاطات محظورة أخرى، والذي أصدر أمراً في مارس ١٩٧٣ صاغه كولبي، الذي كان نائب المدير للعمليات، يوجب على موظفي (و. م. م) كتابة تقرير عن أية شكوك خامرتهم أن قوانين او ميثاق (و. م. م) قد تم خرقه. وكانت النتيجة هو ما تمت الإشارة إليه بـ (مجوهرات العائلة)، وهي ٦٩٣ صفحة بالآلة الطابعة وكل صفحة او اثنتين مكرسة لخرق محتمل.

أحال كولبي، بعد ترشيحه خليفةً لشيلسنجر في إدارة الوكالة، القائمة الى الكونجرس، ظاناً أن ذلك هو السبيل الأنسب لحل المشكلة. وانطلاقاً من مفهوم (لا تسمع شراً ولا ترى شراً)، قرر رئيس اللجنة مع أولئك الذين ناقش معهم قضية المجوهرات إبقاء الأمر سراً. وكتب كولبي في مذكراته (الرجال الشرفاء): «كان هناك إجماع عام على أن خبايا الماضي ينبغي أن تترك للماضي، كي تمضي الوكالة قدماً في عملها الايجابي حاضراً ومستقبلاً».

بعد مرور سنة ونصف شم (سيمور هرش)، من صحيفة نيويورك تايمز، رائحة القصة. وفي محاولة لوضع الأمر في نصابه، اجتمع كولبي بهرش ونجح في تسوية

الأمر معه، ومؤكداً في ذات الوقت على الأساس الذي اعتمده هرش وطوره بنفسه وقدر ما يتعلق الأمر بتلك الإساءات. أسفرت القصة، التي وردت في صدر الصفحة الأولى من عدد الصحيفة الصادر في ٢٢ كانون الأول ١٩٧٤ والموسومة بـ (تقرير عن عملية كبيرة لـ (و. م. م) داخل أمريكا ضد القوى المناوئة للحرب، منشقون آخرون في سنوات نيكسون)، عن سنتين من التحقيقات والإضطرابات داخل الوكالة. وبينما اتضح أن معظم ما ورد في القصة لم يكن خرقاً لميثاق الوكالة او أنها ليست بذي أهمية، فإن (المجوهرات) قد احتوت على ديناميكية كافية لإحداث تغير دائمي في بنية الوكالة وطريقة أدائها العمل.

لقد بدأت الوكالة، طبقاً للوثائق والتحقيقات التالية، برنامجاً في عام ١٩٥٢ بكشف البريد من والى الإتحاد السوفياتي. وفي عام ١٩٥٣، شرعت بفتح بعض من هذا البريد خارقةً التشريعات الفيدرالية. وبحلول عام ١٩٧٣، كانت (و. م. م) تفحص (٣, ٢) مليون قطعة بريد كل عام، وصورت (٣٣) ألف ظرف، وفتحت (٨٧٠٠) منها.

في عام ١٩٦٧، أسست (و. م. م) مجموعة عمليات خاصة داخل الوكالة لإعداد تقارير عن المنشقين المحليين. وأدى البرنامج، الذي أطلق عيه بذكاء (العملية الفوضوية)، الى تراكم (١٣) ألف ملف بضمنها ملفات عن (٢٠٠, ٧) مواطن أمريكي. وتضمنت الوثائق الموجودة في الملفات أسماء (٣٠٠) ألف مواطن ومنظمة أمريكية، جمعت كلها كجزء من مهمة أمنية داخلية، وهو تماماً ما حظره قانون سنة ١٩٤٧ الذي أسس (و. م. م).

وثمة ميدان ثالث لسوء الإستخدام وهو برنامج (و. م. م) لتجريب المخدرات للسيطرة على سلوك الضحايا الجاهلين، وهو ما يمثل خرقاً للقانون الجنائي. لقد انتحر (فرانك اولسن)، وهو عالم مدني في الجيش، في ٢٨ ايلول ١٩٥٣ بعد أن أعطته

الوكالة مادة (LSD) دون علمه، وبعد أن تجاهل ضابط الوكالة المسؤول عن التجربة مراجعة سجله الطبي، ولم يكن في ذات الوقت يعرف أن اولسن كانت لديه نوايا انتحارية خلال الأعوام الخمسة الفائتة.

وأخيراً، أودعت الوكالة في دهاليز سجونها (يوري نوسينكو)، الضابط برتبة رائد في الـKGB الذي هرب الى أمريكا في عام ١٩٦٤، لمدة ثلاث سنوات ونصف، لأنها وببساطة لم تصدق أن المخابرات السوفياتية ليس لها ضلع في اغتيال جون كيندي.

قال كولبي: «إن ما أرعبني أكثر من أي شيء آخر هو فكرة أن و.م.م تستطيع خلسةً احتجاز رجل في السجن. لقد أوقفت جثة هارس القيام بمثل هذا الأمر قبل عدة قرون خلت».

وإذا ما افترضنا أن هذه الممارسات غير القانونية ليست جد سيئة فإن سخافة العديد من العمليات كانت مثيرةً للدهشة والأمثلة الرئيسية على ذلك هي المحاولات الكثيرة الفاشلة لاغتيال كاسترو وجهدها المجنون لتجنيد المافيا ومساعيها الحمقاء لإحراج كاسترو بين شعبه.

شكل هذا التعري لنشاطات الوكالة الحد الفاصل بين سياستين وانتهى أن فرض الكونغرس نظاماً صارماً لمراقبة نشاطات الوكالة وإجراءات قاسية داخل الوكالة نفسها للتأكد من أنها لا تزال تسير ضمن نطاق القانون. حتى ذلك الحين كان تشريع الوكالة يصدرعن لجان فرعية عن مجلس الشيوخ ومؤسسات البيت الأبيض ولجان التحقيقات. وعلى صعيد الممارسة، وعلى مدى زمن طويل منذ تأسيس الوكالة، شكل رؤساء اللجنتين وحفنةً من كبار أعضائها لجنة خاصة للمراقبة تولت إتخاذ جميع القرارات الأساسية منطلقين من مفهوم أن الأفضل للوكالة أن نعرف أقل شيئاً عن

عملياتها.

أفضت قصة هيرش الى تشكيل لجنة الرئيس يترأسها نائب الرئيس (نيلسون روكفيلر) للنظر في تلكم الإساءات وكذلك تشكيل لجنة تحقيق في مجلس الشيوخ برئاسة السيناتور (فرانك تشيرش) ولجنة ثالثة برئاسة الديموقراطي النيويوركي (اوتسبايك).

يقول (روبرت سيمونس) وهو مدير سابق للجنة مجلس الشيوخ للإستخبارات: «قبل ذلك [لجنة تشيرش] كان الإشراف غير موجود فعلياً. إنهم لم يشاؤوا أن يكونوا مسؤولين عنه. وإني لأعتبر ذلك فشلاً للكونغرس الذي لو حاول أن يوسع سلطته على الوكالة مبكراً لما حصلت بعض هذه المشاكل إطلاقاً».

يتفق هيلمز مع هذا الرأي بقوله: «إن جزءاً من المشكلة في الأيام الاولى هو لجان المراقبة وبخاصة رؤساؤها الذين أرادوا أن تبقى الوكالة مجهولةً لأكبر حد ممكن. وفي واقع الأمر، قال السيناتور ستينس بعد أن أصبح رئيساً للجنة القوات المسلحة: (إنك تقوم بعمل عظيم في الوكالة إذ لم أر اسمك في التقرير طيلة ستة أشهر). تلك كانت فكرته التي ينبغي عليك أن تبقى صامتاً حيالها».

ومع ذلك كان ل(و. م. م) دوماً شركاء في هذه الأنشطة العجيبة سواءاً أكانوا رؤساء ام موظفين في مجلس الوزراء. فبرنامج جمع الملفات عن المنشقين قد تم تبنيه بناءاً على ضغوط من الرئيس جونسون، كما أعلم المدعي العام (جون ميشيل) وثلاثة من كبار مسؤولي مكاتب البريد ببرنامج فتح البريد قبل الشروع به. وأخيراً كان الرئيس كيندي ومعه المدعي العام الذي شغل منصبه آنذاك روبرت كيندي على معرفة بالجهود المبذولة لاغتيال كاسترو إن لم يكونا هم من خول بها.

يوضح هلمز: «إن كل ما أعرفه هو أن جاك كيندي وأخاه كانا عازمين مصممين

على إشراكنا في هذه المحاولات (للتخلص من كاسترو). وإذا أردتني أن أخلع سترتي وأريك الضربات التي نلتها بسبب ذلك فسأكون سعيداً. وإذا ما تأملنا في الحادث لوجدناه دون ريب خطأً فاضحاً، غير أنهما أصرا على المضي فيه».

وبنفس الطريقة أمر كل من جونسون ونيكسون وم. م أن تشترك في التحقيق مع المنشقين.

أشار هلمز: «كان جونسون مقتنعاً تماماً بوجود أموال وتأثير أجنبيان سبباكل هذا الإضطراب من جانب الطلاب، ولم تجد معه نفعاً كل الطرائق التي تحدثنا بها اليه في صلب هذا الموضوع. لقد كان مؤمناً بما يقول، ولا ينطبق قول غير هذا على الرئيس نيكسون. تلك هي الكيفية التي بدأ بها الأمر اي أن نكتشف إن كان قولهما صحيحاً».

لما يزل كثير ممن اشتركوا في تلك النشاطات المشبوهة يدافع عنها. يعلق (كورد ماير) وهو ضابط سابق في و. م. م: «كان دعم رابطة الطلبة القوميين هو الشيء الصحيح. فإذا كان مخاضه عدم الثقة فعليك أن تختار بينهما اي أن تتجه لتكملة الدراسة في الخارج او أن تتأمل الأفضل فقط».

قال ريتشارد بيسل، الذي أشرف على عملية الطلبة باعتباره نائباً لمدير العمليات: «كانت تلك عملية ناجحة للغاية لمحاسبة المجموعات التي تمولها الشيوعية، وهي ليست عملية لها ما يبررها فحسب بل فعالة تماماً، وكنت سأصفق لها هذا اليوم برغم أنها ستغدو أقل ضرورة لو وقعت. إذ ينبغي تنفيذها بطريقة مختلفة غير أنني أرغب أن أرى تلك المقدرة يعاد بناؤها».

لعل أفضل حالة للنظام الحالي للمراقبة هي تلك التي أوضحها بيسل ،في حالة من اللاوعي، وهو الذي أدار المحاولة الفاشلة لغزو كوبا في خليج الخنازير عام

١٩٦١ حين صرح مجادلاً ضد مصادقة الكـونغرس على بعض العمليات السرية: «إن الحاجة الى تبليغ الكونغرس لها تأثير خانق إذ عليك أن تفصل له ولموظفيه دقائق المهمة بأكملها».

فإذا كـان ذلـك صحيحـاً، ألم يكن ممكنـاً تجنـب الفشل المريع وزهق الأرواح في خليج الخنازير لو تطلب الأمر مصادقة الكونغرس؟؟.

يعترف بيسل: «لو كان علينا أن نفعل ذلك في خليـج الخنازير فإني أشك في إلغاء العمليـة وبإمكـانك أن تقـول أننا كنـا سنقف في الطليعـة وسنمضي قـدمـاً، ولكنك ستحسن صنعاً لو ألغيـت العملية الثالثة وفقاً لمبـدأ أن ذلك السبيل يختصر علينا بعض الآلام. ها هنا لن نقوى حالاً أن نقود منظمة على أساس ذلك الإفتراض».

أن رد بيسل مجرد رد إخباري، فهو يمحو السبب الحقيقي لفشل عملية الخنازير: إنه الغطـرسة. واستنـاداً لتعليل بيسل يسمو ضبـاط و.م.م على أنهم فقط من يعرف الخير للبـلاد، فالـرئيس المنتخب ليس سـوى ممثل للشعب لا شأن لـه كي يشكك في حكمة الوكالة.

ذكر جون بروس: «كان بيسـل واثقاً من أن بمقدور الوكالة أن تفعل أنى تشاء».

يقول (روسل باومن)، المحلل السابق في و.م.م: «تعـودوا في الأيام السابقة أن يجربوا الشيء قبل الشروع بـه إذا وجدوا فيه سبيلاً لـلإنجاز، فكل ما كانـوا يتطلعون إليه هـو النجاح قصير الأمـد غير مكترثين أن هذا النجـاح يمكن أن يكـون فشلاً على المدى البعيد. فقد أعلنوا أن عملية غواتيمالا كانت نجاحاً مقضياً، غير أن غواتيمالا لم تزل تصارع حكومات غير مستقرة حتى اليوم».

ومثل ما هو متوقع، أصاب ضبـاط و.م.م لسعة من التحقيقات وولدت لديهم

شعـوراً بالإمتعـاض ووجـد أغلبهم ممن اشترك في تلك الإسـاءات أن كولبي خـائن لمساعدته في نشر المجوهرات.

قـال هيلمـز: «لقد اتفقنـا على الـدوام أن هـذا الهراء سيبقى سراً طالما أننـا نـدلي بشهادات صـادقة وتفصيلية الى لجان المراقبة. فلما تفشى الكثير من ذلك الكـلام أمام مرافعات لجنة تشيرش بدا الأمر لكثيرين منا خيانةً للإتفاق الذي قطعناه بيننا».

روى كولبي بعد حين: «يشاطرني البعض أسلـوب معالجتي المشكلة واعتقد نفر آخر أن تلك هـي الطريقة الـوحيدة وتمنى آخـرون لو أنها لم تحصل وكنت أنـا بين هذا الفريق». وهو يقصـد أنه تمنى لو أن و.م.م لم تتورط مطلقاً في النشـاطات التي شعر أنه قد أدخلها دائرة الضوء مكرها.

ذكر (إدوارد بـروكتر)، النائب السـابق لمدير و.م.م لـلإستخبارات: «حكمت لجنـة تشيرش على نشاطـات و.م.م في السنين العشرة او العشرين سنـة السابقـة وفق معايير تم وضعها بعـد عشر او عشرين عاماً في إطار جـو سياسي معين. فكانت تهرع الى الرئيس في كل صغيرة وكبيرة. امـا أعضاء لجنة البيت الأبيض فليسوا سـوى زمرة من المهرجين. وتتمتع لجنـة مجلس الشيوخ بوجـود بعض الناس الطيبين الذين كـانوا يتطلعون الى الحقيقة بينما آثر الآخرون منهم أن يصنعوا لقباً لأنفسهم».

إن أكثر مـا أغاظ ضباط و.م.م هـو تأكيد تشيرش -الـذي سحب فيما بعد- أن الوكالة (فيل متشرد)، مشيرين بقولهم هذا الى حقيقـة أن جميع تجاوزات الوكالة تقريباً قد صـادق عليها الـرؤساء في حينهـا. والأكثر من هـذا أن أغلب تلك الإسـاءات قد أحجم عنها مع بدء مرافعات اللجنة. إن الصـورة التي ترسخت أكثر في أذهان الناس هي صورة تشيرش عـابساً وماسكـاً بسلاح قاذف للسمـوم تم العثور عليه في دهـاليز الوكـالة المركزيـة. والحقيقة أن الوكـالة لم تستخدم المسـدس وهي نفسها التي جلبت

إنتباه اللجنة اليـه بعد أن وجدته لا يتطابق مع الصـورة التي ظهرت في ملفاتها، والتي هي وصف لتجـربة قـام بها الجيش لتحـديـد سرعة انتشـار السم في منظـومة الطـرق الفرعيـة لمدينة نيويـورك. لقد خلق هذا انطبـاعاً أن و. م. م كانت تسير في الطـرقات الفرعية وتنشر السموم.

قال (وليـام ميلر) الـذي شغل منصب مـدير مـلاك لجنة تشيرش ولجنـة الشيوخ المختارة للإستخبارات: «لم أعتقد مطلقاً أنها كانت فيلاً متشرداً وكم تجادلنا حول هذا الأمر. كـان تشيرش مقتنعاً بذلك بيد أني لم أكن أشـاطره تلك القناعـة بل شعرت أن حكومات البيت الأبيض كانت تعلم بـ (هذه التجاوزات) وهي في المهد. لقد توصل تشيرش الى حكم قبل أن يتوفر لديه كل الدليل وهو قد طرح ذلك التعليق بعد أن نظر الى بضعة قضـايا مجنـونة كان أبطـالها أشخاصـاً هاربين. غير أن ذلك ليس بـالنموذج المطلق. فهـو محق في ناحيـة ما، بسبب وجـود قضايـا يدير شـؤونها رعاة البقـر وهي خارج سيطرتهم ولكنها قليلة جداً».

يشجب ضباط و. م. م، وعلى النقيض من مواقف أولئك المتورطين في تجاوزات الوكالة، تجاوزات الماضي لظنهم فيها غير ضرورية وحمقاء، ثم أن أغلبهم لم يكن يعلم بها ولم يتورط بها ولما كانت قيد الإنجاز.

قال (هربرت ساندرس)، ضابط و. م. م السابق موضحاً خطة نشر صورة السيد المسيح فوق كوبا: أظن بوجود عدد من المعتوهين الذين يعتقدون أن عمل المخابرات الناجح يتألف من بعض المحـاولات الصبيانية لإحراج كـاسترو بين شعبه. وعلى اية حال، لا أعتقد أن اي شخص سيعطيك (سنْتين) مقابل هذا التصرف الآن. اذ يوجد في عالم المخـابرات الحديثة اهتمام أقل بالـوسائل البارعة الجديـدة واهتمام أكبر بالعمل المخابراتي الجاهد وفق أساليب تقليدية. إنها مسألة ان تكون واثقاً من قدرتك».

يقول (جون مكماهون)، الذي عمل بمنصب نائب مدير و. م. م للعمليات تحت إدارة كيسي: «خيمت على الوكالـة المركزية غمامة من الكآبة لأن المعلـومات الدائرة في أروقتها قـد تفشت للعامة. إنها المرة الاولى التـي يعرف فيها عـدد هائل من المواطنين بعض ما قامت به الوكالة، وهذا أمر ٠٠٠ يصطف مع المخدرات ليكونا أبغض شيئين لكل إنسان.

يضيف مكماهون: «استحقت الوكالة معاقبتها عن ذلك الشيء النتن. وبرغم أن من فعلوها مجرد حفنـة أفراد وهم عصبة من الحمقى، تبقى الحقيقـة أن الجو العام هو الذي منحهم فـرصة ذلك السلوك. وهذا يفسر لم وقفت نصيراً متحمساً لمبدأ المراقبة التي هي أقوى حماية للوكالة».

ومثلما قد يتـوقع المرء، حصلت أغلب تلك الإساءات في مديريـة العمليات التي هي الدائرة السرية المخصصة لانتهاك قوانين البلدان الأخرى. لقد أثارت هذه الحقيقة السؤال عما إذا كان بمقـدور الأفراد الذين ينخرطون في صفـوف الجاسوسية بمحض إرادتهم إطاعة قانون هذا البلد او ذاك.

هنا يقول سـاندرس: «ليس بالضرورة أن يحسن المبشرون أداءً في الوكـالة. فربما تقتضي طبيعة العمل أن تسـافر عبر البحار وتنتهك القـانون (القـانون الأجنبي وليس القانون الأمريكي) وربما توجب عليك أن تخدع وتسرق وتنطق ببعض الأكاذيب على أنك تعمل لصالح منظمة جبانة غير و. م. م. ويمكن ان يكـون هذا وجوداً إنفصامياً جيلاً، فما كل فرد بمستطيع أن يبقي على قطعة تدور في الإتجاه السليم».

غير أن خيرة الضباط يبقون الأشياء في وضعها الصائب.

يقول سـاندرس: «قـد ينفقون أغلب ساعـات نهارهم ساعين الى حسـاب كيفية التقاط رموز الشيفرة من السفارة السوفياتية المحلية. ولكن ما ان تغيب الشمس حتى

أذن وقت انصرافهم ليصطحبوا زوجاتهم وأطفالهم الى دور السينما».

يضيف ساندرس: «لا أظن أن أحدا داخل و.م.م قد واجه مشكلة مع الإشراف والتنظيم المسؤولين. إن المشكلة هي في الإشراف غير المسؤول وتلك هي الغمزات والايماءات والموافقات الايحائية (لا أريد سماع مثل هذه الأشياء.. لا تقل لي هذا.. إنني بحاجة لإنكار اية معرفة بذلك). ولكن إذا ما أخفقت عملية ما شرع هؤلاء الأشخاص عينهم في مهاجمتك».

يرى (كوتس)، مدير ملاك لجنة الشيوخ المختارة للاستخبارات وضابط و.م.م السابق، أن و.م.م ما كانت يوماً فيلاً شارداً مطلقاً: «إن ما شاهدتموه هو فيل كان يتلقى الأوامر من البيت الأبيض وكان الرئيس ورجاله يصدرون تعليماتهم اليه. لقد ابتكرت و.م.م افكاراً لها، فإذا كلف الرئيس منظمة سرية أن تتدارك مشكلة ما بحل مناسب لها نشأ هنا اتجاه للقول (دعنا نعمل شيء ما)».

لقد رسم أغلب الأمريكان الذين عاشوا مرافعات لجنة تشيرش عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٦ صورة للوكالة المركزية وطبيعة عملها في إطار مؤامرات الإغتيال ومحاولات خلع لحية كاسترو لا غير. ولأن طبيعة الوكالة تحتم عليها أن تعمل بالخفاء فليس لدى هؤلاء الناس من سبيل لمعرفة التغيرات التي حدثت.

يقول روبرت كيتس) الذي شغل منصب نائب مدير المخابرات المركزية في عهد كيسي ومن ثم مديراً للمخابرات المركزية: «أعتقد أن أهم شيء يجب ملاحظته أولاً هو التغير الجيلي في الوكالة، فأغلب الأشخاص الذين أسسوا الوكالة وكانوا حولها في عصرها الذهبي قد تقاعدوا عند منتصف عقد السبعينات والنتيجة ان بقي في الوكالة ربع كادرها الذي كان موجوداً أصلاً قبل لجنة تشيرش. وإذاً فكل ما لدينا دماء جديدة من الموظفين والمدراء الذين ترعرعوا داخل الوكالة في خضم جو من الإشراف

العام والمتوتر وبيئة ملأى بالرقابة الكونغرسية وإني لأعتقد أن هذا الجمع الجديد من الأشخاص قد نشأ متقبلاً كثيراً تلك الرقابة الكونغرسية عليه».

واليوم، ونتيجةً لمرافعات لجنة تشيرش، وقعت و. م. م ومنظمات استخبارية أخرى تحت طائلة قضاء لجنتي البيت الأبيض ومجلس الشيوخ للإستخبارات. تتألف لجنة مجلس الشيوخ من خمسة عشر عضواً وأربعين عضواً في الملاك الدائم بضمنهم خمسةً وعشرين محترفاً يختص عملهم على مواضيع خاصة او مناطق جغرافية محددة ولأعضاءالأقلية والأغلبية الحق في الإطلاع عى نفس المعلومات.

اما لجنة البيت الأبيض فهي مرآة عاكسة للجنة مجلس الشيوخ ما خلى ضمها ملاكاً لحزب الأقلية وآخر لحزب الأغلبية. تتألف اللجنة من تسعة عشر عضواً وإثنين وعشرين عضواً في الملاك الدائم بضمنهم أربعة عشر محترفاً وهي تصادق ، بالإضافة الى تشريعها القرارات التي توافق عليها لجنة مجلس الشيوخ، على الميزانية المتعلقة بالنشاطات المخابراتية والتكتيكية والنشاطات ذات العلاقة الخاصة بالقوات المسلحة. يصل مقدار هذا المبلغ المعروف بـ(تيارا) الى (١١) بليون دولار سنوياً.

تتلقى اللجنتين جميع ثمار و. م. م المكتملة مثل (تقديرات المخابرات القومية) و (يومية المخابرات القومية). وغالباً ما يزور أعضاء الملاك (لانجلي) لإلقاء نظرة على الملفات الأولية مثلما فعلت لجنة الشيوخ ذلك خلال تحقيق عن نشاطات و. م. م في السلفادور.

تستمع لجنة الشيوخ الى ما يقارب ثمانية عشر رأياً عن الميزانية سنوياً مشكلاً ما يعرف بميزانية المخابرات القومية الخارجية وبما يساوي (١٨,٣) بليون دولار سنوياً. ومن ذلك المبلغ تتلقى و. م. م (٣,٢) مليار دولار وتذهب الحصة الأكبر والبالغة (٦,٢) مليار دولار الى دائرة الإستطلاع القومي المسؤولة عن تطوير الأقمار

الصناعية. وتأتي بعدها وكالة الأبحاث الفضائية (ناسا) بميزانية مقدارها (٩, ٣) مليار دولار. وجنباً الى جنب مع الجمع التكتيكي، يصل مجموع نفقات الحكومة الأمريكية على العمل المخابراتي الى (٣, ٢٩) مليار دولار سنوياً.

لا تتوقف حدود مرافعات اللجنة عند الإستماع الى الآراء المطرووحة حول الميزانية بل تتوسع لتشمل مواضيع مثل الإتحاد السوفياتي او مشاكل معينة مثل هشاشة الأمن في السفارة الأمريكية القديمة في موسكو. وأحياناً، تستقي اللجنة أفضل معلوماتها من الصحافة كما حصل حين نشرت مجلة (الشراع) اللبنانية في الثالث من تشرين الثاني ١٩٨٦ ما مفاده أن مستشار الأمن القومي روبرت مكفارلين قد رافق شحنة أسلحة أمريكية الى ايران كاشفةً بذلك فضيحة ايران-كونترا.

في عام ١٩٨٠، عدل الكونغرس من وثيقة الأمن القومي لعام ١٩٤٧ مضمناً إياها بنداً جديداً يتعلق بمراقبة نشاطات المخابرات. لقد توجب على و.م.م بموجب هذا البند إحاطة اللجنتين علماً بـ(نشاطات المخابرات الهام والمتوقع) وهذا يتضمن اي جمع استخباري غير اعتيادي لا سيما إذا كان حساساً في البلدان الصديقة. وفي عام ١٩٩١، سن الكونغرس تشريعاً جديداً أضاف فيه تعريفات أكثر دقة الغرض منها صيانة متطلبات عمل التقارير. كما وسع المتطلبات لتشمل اي كيان حكومي أمريكي بما في ذلك مجلس الأمن القومي.

تتعهد و.م.م، على الصعيد العملي، إعلام اللجنتين باية أحداث مهمة -العمل السري وعمليات المخابرات غير الإعتيادية- خلال ثمانية وأربعين ساعة. بيد ان هذا لا يشمل أغلب أعمال التجسس في البلدان الصديقة باعتبارها أعمالاً اعتيادية.

ما انفكت و.م.م تدور في حلقة مغلقة منذ أيام مرافعات لجنة تشيرش، وها هي تارة ثانية تخرق القانون لقبولها ضغط البيت الأبيض، ومرةً أخرى أدخلت نفسها في

حيص بيص لعدم إعلام الكونغرس بنشاطاتها.

هنا يقول سيمونس مدير الملاك السابق للجنة مجلس الشيوخ المختارة للإستخبارات: «عليكم في المخابرات أن تكذبوا وتخدعوا وتسرقوا كي تنالوا الحقيقة والسبب يكمن في أن ذلك هو لأجل أمنكم القومي. ولكن عليكم أن تتوقفوا عن مثل تلك الأمور حين تتعاملون مع حكومتكم وأحياناً لا. لقد عامل البعض منكم الكونغرس كما لو كانوا يتعاملون مع دولة أجنبية».

غير أن هذه المرة ليست كسابقاتها، فالكونغرس لم يكن قط مخطئاً عندما أمسى راغباً عن الإستماع الى ما حول فضيحة ايران-كونترا. وفي هذه المرة جاء دور و.م.م في مبيعات الأسلحة وتوزيع الأرباح الى المتمردين من قبيل الإسراع في إنهائها. وعلم كيسي واولفر نورث كلاهما أن ليس بمقدور و.م.م ترتيب وتنفيذ العمليات، فهي لا حمل لها سوى إنشاء عقارات باسمها كغطاء لها وترتيب دقائق شحنات الأسلحة وهذا هو السبب الذي حدا باولفر نورث أن يرتب للعملية بأن أناط مهمة تنفيذها بعضو له يد طولى في مجلس الأمن القومي.

ثمة جانب آخر من القصة وهو الجانب الذي نادراً ما يتجلى للعيان، انه الضغط الذي يحدثه أعضاء الكونغرس أحياناً ليحملوا على الوكالة ان تنتهك قوانينها وفي أحايين أخرى يكون الضغط للتأثير على الأعضاء لغرض إعادة براءات الأمن للموظفين الذين ألغيت براءاتهم او لتشييد المباني داخل المدينة لأعضاء الكونغرس. وربما أخذ ذلك الضغط في أوقات معينة اتجاهاً أكثر من أن يكون غير اعتيادي.

في شهر أيار ١٩٩٠، دعت و.م.م (بود شوستر) وهو جمهوري من بنسلفينيا وعضو لجنة مجلس الشيوخ المختارة للإستخبارات ليتحدث في مركز تدريب الوكالة في مخيم بيري بولاية فرجينيا. وقد أخبرته الوكالة انها ستنقله جواً يوم الخميس وتعود

به في رحلـة العودة بنفس اليـوم بعد أن ينهي حـديثه. وافق شـوسـتر على ذلك ولكنه طلب أن تنقله الوكالة في رحلة العودة الى هاجرستاون في ميريلاند وهي ليست ببعيدة عن شامبرسبيرغ بينسلفينيا.

ونظراً لأن هـاجرستـاون تبعد ستين ميـلاً عن واشنطن، فقد تـوجب على طائرة و. م. ان تقطع مائة وعشرين ميلاً إضافية لنقل شـوستر. هنا أخبرته الوكالة ان ذلك أمر خارج عن نطاق الأنظمة الحكوميـة ولا يحق لها ان تطير به تلك المسافة الإضافية. وعليه رفض شـوستر غاضباً إلقـاء حديثه. وفي الثـامن من أيار ١٩٩٠ حرر رسـالةً غـاضبة الى وليـام وبستر وقـال مشبهاً قـرار و. م. م بـ (تجنب المخـاطر) في النشـاط المخابراتي، ان رمـز مجتمع المخابرات أصبح سلحفاةً ساحبـةً رأسها للداخل، وأطلق على مسؤولي الـوكالـة لقب أقزام وصغـار العقول وأنـاس تافهين. «أيها القـاضي لقد وقعت في مشكلة، لقد وقعنا في مشكلة، إنني أخاف على أمن بلدي». كان هذا بعض ما كتبه شوستر.

يوضح هـذا المثال أن عضـواً في الكونغـرس قد وبخ الـوكالة ليـس لأنها خرقت القانون بل لأنها رفضت أن تعمل ما يتعارض وقوانين الحكومة. وها هو شوستر يبرر عمله الطائش بحجـة الأمن القومي مثل ما تفعل الوكـالة نفسها ذلك حينما تحاول أن تبرر خرقها للقانون.

هذه السلبيـات وما عليها من مـآخذ لتبدو صغيرة إذا ما قـورنت بأهمية الوكـالة وفـاعليتها في أداء رسـالتهـا. كـانت غـاية الـوكـالـة الأسمى هي إماطـة اللثام عن التطـورات العسكريـة لدى البلـدان الأجنبية كي تتمكن الـولايات المتحـدة من اتخاذ اللازم من التحوطات للدفاع عن نفسها. امـا وقد بلغنا هذه الغاية، فليس ثمة عنصر أهم لتحقيقها من مـديرية العلوم والتكنولـوجيا التابعة لـوكالة المخابـرات المركزية.

الجزء الثاني

مديرية العلوم والتكنولوجيا

الفصل التاسع

الإستطلاع من وراء السحب

كان السؤال الأكثر خطراً الذي واجهته الولايات المتحدة منذ بداية الحرب الباردة هو حجم وطبيعة القوة العسكرية السوفياتية وسلاحها. إنها لا تملك سبيلاً لهذا الجواب، فالإستطلاع الجوي هو الوحيد القادر دوماً على الإجابة الدقيقة. وقد مثل هذا السؤال والإجابة عليه، المهمة الأكثر أهميةً لوكالة المخابرات المركزية ولمديرية العلوم والتكنولوجيا على وجه التحديد، والتي لديها من الكادر ما يناهز حدود الخمسة آلاف موظف.

تولت مديرية العلوم والتكنولوجيا ،من خلال مكتب عمليات (سيجنت)* التابع لها بالإضافة الى عمليات المراقبة من الفضاء، مهمة مراقبة القوة العسكرية السوفياتية بواسطة الرادارات والمجسات الحساسة المسماة (مقياس البعد)، والتي تلتقط البث اللاسلكي من الصواريخ أثناء إجراء التجارب عليها. كما يعترض المكتب المكالمات الهاتفية داخل البلدان والسفارات الأجنبية، وكذلك الرسائل التي يبعث بها الإرهابيون وتجار المخدرات. بيد أن تخصص المكتب هو الإعتراض التكتيكي للإتصالات، تاركاً مهمة الإعتراض العام للإتصالات وتحليلها الى وكالة الأمن القومي (NSA)، برغم حقيقة أن الطرفين يعملان سوياً.

يوظف مكتب المشاريع الخاصة التابع للمديرية أعلاه، المجسات الحساسة

*سيجنت: الاستخبارات الإشارية التي يتم الحصول عليها بمراقبة الموجات الكهربائية-المغناطيسية للإشارات الصادرة من اي مصدر بضمنها عطات البث الراديوية الخارجية والرادارات والصواريخ والأقمار الصناعية.

لتحديد موقع المعدات النووية وملحقاتها، بالإضافة الى جمع معلومات أخرى لمشاريع خاصة.

تجهز المديرية، من خلال مكتب الخدمات الفنية، تجارة التجسس بمعدات (جيمس بوند)، مثل أجهزة التسجيل السرية وأوراق الكتابة السرية ومعدات تنكر أساسية لعمل التجسس البشري. ويشرف قسم البحث والتطوير على بحوث جميع المديريات، ساعياً صوب تطوير المخططات الأولية للإتصال وذاهباً أبعد من كونه مجرد قسم فني في حقول مثل تطوير الإتصالات والأجهزة الحساسة والإستخبارات الإصطناعية وإدارة البيانات الاساسية ولعمليات الإحصاء العالية السرعة. وبفضل قسم خدمات بث المعلومات الخارجية (FBIS)، تمكنت مديرية العلوم والتكنولوجيا من مراقبة وترجمة ما ستفعله وسائل الإعلام الخارجية وبما يساعد الحكومة والعامة في الحصول على ترجمة دقيقة لتلك المعلومات بالإضافة الى مقتطفات من مقالات الصحف الأجنبية وبرامج الأخبار الإذاعية والتلفزيونية الخاصة بها بالاضافة الى التقاط وترجمة البث الإذاعي للمحطات السرية. وأخيراً يتولى مركز الترجمة الصورية الفورية القومي تحليل الصور الملتقطة من الإستطلاع الجوي وتحديد المعنى المناسب لها.

إن ايا من هذه الاقسام لا يرتقي في أهميته الى تلك التي يلعبها قسم التطوير والهندسة المضطلع بتطوير برامج الأقمار الصناعية الكبرى. لقد طور الأسلاف الأوائل لهذا القسم عام ١٩٥٤ طائرة الإستطلاع الأمريكية (يو ـــــ ٢) كمحاولة مستميتة منهم لاكتشاف غايات الإتحاد السوفياتي بعد أن فشلت عملياً كل المحاولات لبلوغ هذا الهدف. في ذلك الوقت كان بإمكان الجواسيس الروس السير الى اي مطار يشاؤون ليستأجروا طائرة ويحلقوا فوق الولايات المتحدة بأسرها، بإستثناء المؤسسات العسكرية والبيت الأبيض.

كانت فكرة طائرة الإستطلاع (يو ــــ ٢) من بنات أفكار (هيئة القدرات التكنلولوجية) التي ترأسها (جيمس كيلين) أحد المستشارين العلميين للرئيس آيزنهاور، الغرض منها تطوير القدرة الدفاعية الأمريكية ضد اي هجوم مفاجيء. واستعرضت لجنة هيئة الاستخبارات التي ترأسها مؤسس شركة (بولارايد) (إدون لاند) عدداً من المقترحات بضمنها تلك التي قدمها سلاح الجو الامريكي تهدف جميعها الى الإستطلاع السري لأراضي الاتحاد السوفياتي المحظورة. أوصت اللجنة وعلى المدى القريب بصنع طائرة ذات مدى طيراني شاهق اطلق عليها فيما بعد اسم (يو ــــ ٢). إلتقى كل من كيلين ولاند بعد ذلك الرئيس ايزنهاور لدعم الفكرة وقد صادق ايزنهاور على المشروع، واضطلعت (و. م. م) بمهمة تنفيذه. لقد أرادت الحكومة أن يبدو الطيار، إذا ما أسقطت طائرته، مدنياً باستطاعته الادعاء أنه يجري بحثاً ارصادياً. أما على المدى البعيد فقد أوصت هيئة القدرات العسكرية بإطلاق الأقمار الصناعية الى الفضاء.

أوكل (آلن دولس)، الذي كان آنذاك يشغل منصب مدير الإستخبارات المركزية، (ريتشارد بيسل)، الذي ذهب فيما بعد للإشراف على عملية غزو خليج الخنازير، بإدارة مشروع يو ــــ ٢. اتصل بيسل بـ(كيلي جونسن)، مدير مكتب مشاريع لوكهيد لتنمية المتقدمة، وخرج منه بتصميم لطائرة يمكنها التحليق على ارتفاع سبعين ألف قدم.

قال بيسل: «قبل ذلك لم تكن لدينا اية عمليات تجسسية ناجحة داخل الأراضي السوفياتية. فقد كانوا جد قساة وجد كفوئين، والمجتمع الذي يخضع لنظام حكم كهذا يجعل من المستحيل على غريب أن يدخل اليه او يطوف فيه».

إن ما لم تتضح خيوطه في ذلك الوقت هو ما حدث في منتصف طريق البرنامج. فقد بدأت المشاركة البريطانية في الطلعات الجوية، اي أن يستبدل الطيارون الأمريكان

والإنجليز أحـدهم محل الآخر. أوضح بيسل سبب ذلك بقـوله أن آيـزنهاور قد وافق على الطلعات الجوية مكرهاً وانه [بيسل] طـرق باب الإنجليز لأجل القيام بالمزيد من تلك الطلعات.

قـال بيسل: «لم يكن لنـا تـرتيبـاً ثابتـاً مع الإنجليـز، وكل مـا لهم لـدينـا بعض الطيارين. لقـد أعددت لذلك لاعتقـادي انها ستحقق لنا فرصـة أفضل أمام الشروع بالمزيد من الطلعات الجوية».

احتج الـزعيم السوفيـاتي خروتشـوف على تلك الطلعـات الاستطلاعيـة ،التي خبرها وهي في المهد، سراً عبر القنوات الديبلومـاسية، وحاول السوفييت في أحايين معينة إسقاط تلك الطـائرات وهي محلقة في الجو بيد أن دفاعـاتهم الأرضية وصواريخ أرض ـــــ جو لم تكن قادرة على الوصول الى مدى طيران يوـــــ٢.

إستمرت تلك الطلعـات أربع سنوات، تحدد هـدفها نهايـة المطاف في تقـرير هل تقدم السـوفييت خطوة سبقوا فيها الولايات المتحدة في مجال إنتاج الصواريخ البالستية عابرة القارات (ICBM). قـال ضابط (و.م.م) سـابق عمل في مجال تـوجيه طـائرة يوـــــ٢: «لقد كـان السـؤال: هل يمتلك السـوفييت حقـاً هـذه الصـواريخ وأين موقعها؟. كنا نرقبهم وهم يجرون الاختبـارات على تلك الصواريخ بواسطة الرادار، وكنا نأمل أن نحصل على قدرتها آجلاً ام عاجلاً... كان أمرا مرعباً للأمريكان.. إن مجرد فكرة أن تضع نفسك تحت قنبلة تكفي أن تزرع فيك الرعب...».

أكد خروتشوف أن السوفييت يملكون صواريخ عابرة للقارات قادرة على ضرب أهداف داخل الولايات المتحـدة. ثم أضاف السوفييت برهاناً آخر أكـد مصداقية هذا القول حين أطلقوا أول قمر صناعي من الأرض عام ١٩٥٧ وكان (سباتنك ١). جاء بعدهـا مفهوم (ثغرة الصواريخ)، الـذي يعني أن السوفييت قد سبقوا الأمـريكان في

هذا الميدان. هنا أعلن جون كيندي ،أثناء الحملة الانتخابية الرئاسية عام ١٩٦٠، أن ثمة فجوة كبيرة تتعلق بعـدد الصواريخ العابرة للقارات العاملـة حقاً التي يملكها كل بلد. لقـد نشب قبل هذا المفهوم جـدالاً ساخناً حـول ما يسمى (ثغرة القـاصفات)، وهو ما يعني أن الأمر لا يعدو أن يكون تحريضاً جديداً لخدعة عسكرية قديمة وهي أن تخدع عدوك بأن ترسل اليه نفس الفوج عبر أرض مقطوعة مرةً بعد أخرى.

في تلك الأثناء، لم تكن للولايات المتحدة او الإتحاد السـوفياتي صواريخ من هذا الطراز قيد الإنتاج. وقدرت القوة الجوية الأمريكية أن السوفييت ،آجلاً، سيتفوقون على الأمريكان في عـدد الصواريخ العابرة للقـارات، بينما أثبتت وجهات نظر الجيش والبحرية والوكـالة المركزية الأكثر تحفظاً أنها الأكثر صحـة من الذي ذهبت اليه القوة الجويـة في تقـديراتها التي قـالت أن الـروس سيملكـون ،بحلول عـام ١٩٦٣، الفاً وخمسمائة صـاروخ عابـر للقـارات مقارنـة بإحصـائيـات الوكـالـة التي قدرت عـدد الصـواريخ الـروسية مـا بين أربعمائة الى خمسمائة صـاروخ. أما الحقيقـة فهي أن عـدد الصواريخ الـروسية العابـرة للقارات بلغ عـام ١٩٦٣ مائة وخمسون صـاروخاً، بينما ملك الأمريكان أربعمائة صاروخ من هذا النوع.

إن هذا التضـارب ليعطي دلالة على وجود مشكلـة مشتركة تتقاسمهـا الأطراف العسكريـة في تقديـراتها لحجم القوى المعاديـة. إذ تنشاء كل جهـة او وكالـة استخدام الاستخبارات لدعم متطلبات ميزانيتها المالية.

يقـول (جـاك سمث) نـائب مديـر (و.م.م) لشـؤون الاستخبـارات للفترة من ١٩٦٦ الى ١٩٧١ : «بلغتنـا تقديـرات السـلاح الجوي لأعـداد الصواريـخ الروسيـة أضعاف مـا نملك، وكان هذا طقسـاً شائعاً لهم في الخمسينـات ثم أضحى تقليداً على مدى العقدين التاليين. غالباً ما كان هنـاك موقف الحالة الأسوأ، وهو موقف دفاعي مطلق في التقليد العسكري الغرض منه تحديد أسـوأ تهديد يكمن في جعبة العدو. أما

نظريـة (و . م . م) فقد اتكأت على مبـدأ البحث عن (الأكثر احتمالاً) وليس (الاحتمال الأسوأ)، بعـدها تـركت للرئيس ومستشاريـه حريـة التقرير في تهيئـة الدفـاعات على أساس مبدأ الاحتمال الأسوأ أم الأكثر احتمالاً او ايجاد خيار يقع ما بينهما».

في الأول من أيـار عام ١٩٦٠ وعشيـة محادثات القمـة، أسقط السوفييت طـائرة يو—٢ كـان يقودها (فرانس كاري باوزر) الضـابط الطيار في سلاح الجو الامريكي. كان واحداً من أهداف تلك الطلعة الجوية هو استطلاع موقع للصواريخ البالستيه يقع شمال غـرب آسيا. لقـد أقنعت (و . م . م) الـرئيس ايـزنهاور أن الدليل الـذي سيميط اللثـام عن حقيقة المهمـة التجسسية للطـائرة لا يمكن بلـوغه، وعليـه أنكر ايـزنهاور جهـاراً أن تكـون مهمـة الطـائرة يو——٢ تجسسيـة. ودون تـروي عـرض الـزعيم خروتشوف صوراً التقطتها يو—٢ وألغى اجتماع القمة.

أمر الـرئيس ايزنهاور بايقاف بـرنامج يو——٢، بيد أن (و . م . م) كـانت قد بدأت بتطـوير برنـامج أول قمر صناعي لها أطلقت عليه اسماً شفـرياً هو (كـورونا). كـان باستطـاعة الأقمار الصنـاعية الأولى الـرؤية من على مسـافة مـائتي ميل وبجميع الإتجاهات، مقارنة بمدى الرؤية لطائرة يو—٢ البالغ خمساً وعشرين ميلاً. وفي حينها نجحت (و . م . م) في تعقب خطوات التقـدم التي يحققها السـلاح السوفيـاتي، وبات بـوسعها استكشـاف المعادن العسكـرية السـوفياتيـة وهي في طريق صنعهـا وأن تتنبأ بالفترة التي ستقطعها عملية التصنيع قبل نشر السلاح.

قـال ضابـط سابق في (و . م . م) اشترك في هـذا المشروع: «استـزدنا مـن المعرفـة بفضل القمر الصناعي الأول فقط ما يعادل نصف ما كنـا نعرفه ٠٠٠ لقد بات بوسعنا رؤية أشياء لم نرهـا من قبل قط سواء أكانت عسكرية أم علميـة ٠٠٠ كانت معلومات طازجة لما تزل في مسفنها وكنا نرقب الغواصات والسفن القادمة».

رفضت الولايات المتحدة ، برغم موافقتها على منع تحليق طائرة يو ـــــ ٢ فوق الأراضي السوفياتية، الإبقاء على هذه الطائرات جاثمة في مطاراته. فهي ، لاغيرها، التي رصدت عمليات زرع الصواريخ السوفياتية في كوبا والتي أفضت الى أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ .

كانت الأقمار الصناعية الأولى تقذف بالفيلم المصور الى الأرض بواسطة مظلة تلتقطها الطائرات وهي في الجو لتفرغ الفلم المكشوف في وعاء. وقد تميز كل جيل أقمار صناعية بمقدار مدىً وطريقة تحليل يختلفان عن الجيل السابق له. فالقمر الصناعي (كي . اج- ١١ . س) يبث بالصور الى الأرض الكترونياً. ثم ، وقبل فترة ليست بعيدة، أطلقت الولايات المتحدة القمر الصناعي (كي . اج- ١٢ . س) الذي يلتقط صوراً لرقعة أوسع في المجال الكهربائي- المغناطيسي. وللولايات المتحدة ، في اي وقت وعلى مدار الساعة، قمرين صناعيين يعملان معاً لهذه المهمة .

لم يرتق السوفييت البتة الى مصاف العبقرية الأمريكية في مجال تطوير الأقمار الصناعية. فالولايات المتحدة ، على سبيل المثال، عادلت مسألة حركة القمر الصناعي بأن جعلت آلات التصوير تدور حول محور لها داخل القمر الصناعي، وهذا ما ساعد (و . م . م) بالتقاط ثلاثين الى أربعين صورة مقارنه بالثلاث صور التي يلتقطها السوفييت .

في هذه الأثناء طورت مديرية العلوم والتكنولوجيا وسائل لاستطلاع أعماق المياه السوفياتية. وأحد تلك المشاريع الفذة كان (كلومر إكسبلورر)- [المستكشف كلومر] وهي سفينة بنتها (و . م . م) لرفع أنقاض الغواصة السوفياتية التي غرقت عام ١٩٦٨ بعمق سبعة عشر ألفاً وخمسمائة قدم قبالة مياه ساحل كاليفورنيا .

بصفتها اكتشافاً، تم تجهيز كلومر بمعدات لجمع عقد المنغنيز الصغيرة من قاع

المحيط. كما ضمت ،في واقع الأمر، آليةً معقدةً لرفع الغـواصة السوفياتية . انطلقت كلومـر عام ١٩٧٤ صوب الموقع حيث غـرقت الغواصة السـوفياتية، بينما سـاعدت أجهـزة الإستماع المزروعـة تحت المياه (و. م. م) في سماع السفينـة وهي تنـزل الى قـاع المحيط وتحديد موقعها بشكل جد دقيق. أنزلت كلـومر ،بواسطة أنابيب يبلغ قطرها اثنا عشر إنشاً ومشـدودة ببعضها البعض عن طريق براغي خاصة، عـربة استكشاف مزودة بعدة مخالب لإحكـام الإمساك بالغواصة. بعد أن تم رفع الغـواصة الى السفينة الام، إنفتحت غـرفة في بـدن كلـومـر للسماح للعربـة التي تحمل الغـواصـة بدخـول السفينه. في هذه الأثناء كانت العديد من الكاميرات التلفزيونية ترقب الخطة وبعد أن أمست الغواصة داخل بدن السفينة بدأت عملية ضخ المياه.

إدعت (و. م. م) ،بعد أن نشر (جاك أندرسون) القصة، أن المهمة لم تكن موفقة في معظمهـا وأن أغلبيـة الأجزاء المهمـة من الغـواصـة قـد فقدت بعـد أن انشطـرت الغواصة الى قسمين. وبرغم حقيقة ان الغـواصة قد انشطرت الى قسمين وأن نصفها غرق مرة أخرى في قاع البحر، فإن (و. م. م) وضعت أيديها على أجزاء جد مهمة من الحطـام الـذي عثـرت عليـه، شملت رأسين لقـذيفتين نوويتين ومـاكنـات للكتـابـة الشيفرية وكذلك قطع صواريخ.

قال ضـابط سـابق في (و. م. م) على اطلاع بـالعملية: « لقد أدركنـا حالـة الفن السـوفيـاتي في الألكترونيات والكتب الشيفـريـة والأجهـزة النوويـة والـذي بقي من الغواصة في البحر لا يختلف كثيراً عما وقع بين أيـدينا. إن القصص المفبركة التي قالت أن المهمة غير ناجحـة إنما هي جزء من الستار. فهل كـان بوسعنا أن نقول أننـا أنجزنا عملاً عظيماً؟».

إنتقلت عام ١٩٧٦ ملكيـة (المكتشف كلومـر) الى سلاح البحـرية، وهي تـرسو الآن في خليج (سـويسان) بـالقرب من سـان فرانسسكـو كجزء من أسطـول الدفـاع

القومي الاحتياطي.

تسيطر اليـوم مديـرية العلـوم والتكنولـوجيا على أقمار صنـاعية بقيمـة مليارات الدولارات، بـوسعها أن تبصر من وراء السحب ومـزودةً برادارات وأجهزة تصـوير بـالأشعة تحت الحمـراء تتحسس الحرارة. وثمة شبكـةً أخـرى من الأقمار الصناعيـة مهمتهـا اعتراض المكـالمات الهاتفيـة بين الإرهـابيين وتعقب عمليـات نقـل أمـوال المخدرات الكترونياً بين مصرف وآخر ورؤية حشـود ناس في أماكن كالعراق وتعيين بندقية رشاشة داخل خيمة او مياه او نفط تحت جزيرة. إنها تلتقط كل جزء من المجال الكهربائي- المغناطيسي، وأهم من هذا وذاك أن بوسعها رصد ونقل أي تحرك عدائي للسوفييت وغيرهم في الوقت المناسب تماماً.

يأخذ مكتب الإستطلاع القومي (NRO) ،الذي تأسس عام ١٩٦٠، على عاتقه مهمة تحديد نـوع وكيفية استخدام الصواريخ الخاضعة للتطويـر. وهذا المكتب عبارة عن لجنـة يتألف أعضـاؤهـا مـن ممثلين عن عشرات الـوكـالات التي تمثل عصبـة الإستخبارات الأمريكية، ولديها مكاتب خلف باب موصد للغرفة (٤ . س- ١٠٠٠) من بناية البنتاغون او في مواقع أخـرى كذلك. ويلتقي أعضاؤها دوماً في مكتب نائب وزير الـدفاع، ولما تزل الصحافـة حتى اليوم تعتبر مكتب الإستطلاع القومي بـرنامجاً (معتماً) برغم كثرة المؤتمرات الصحفية التي يعقدها، وتلك إيماءة تعني من وجهة نظر الحكومة الأمريكية أن المكتب غير موجود.

تصدر القرارات المهمة لمكتب الإستطلاع القومي عن طريق لجنته التنفيذية المؤلفة من نائب وزير الدفاع بصفته رئيساً للجنـة، والمستشار العلمي للرئيس، ومدير وكالة المخابرات المركزية بصفتهما عضوين. ومنحت اللجنـة مدير (و . م . م) ،بصفته مديراً للجماعة الإستخبارية، سلطة السيطرة على الأقمار الصناعية وتعيين مواقعها في مناطق مختلفـة من العالم، واتخاذ القـرار بتشغيلها او تـوقيفها. كما يتسلم المكتب المقترحـات

الخاصـة بإنشـاء أنظمة جـديـدة عن كل وكـالـة استخباريـة ، على أن يصـادق رئيس الولايـات المتحدة على المشاريع الكبرى. وبعد الإقـرار على مشروع ما، تبدأ مديـرية العلوم والتكنولوجيا او قيادة القوة الجوية بتنفيذها.

تتكفل وزارة الدفـاع بتمويل ٧٠٪ من قيمة هـذه المشاريع ، بينما تتكفل الوكـالة المركزيـة بدفع المبـالغ المتبقية من مـواردها ولكن بـاستخدام حسـابات وزارة الـدفاع المصرفية.

الفصل العاشر

علم التغليف

البناية ٢١٣ الواقعة بجانب فناء بحرية واشنطن هي مجمع خرساني ذو سبعة طوابق يتألف من ثلاثة مبان مكعبة الشكل تغطي ساحتي مدينة، وهي محاطة بسياج حلزوني يعلوه قضبان ثلاثية من الأسلاك الشائكة، وهو مأهول طوال الساعة. وقد تم طلاء نوافذ البناية القليلة بطلاء بني اللون كي لا يفلح الناظرون من الخارج في رؤية ما بالداخل. وإليها ومنها يدخل ويخرج ألفا فرد كل أربع وعشرين ساعة.

هذا هو المركز القومي لترجمة الصور التابع لمديرية العلوم والتكنولوجيا، ويتولى تحليل وترجمة الصور. أسس هذا المركز (آرثر لوندال) البحري اللامع وخريج جامعة شيكاغو الذي انضم تحت لواء و. م. م عام ١٩٥٣ حين كانت الوكالة مقيمة في بنايات مغبرة مؤقتة تقع في الشارع الثالث والعشرين في جادة كونستيوشن، وبات لوندال رئيساً لمركز ترجمة الصور. في عام ١٩٦١، أصبح القسم يعرف بـ (المركز القومي لترجمة الصور) تحت إدارة و. م. م وبمشاركة دوائر الإستخبارات العسكرية.

وفي البدء لم يستخدم مترجمو الصور شيئاً أكثر من العدسات المكبرة ووسائل القياس لتعينهم في تحليل الصور الفضائية. وبصورة بطيئة أنشأوا مكتبة، وهكذا استطاعوا مقارنة صورة بصورة مشابهة مأخوذة قبل عام او عامين، خالقين الفرصة لاكتشاف أدق التغيرات.

يقول لوندال: «أنت تنظر الى مكان ما، ومن ثم تنظر الى ما كان عليه قبل عام او يوم واحد. إنك كمن ينظر الى فيلم سينمائي، فالصور أكثر تباعداً غير أنك تستطيع أن تستدل على النوايا من أسلوب التطلع الى التغيرات الحاصلة على الأرض، أكثر بكثير مما لو تم تنفيذه بصورة واحدة وفي وقت واحد».

ولإظهار الفروقات الصغيرة في الإرتفاعات، يلتقط طيارو الإستطلاع لمركز الترجمة و (و. م. م) صوراً منفصلة من مسافات تختلف بعشرات الأمتار لنفس المنطقة. وباستخدام تقنيات التجسيم يستطيع المركز الإستفادة من الأبعاد المكبرة للصور. فمثلاً ستبرز ، باستخدام هذه الطريقة، مساحات الأرض في مرعى وطأتها قدم إنسان او سارت فوقها إطارات سيارة.

بيد أن المركز صب جل اهتمامه على الإستخبارات الإستراتيجية والبحث الذي يمكن استخدامه للتنبؤ بالإتجاهات طويلة الأمد لدى الجانب الآخر. اما المخابرات التكتيكية ، والتي يمكن استخدامها في تحديد الأهداف لمهات القصف، فقد تركت للسلطة العسكرية.

لقد تعلم المركز كيفية ترجمة الصور والتحسس بها سواء أتم التقاطها لهدف في اليابسة ام في الجو او على البحر. فمثلاً بوسع مترجمو الصور الذين ينظرون الى فرجينيا أن يخبروا إن كان قاطنيها من آكلة اللحوم ام لا بالتطلع الى سنارات تعليق اللحوم في محلات القصابين او من خلال أعداد الماشية. كما وبإمكانهم رسم مخطط الأرض لكل منزل بالإعتماد على مفاتيح دالة خارجية: المطبخ تحت فتحة العادم المنصوب على السطح، وهناك فتحة بالوعة فوق الحمام ولغرفة الإستقبال مدخنة وكل ما بقي داخل البيت هو غرف نوم. واستناداً الى اتساع ساحة المقابر، أضحى بمقدور مترجمي الصور معرفة عدد الموتى سنوياً ومن خلاله يستطيعون تقدير عدد سكان المنطقة.

أضافت أجهزة الحاسوب أداة الى معـدات مترجمي الصور. واستناداً الى الوصف الذي قـدمه بيروز في كتـابه "ظلام حـالك"، فإن أجهزة الحاسـوب الموجودة داخل البنايـة ٢١٣ «قد استخـدمت بشكل روتيني لتصحيح التشويهات النـاتجة عن مجسات التصـوير في الأقمار الصنـاعية والنـاشئة عن تأثيرات جـوية، وتكـوين صور منفـردة متعددة الألوان من عـدة صور مأخوذة في حزم طيفية متباينة لجعـل عينات معينة أكثر وضوحاً، وتغيير مقدار التباين اللـوني بين الأشياء المفحوصة وخلفياتها، واستخراج سمات محددة عند تقليص او محو خلفياتها تماماً، وزيـادة الظل وإخفاء الوهج المنعكس من أشعة الشمس، وأمور كثيرة أخرى.

وتستطيع أجهزة الحاسوب ان تحلل الـدخان المنبعث من المداخن وأن تحدد، من خـلال التحليل الطيفي، نـوعيـة المادة المحترقـة. ولم يتمكن المحللـون، بفضل استخدامهم الأشعة تحت الحمراء، من رؤية ما بداخل المبنى فحسب، بل معرفة عدد الساعات التي بقيت فيها طائرة ما جاثمة على مدرج المطار قبل مغادرتها.

كان هـدف المركز الأول بعد تأسيسه عـام ١٩٦١، تحديد ماهيـة الصواريخ التي يمتلكهاالسوفييت. إنـه ذات المركز الذي عد الصـواريخ السوفياتية أثنـاء جدل ثغرة الصواريخ، موضحـاً انعدام وجود أية ثغرة على الإطلاق. واستمـر المركز باستخدام نفس التقنيات لاكتشاف الصواريخ السوفيتية المرسلة الى كوبا. لقد عرف المركز شكل ناصبات وناقلات الصواريخ وأنواع الصناديق التي شحنت بها. وبرغم أن الصواريخ قد تم تغطيتها بنـوع من القماش الخشن قبل نشرها الا أن طولها وعرضهـا وشكلها قد فضح ماهيتها. وهكذا طور خبراء المركز أسلوباً في ترجمة تعبئة الصواريخ.

صرح لوندال: «هنالك علم تغليف الصـواريخ، وهم وإن حازوا على ملاجيء لقوة سـاحقة ومعـدات ثقيلة أخـرى فنحن لدينـا علم التغليف. وقد نـامت القوات الكوبية في نوع من الخيم ونام السوفييت في نوع آخر».

يقول (جاك سميث) المنسب لدى مديرية الإستخبارات آنذاك " «استخدم السوفييت نموذجاً معيناً لنشر قواتهم وربطوا خطوط اتصالاتهم وفق نسق معين أيضاً، فكان لا بد إذاً من وجود مكان لخزن الوقود، وما المشهد الذي رأيناه الا لينسجم تماماً مع ما كنا نعرفه مسبقاً». واعتماداً على تجربته السابقة في تحليل اسلوب نشر الصواريخ في الإتحاد السوفياتي، تمكن المركز من إبلاغ الرئيس كينيدي بالفترة التي ستقطعها الصواريخ السوفياتية الموجودة في كوبا كي تدخل حيز الخدمة العملية. وقد عزز ذلك المعلومات الخاصة بطريقة استخدام الصاروخ والتي قدمها العقيد (بنكوفسكي) -ضابط المخابرات السوفياتي الذي بدأ يتجسس لصالح الإنجليز مع مطلع عام ١٩٦٢-. وأخيراً، وفي السادس عشر من تشرين الأول ١٩٦٢ قدم لوندال صوراً للرئيس كينيدي أقنعته بوجود الصواريخ الروسية في كوبا. وعليه هدد كينيدي الزعيم السوفياتي خروتشوف بتوجيه ضربات انتقامية إذا لم يسحب السوفيت تلكم الصواريخ، وقد امتثل خروتشوف لذلك الأمر.

وعن ذلك كتب بيروز في كتابه " ظلام حالك " : «من الوجهة السياسية، أظهرت أزمة الصواريخ الكوبية أن الإستطلاع الفوقي وتحديداً استطلاع القمر الصناعي كان عامل استقرار، لأنه قوض كثيراً من عنصر المفاجأة. وعلى الصعيد العملي قلل فرصة الهجوم الشامل والمميت الناجم عن الخوف الذي ينتابك خشية أن يكون العدو مستعداً لعمل نفس الشيء الذي تخطط أنت للقيام به. لقد أبدلت الأقمار الصناعية الخيال بالصورة وآتت بنظرة واقعية بما امتلكه الخصم وما لم يمتلكه».

قال لوندال: «لقد أعطينا قادتنا إجابات لأسئلتهم، وأعطينا لتقديراتنا القومية مادة حقيقية وحملنا السراج حين كان هنالك ظلام، وأعتقد أننا تجنبنا حرباً نووية مرتين سيما في كوبا حين عرف الشعب بالضبط ما كانت عليه الحقائق وأرسينا أساساً لمعاهدة تخفيض الأسلحة الإستراتيجية. وعلى العموم، أفضت الآمال الطيبة

بالمخابرات القـومية أن تخطو بخطى حثيثة الى حلبة فنية حيث أبقـت عيناً مفتوحةً على مسـار حوادث العـالم بما لديها مـن معلومـة دقيقة وشـاملـة. وتأقلم كل الشعب من الرئيس نزولاً مع هذا النوع من الخدمة».

ساعـد مركز الترجمة في التنبؤ بأن السـوفييت سيطلقون قمراً صناعيـاً أرضياً قبل الولايـات المتحدة وأن الصين الشيوعيـة ستفجر قنبلة نـووية لأغراض التجـربة. كما تنبأت و. م. م، بفضل مـركـز الترجمة، بـالحرب العـربية الإسرائيليـة وحـرب الهنـد وباكستـان والغزو السوفياتي لأفغـانستان. وخلق المركز الإطمئنـان من أن السوفييت كانـوا يمتثلون لاتفاقيات خفض الأسلحـة. وفي عام ١٩٩٠ كان المركـز أول من حد بـدقة تحرك القـوات العراقيـة بـاتجاه الكويت قبل ثـلاثـة أسابيع من الغـزو مشيراً أن القوات العـراقية لـديها من الـوقود ما يكفيهـا لعدة أشهـر اي أكثر مـن حاجتهـا اليه لأغراض تمرين تدريبي. وحين بدأت الحرب شخص المركز بـدقة التسهيلات النووية والبيولوجية.

يعلم المركز أيضاً دورياً، بمواسم الحصاد مسبقاً ويتنبأ بالكوارث الطبيعية ويحدد أماكن حقول الماريجوانا ويخمن حجم حرائق الغابات وربما زود بعض هذه المعلومات الى المؤسسات الحكومية الأخـرى كوزارة التجارة لمساعدتها في إعداد بـرامج الإغاثة. وبمعرفة كمية القمح المحصود وباقي المحاصيل المهمة الأخرى، يصبح بإمكان وزارة الزراعة أن تقدر على نحو أفضل ما ستكون عليه الأسعار في السوق العالمية.

أضاف لوندال: «تستطيع آلة التصوير أن تلتقط صورة لكل شيء وبحكم الطبيعة أنت متورط في كل شيء سواء أكان اقتصاداً ام محاصيل ام حـرباً بيولوجية ام صواريخ ام غواصـات. إنه كـل ما يعمله الإنسـان على وجه الأرض ومكشـوف للسماء. فإن حصلت على صـورة لذلك الشيء وأحسنت في تـرجمتهـا لخرجت منها بكم هـائل من معلومات جديدة».

واليوم تـوفر جميع الأقمار الصنـاعية التـابعة لــ و. م. م البيانـات في وقتها الفعلي وهذا يعني أن بوسع قائد المعركة أن يرصد تحركات العدو وقت بدئها. وبجمع صور من صور مغناطيسيـة وحرارية ورادارية وأخرى ذات قواعد مـرئية يستطيع المركز أن يعلن ساعة الصفـر لقضية معينة. وهذا شيء مفيـد سيما حين يحاول الإتحاد السوفياتي او أقطار أخرى التمويه على تسهيلاتها.

يقول لونداك: «إنها لعبة الغماية. لقد تطور فن التمويه والإغراء والخداع كثيراً».

ومع هذا، ومع وجـود جميع عجائب العلم، لا تستطيع ايـة تكنولـوجيا أن تحزر نوايا العدو وهي في قلبه.

يقول لـونداك: «بإمكان ترجمة الصـور عند إنجازهـا على نحو حسن أن تعطيك رؤيةً شـاملةً لقدرة العـدو. إنك لا تستطيع أن تحصل على نوايـاه ولكن بمقدورك أن تحصل على بعض من تلك النوايا. فـإذا رأيت فرناً تم تحريكه او خطاً لسكـة حديد تم شقه، فبإمكانك القول أن لذلك الطرف تحرك ما او أن خرسانةً يجري صبها».

هذه التطورات قد تعني ، نهاية المطاف، أن العدو يخطط لبناء صوامع للصواريخ مثـلاً. غير أن هـذا التسهيل يمكن إنجـازه ليبـدو مثل مصنع كما لا تستطيع الصـور تغطية الخطط طويلة المدى والنوايا.

يقـول (رونـالـد انلـو)، وهـو رئيس سـابق لــ(كوميركس): «لا شيء أكفأ من الجاسوسية البشرية إن أحسنت أداءها».

وفي نطاق التجسس البشري تلعب مـديرية العلـوم والتكنولويـا دوراً رائداً أيضاً من خلال دائرتها السرية جداً الا وهي شعبة الخدمات الفنية.

الفصل الحادي عشر

جيمس بوند

في مكاتب عديمة النوافذ ضمت مقرات وكالة المخابرات المركزية، ابتكر مكتب الخدمات الفنية التابع لمديرية العلوم والتكنولوجيا وسائل [ذروة الفن] لفرق الإنصات، وهواتف الإستراق السمعي، وإرسال الرسائل السرية، وتصوير الوثائق. وثمة بضع مئات من موظفي (و.م.م)، بضمنهم مهندسون ونجارو موبيليا وعمال جلود وعلماء فيزياء يزرعون أدوات التنصت او يبتكرون أجزاء سرية خاصة بكل شيء ابتداء من ألواح قطع اللحم في المطابخ الى الأقلام ذات النهاية القماشية. وعلى مر السنين، ولإخفاء أجهزتها، استخدم المكتب مرشحات زيت السيارة وأشرطة الفيديو وأزرار مزيفة لصناديق العدة ودمى على شكل قطارات وبطاريات وولاعات سجائر ومواد الزينة ورقع الشطرنج والطلاءات و...

هذه العدة التجسسية لها من الأهمية بمكان لعميل (و.م.م) في مناطق مثل كوبا والإتحاد السوفياتي لمساعدته في الحفاظ على سلامته وتنفيذ المهام الملقاة على عاتقه في ذات الوقت. إذ ينبغي على العميل تصوير وثائق وإبراق رسائل الى ضابط الحالة واستلام النقود وترتيب عقد اجتماعات. كما يتحتم عليه، وهذا أهم شيء، أن يجد وسيلة لإرسال رسالة عند الحالة الطارئة التي يحتاج فيها أن يغادر او (يتملص) من البلد. وعادة ما زودت (و.م.م) عملاءها بعدة خطط بديلة للهروب. وتقتضي إحدى الخطط إستخدام جهاز إرسال إشارات يبعث برسائل مشفرة الى سفارة ما او

مركز إنصات آخر.

ربما كانت أبسط الطرق هي أفضلها. فترك شباك مفتوح في هافانا او موسكو ليلاً يعني عقد اجتماع. وهنا أمست التكنولوجيا المعقدة ليست بذات جدوى وبإمكان ضابط العمليات أن يملس شعره ويرتدي نظارات شمسية بدلاً من أن يضع شعراً مستعاراً لينسجم مع الزي الشائع.

قال ضابط عمليات سابق: «كان بإمكاني أن أسير خارج السفارة بعد أن تأزف ساعات النهار ببدلة وربطة عنق وشعر طويل مع حقيبتي. وبمستطاعي الذهاب الى حمام فندق وخلع سترتي وربطة عنقي ومن ثم أضعها في الحقيبة ثم أرتدي قميصاً رياضياً وأبلل شعري وأقلبه الى الوراء وأسير خارجاً، وربما مع معطف مطري أسدله على حقيبتي. فلو قبض علي فليس لدي ملابس جاسوسية، التي إذا ما ارتديتها فسوف تقع في إشكال حقيقي. وإن قبضوا عليك ونزعوا عنك وجهك التنكري لأدركت أنك بحاجة لتقول الكثير لكي توضح الأمر.

وصرح ضابط سابق عمل لدى مكتب الخدمات الفنية: «بإمكانك أن تحصل على كم هائل من المعلومات. إذ يعتقد ضابط الحالة أنني سأعرف كل شيء بمجرد أن أضع جهاز التنصت في الغرفة. ليس الأمر بهذه السهولة، فعليك أولاً أن تكون قادراً على التأكد من أن فلاناً يستطيع أن يفعلها، وثانياً عليك أن تتولى نصب الجهاز وأن تتحمل أن تعيش القلق خشية أن يكتشف الجانب الآخر جهاز التنصت. ثم عليك أن تجد مركز استماع يستقبل ما يبثه الجهاز. وعليك أن تطمئن على شخص يتولى عملية تبديل الأشرطة، وأخيراً ترجمة وكتابة محتوى الأشرطة. وربما مر شهر ولم تفلح الا بشيء واحد يستحق الذكر، وغالباً ما تدفق اليك سيلاً من البيانات الهامشية التي تقتضي كثيراً من الغربلة، فهل تستحق ذلك؟ الإجابة كلا دائماً. فصبي واحد في موقع رئيسي قد يهديك في خمس دقائق معلومات تعجز أن تجاريها جميع أشرطة التسجيل.

بيـد أن المكتب يقدم لأغلب المهن الأخرى مساعدات فنية لا تقدر بمال. إنها أكـثـر أدوات الجـاسـوسـيـة تقـدمـاً في العـالم والتي كلفت العـديد منهـا مـلايين الـدولارات لـتـطـويـرها سـواء داخل ورشـات المكتب او عن طريق المتـعـهـدين الخـارجيين المضمون جانبهم الأمني.

قـال ضابط سابق عمل في مكتب الأمن: «هناك حسنات في كلتا الطريقتين، والأسلوب العـملي هو تبني كلتـيهما. فإذا كـانت طريقـة مـا خارج حدود [ذروة الفن]، فـينبـغي إجـراؤها في البـيت لأسـبـاب أمنية. الا أن المشكلة هي أنك لا تمتلك قـابليـة الإنتاج في البيت. فإذا أردت مائة وخمسة وثلاثين قطعة منها، تعذر عليك أن تجـمع حـشـداً من الناس يعـملون في البـيـت. وإن أردت قطعـة واحدةً لوجـدت نفـسك راغبـاً عن حـجـز حـبيبين في غرفة لمدة سنتين، ولكن إن أردت طلبية أكبر فعليك أن تعملها خارجاً.

إن أحـد أكـثـر الأدوات شـيوعاً التي يقدمها مكتب الخدمة هي التنكر. فهو يـعـمل على تزويد ضـبـاط المخـابرات ،قـبل ذهابهم خـارج الولايات المتـحـدة، بالعـديد من المظاهر التنكرية. وفي حـالات نادرة يتـوجب على ضـباط و.م.م أن يدخلوا بيـتـاً او سفارة، فلم يمنحون شاهداً فرصة التعرف عليهم؟. وربما يعمل ضابط الحالة ،وهو على وشك تجنيـد عـمـيل، تنكراً بسـيطاً -اي شعر مستعار ونـظارة- حـتى لو حـصل أن نكص المجند عن قـبـول العـرض فلن يسـتطيع أن يشـخص ضابط الحالة الذي قدم له العرض. وغالباً ما تبرز الحاجة الى التنكر في المناطق المحـرجـة كـالأتحـاد السـوفـياتي او إذا كان المجند المقصود إرهابياً او تاجر مخدرات.

وبفـضل الوسـائل الألكترونية التي صممها المكتب، تم اختراق عدد من سفارات الكتلة السـوفـيـاتيـة في البلدان الأجنبية. إذ يزود المكتب المعنيين بخبراء النصب (الذين يطلق عليـهم ضـبـاط العمليات السمعية)، والذين يسـاعدهم ضباط من

المحطات المحلية. كان أحد هؤلاء الخبراء يابانياً أمريكياً رشيقاً طوله أربعة أقدام وتسعة إنشات ووزنه ثمانين رطلاً فقط، اعتاد أن يشق طريقه الى القنوات الهوائية من أجل زرع وسائل تنصت.

يقول ضابط سابق في القسم: «إن خبراء التنصت هم أناس يطمحون الى تسلق سياج في قلب الليل. فإذا قبض عليهم فسيقعون في مأزق رهيب. وربما أمضوا خمس عشرة ساعةً في مهمة ما، وهذا ليس بالشيء السهل. فقد يضطرهم الأمر حفر ثقب في جدار وملؤه بشيء ما يرسل الإشارات لسنين عديدة. فإذا شاهد الطرف الآخر ذلك الثقب ساوره الشك حياله. وربما كان عليهم أن يعيدوا طلاء الحائط ومقارنته بطلاء حائط آخر عمره ستة أعوام.

ويقول ضابط سابق: «إنها مهمة محفوفة بالمخاطر. فمن الصعب ايضاح سبب وجودك في البناية في جنة الليل ومعك حقيبة. فأنا سمكري، وها إنك في الغرفة الخطأ، الحمام ليس هنا».

وحتى تتعسر مهمة اكتشاف وسائل التنصت يبث مكتب الخدمة الفنية من وقت لآخر إرسالاً على نفس الطول الموجي لمحطة راديوية او تلفزيونية محلية.

يقول ضابط سابق: «إنك تلبس قناع الإشارة. فهناك طرق للإقتراب من إشارة المذياع القياسية: (١٠١,٤)، فيمكنك الإقتراب منها. ولذا فإشارتي مخفية بذلك، وتلك طريقة نموذجية، إذ أنك تخفيها او تفجرها كي تكون في الهواء بوقت قصير». ويضيف: «لديك اليوم احتمالية ضئيلة للتدخل، فاسم اللعبة اليوم طيف منشور، يشتغل على عدد من الترددات لذا فمن الصعب ايجاد الإشارة».

يشغل مكتب الخدمة الفنية مصنعه الطباعي السري في مقرات و. م. م بطباعته لجميع الملفات الأجنبية تقريباً. وبإمكانه إصدار الوثاق القديمة والأجنبية وإجازات

السـوق الأجنبية وشهـادات الميلاد الأجنبيـة. يقول ضـابط سـابق: «إذا كان لـديك مـؤسسة طبـاعيـة، فبمقدورك أن تفعل مـا تشـاء. بيـد أن هناك ضـوابط لما يجب أن تفعله».

تحظـر أنظمة و.م.م عمل وثـائق مزورة أمـريكية كجـوازات السفر وشهـادات الميلاد وإجازات السياقة او شهادات الجامعـة. وعلى أية حال تسطيع الوكالة أن تطبع وثائق أقل أهمية وغير رسمية كبطاقات المكتبات او بطاقات العضوية. كما تستطيع أن تطلب إجـازة سياقـة فارغة او شهـادة كلية مـن سلطة الإصدار وتملأهـا بما تريـد من بيانات شريطة حصول الموافقة عليها.

قـال ضابط سـابق آخر: «أنت تـذهب الى سلطـة عليا وتقـول إنني من و.م.م وتريهم مستندات انتسابك لتلك الدائرة وتخبر المسؤول بما تريد، فربما تتعامل مع مدير شركة عميل او ضابط مكلف في مهمة ما او تـذهب الى احدى الجامعات طالباً شهادة تخرج من الكليـة، وتسأل العميـد مثـلاً: هل من فـرصـة في الحصـول على شهـادة بيضـاء؟، ولـو أردت أن تعـرف سبب الطلب فسـوف أخبرك بشكل عـام كيف سنستخدمهـا ولمن ستصدر وربما لا تصـدر باسمه الحقيقي، ولتكـن مطمئناً بأن ذلك لأجل قضية سامية خدمةً لبلادنا».

ويضيف: «سيقـول عميد الكلية: خـذ مزيـداً، وسيعطيك آخر نسخ بضـوابط مشددة. وآخر سيقول: ست وثلاثون تكفي؟ فهذا بلدي، أتمنى لك التوفيق».

ليس ثمة مـانع لدى الجهات العسكريـة في تزويد و.م.م بالبطـاقات الشخصية ووفق ما تـريد. امـا وزارة الخارجية فقد صعبت هـذا الأمر. إن الحصـول على جواز سفر باسم ثـان يقتضي الحصول على موافقات من مراجع عليا، وبـالكاد يتم الحصول عليها.

وإذا كانت الوثائق مطلوبـة لتثبيت (اسطورة بسيطة) اي نشاط سري هامشي فلن يتخذ اي إجراء للتأكد من عدم تسجيل الإسم على الوثيقة إذا ما قصد شخص ما تلك الكلية او شركـة السيارات. ولكـن إذا ما انطـوى الأمر على عمليـة أكثر حسـاسية، فستحاول و.م.م انتزاع تعـاون سلطة الإصدار بدعم الـوثيقة. وفي تلك الحالات لو اتصل أحد بقسم السيـارات فسيخبر بأن الرخصة قد أصدرت بـاسم الشخص الذي طبعت و.م.م اسمـه على رخصة السيـاقة الفـارغة. وعلى نفس المنـوال، قد يـوافق عميد الكلية على تأكيد أن فرداً ما مدرج اسمه ضمن قائمة خريجي الكلية عادةً لمدة شهر او شهرين من بداية العملية.

قال ضابط سابق في مكتب الخدمـة الفنية: «إذا كان عميلك بصدد الخضوع لأي نوع من المسـائلة المعلوماتية فستكـون بحاجة الى عنوان حقيقـي. كنا في الأيام الخوالي نعطي عنـوان: ٣جادة الأمير، وليس هنـاك اي منطقـة بهذا الإسم. واما اليـوم فمن الأفضل لك أن تتأكد من أن العنوان حقيقي. اختر بناية كبيرة تضم العديد من الشقق ولكن يجب عدم ذكر رقم الشقة.

نهج مؤتمنـو و.م.م وعملاؤهـا مبدأ تأكيد هـوية شخص مـا. إذ يسأل محقق ما أحد المؤتمنين لتأكيـد وجود موظف مزعـوم به، فيقول المؤتمن عمل هنا مـرة اثنا عشر عاماً وكان أحد أفضل موظفينا، والحقيقة أنه لم يكن ليعرفه لو التقاه عند الباب.

أمست الشركات، وبسبب التغيير في المواقف بعـد مرافعات لجنـة تشيرش ولجنة تيرنر والمفهـوم الأكثر صرامةً في تحمل المسؤوليـات، أقل رغبة من السابق بمسـاعدة و.م.م بتزويدها بغطاء لعملائها.

صرح ضـابط سـابق في المكتب: «عليك بـالحذر الحذر في تـرتيب أمـر وثـائقك وموافقاتك». تحاول و.م.م اليوم، للحصول على يد العون من الشركات، أن تحذر

دوماً من مغبـة اية عواقب محتملـة، بما في ذلك فقدان العمل إذا أفشت الشركة كـلاماً أنها قد ساعدت الوكالة وباتت تعرف باسم (جبهة) للوكالة.

سعى مـدير و. م. م وليام كيسي الى تطـويع ما يستطيـع من الشركات الأمـريكية كمساعد للوكالة في بناء غطاء مؤقت لها في أقل تقدير، ونجح الى حد كبير في مهمته. ولكن حتى قبل مـرافعـات لجنة تشيرش، قليلـة هي الشركـات التي أرادت أن تعني نفسها بنوع من العـلاقات المعقدة المطلوبة لإرساء غطاء تستري طـويل الأمد لضباط و.م.م.

اما في عملية تـزوير الوثائق الأجنبية فكل شيء يسير على مـا يرام. يصدر مكتب الخدمة الفنية جـوازات سفر مزورة لاقطار أخـرى وشهادات ميلاد وإجازات سيـاقة أجنبية مزورة، وهذه هي الوثائق التي يحتاجها ضباط و. م. م الذين لا يرغبون لأحد أن يكتشف أنهم أمريكان.

مع مستهل تاريخ و. م. م، ابتكر مكتب الخدمـة الفنية مصطلحات مثل (الكلب المحموم)، وهي أساس مـادة كيميائية تجتذب الكلاب الـذكور جنسياً. وحسبما تجلى منها، تنثر هذه المادة الكيميائيـة على عتبات أبواب أعضاء الحزب الشيوعي في الخارج كي تحاصرهم طوال الليل الكلاب النباحة. ولم تستخـدم هذه المادة البتة، وبدلاً عنها استخـدمت قنبلةً كـريهة معـروفة بـ(من أنـا)، كانت تلقي بها في اجتماعـات الحزب الشيوعي.

لقد جرب مكتب الخدمة الفنية كل شيء ابتداءً من الإدراك الحسي فائق الحساسية الى القوى الخارقة للطبيعة في محاولتـه اختراق طريقة عمل الـKGB مثل المكان الذي تضع فيه الثمار الميتة. اذ قال ضابط عمل في المكتب: «إن ما أردنا معرفته هو أين يخفي السـوفيت ثمارهم الميتـة في واشنطن. وكان الجواب هـو شجـرة بلـ ط كبيرة جـداً في

تقاطع مزدحم شمال غـرب واشنطن». يقصد أن الإجابات كانت عـامةً جداً. «كنت تتلقى مثل هـذه الإجابـات كلما وصلت الى تحديـد شيء ما، لقـد فقدنـا الإهتمام بهذا الأمر».

وحيـال جميع وسـائل جيمس بـونـد والأقمار الصنـاعيـة التي كلفت مليـارات الدولارات، ستغدو الـوكالة بلا حول إذا لم تجد لها سبيلاً يأتيهـا بكل المعلومات وأن تخرج منهـا بحـاصل طيب، وتلك هـي مهمـة مـديـريـة الإستخبـارات.

الجزء الثالث

مديرية الاستخبارات

الفصل الثاني عشر

ظل المرآة

كانون أول ١٩٤١ .

(على مدى الأسبوعين المنصرمين، كانت اليابـان تحذر دبلوماسيها من أن الحرب قد تكون وشيكة الوقوع).

إن استلام المعلـومة اليـابانيـة الدبلـوماسيـة تشير الى أن الرسـالة «أمطـار ورياح شرقيـة» قد تكـرر ذكرهـا على أساس منتظم. وتعتقـد المصـادر المخابـراتية بأن هـذه الشيفرة تعني أن اليابان قد اتخذت قراراً بامتطاء عربة الحرب في المستقبل القريب.

وإضافـة لذلك، ندرج أدنـاه دلالات أخرى على أن اليابـان قد تستعد للـذهاب للحرب: -

- في ٢٢/ ١١ أبلغ وزير الخارجية الياباني (توغـو) السفير نومودا بأن المفاوضات بين اليابان والولايات المتحدة يجب أن تحسم في ٢٩/ ١١ لأن مجرى الأحداث بعد هذا التاريخ «سيتغير تلقائياً...».

- لجأ اليابـانيون على مدى الأسبـوعين الماضيين، الى تبطين رسائلهم الـلاسلكية برسائل مشوشة او رسائل قديمة ليجعلوا حلها أكثر صعوبة.

- قبل ثلاثة أيام غيرت البحرية الإمبراطورية اليابانية إشارات الإتصال بسفنها،

وهذه سابقة جديدة . فهي قد غيرت إشاراتها قبل فترة جد قصيرة ، علماً أن البحرية اليابانية تستبدل إشاراتها كل ستة أشهر .

- وقبل يومين ، أمرت وزارة الخارجية اليابانية قنصلياتها في ستة مدن ، بضمنها واشنطن ، بتدمير جميع الشيفرات وكلمات السر والمواد المصنفة ما خلا أهم ما لديها من شيفرات ومواد مصنفة .

- منذ ثلاثة أيام والولايات المتحدة غير قادرة على تحديد وتعقب مواقع الغواصات اليابانية ، كما كان يحدث مسبقاً .

- تشير تقارير متفرقة وغير مؤكدة الى أن وحدات الجو البحرية في جنوبي اليابان بدأت بإجراء هجومات وهمية بالطوربيدات ضد السفن هناك .

إن هذه الإشارات التحذيرية لتبرر القيام بخطوات فورية استثنائية بما في ذلك وضع القيادة العسكرية لمنطقة المحيط الهادي في حالة تأهب .

كان سيتوقع أن تسلم مديرية الإستخبارات التابعة لوكالة المخابرات المركزية هذه المعلومات الى الرئيس روزفلت وقبيل ثلاثة أيام من مهاجمة القوات اليابانية ميناء بيرل هاربر ، لو كانت الوكالة المركزية موجودة هناك آنذاك . واستناداً الى ما ذكره الدكتور (هارولد فورد) الرئيس السابق بالنيابة لمجلس المخابرات القومية التابع لوكالة المخابرات الأمريكية في كتابه "المخابرات التخمينية" ، فإن الحكومة الأمريكية كانت على علم مسبق بجميع الحقائق المذكورة أعلاه وقبيل ثلاثة أيام من الهجوم المأساوي على ميناء بيرل هاربر . وكان من المؤكد أن يتخذ الرئيس إجراءاً دفاعياً لو قدمت اليه مثل هذه التقديرات الإستخبارية . بيد أن الحكومة كانت تفتقر الى وكالة مركزية لتنظيم جميع المعلومات واستخلاص مغزاها ومن ثم تقديم تقديرات استراتيجية الى الرئيس .

اما الـوكالات المخـابراتيـة الوحيدة الموجـودة في ذلك الوقت فكـانت تلك التي تديـرها المؤسسة العسكريـة والتي كانت تعتبر ساحـةً تعج بأقل الموظفين العسكريين كفاءة. وما كـان لدى الحكومة منهجيـة لتقييم نوايا الدول الأخـرى تميزاً لها عن تلك الدول. وقرر أولئك المسـؤولين الذين نظروا الى مسألة النـوايا اليابانيـة أن اليابان لن تهاجم أبـداً لأنه ، حسب رأيهم ، عمل غير عقـلاني متناسين أن مـا يبدو غير عقـلاني لدولـة معينة قد يبـدو منطقياً تماماً لـدولة أخرى لـديها أهداف وقيم وتقاليـد مختلفة. وأخيراً نظـر كثيرون في الحكـومـة بـازدراء الى القدرات اليـابـانيـة. وكما صرح احـد الأدميرالات بعد الهجـوم: «لم يدر بخلدي مطلقـاً أن اولئك الصغار أبناء العـاهرات يستطيعون القيام بمثل هذا الهجوم البعيد هذه المسافة عن بلدهم».

في صباح السابع من كانون الأول أرسل إنذار في اللحظة الأخيرة غير أنه لم يصل وجهتـه المقصودة. فقـد بعث ضـابط الجيش المكلف بإبلاغ الأوامـر في مينـاء هاربـر بالـرسالـة عن طريق الإتحاد الغربي بـدلاً من إبراقها عبر قنـوات سلاح البحـرية حين وجـد أن دوائر الجيش في هـاواي قد سقطـت. بيد أن هـذه لم تكن سـوى الأخيرة في سلسلة أعمال خـرقاء. تمخضت النتيجة أن أغرق اليـابانيون خمسـةً من السفن الحربية الثمانيـة التابعـة لسلاح البحـرية والـراسية في مينـاء بيرل هاربـر، ودمروا مـائتين من ثلاثمائة طـائرة كانت جـاثمة في قواعـدها، وقتلـوا (٢٣٣٠) من رجال الخدمـة ومئة مدني. وهكذا دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية.

تمخضت هـذه الإخفاقـات ،بصـورة غير مباشرة، في ولادة وكـالـة المخابـرات المركزية. كانت فكرة الإنشاء من بنات أفكـار العقيد (وليام وايلدبل دونافان). خدم هذا المحـامي والسياسي النيويوركـي في الحرب العالمية الاولى قائداً لإحـدى الكتائب وتقلـد وسـام الشرف. وخـلال الحرب العـالميـة الثـانيـة تـرأس مكتب الخدمـات الستراتيجية. قدم دونافان عام ١٩٤١ خطةً الى الرئيس روزفلت موضحاً فيها الحاجة

الى منظمة تشمل جميع دوائر الحكومة تتولى ترتيب وتنسيق الإستخبارات الموجودة الآن. واتباعاً لنصيحة دونافان، أنشأ روزفلت في تموز عام ١٩٤١ (منسق العمليات) كجزء من دائرة الرئيس التنفيذية.

تطور منسق المعلومات بعد عام على ولادته الى مكتب الخدمات الستراتيجية الذي أضحى مخططاً مجسماً لوكالة المخابرات المركزية. نظم المكتب إبان الحرب العالمية الثانية حركات مقاومة وقاد عمليات تخريب خلف خطوط العدو، كما حاول دون طائل مركزة جميع الوظائف المخابراتية داخل الحكومة من خلال قسم تحليلي عرف باسم (البحوث والتحليلات). ثم حل مكتب الخدمات الستراتيجية بعد أن وضعت الحرب أوزارها واستوعبت وزارة الخارجية كثيراً من وظائفه. ولكن تارة أخرى وبإلحاح من دونافان أعيد تشكيل المكتب حين وافق الرئيس ترومان أول الأمر على إنشاء (مجموعة الإستخبارات المركزية) ثم وبعد سنة واحدة وكالة المخابرات المركزية. وسرى عليها مفعول وثيقة الأمن القومي لعام ١٩٤٧ التي أسست الوكالة المركزية في ١٨ ايلول ١٩٤٧، وهو يوم الميلاد الذي تحتفل به و.م.م اليوم. وبرغم أن دونافان لم يخدم مطلقاً كمدير لوكالة المخابرات المركزية فإن الوكالة الجديدة قد استلهمت القيم المؤسساتية لمكتب الخدمات الستراتيجية ،بما في ذلك (تستطيع أن تفعل، فحاول كل شيء)، التي وضعها دونافان.

أثارت فكرة المخابرات المركزية ،قبل معركة ميناء هاربر وبعده، اعتراضاً قاسياً من طرف الكثيرين من أركان وزارة الحرب الذين رأوا فيها تجاوزاً لاختصاصهم، وكما قال أحد الجنرالات ستكون الوكالة المركزية (جد ضارة إن لم تكن مأساوية) من وجهة نظر البنتاغون. وكان هذا هو السبب الرئيس الذي حدا بالرئيس ترومان أن يجعل من وكالة المخابرات الجديدة مستقلةً بنفسها وغير مرتبطة بشؤون الجيش. لقد بالغت وكالة استخبارات الدفاع ،التي تأسست عام ١٩٦١ بهدف التركيز أكثر على

القضـايا التكتيكيـة، كثيراً في جسـارة الإتحاد السوفيـاتي معبرةً بـذلك عن انحيازهـا صوب الجانب العسكري الذي غـالباً ما ينفق أكثر الميزانيات الماليـة. إن مفهوم وكالة استخبارات مـركزيـة ،التي ستجلب معـاً جميع المعلومـات المتوفرة عـن موضـوع ما وتحللها بشكل موضوعي، قد تجسد في مـديرية الإستخبارات التابعة لـ و. م. م. إنها بملاكها البالغ قوامه ثلاثة آلاف موظف لأصغر مديريات الوكالة المركزية.

إن المديريـة هي الجانب التحليلي من البيت وفيها يتطلع حملة شهادات الـدكتوراة الى جميع المعلومـات المتوفرة ويستخرجـوا منها تصميماتهم للمسار الذي يتـوقعون أن تتخذه الأحـداث المستقبلية. ولأنهم أشخاص غـزيري الثقـافة وليسوا أشبـاحاً يعلن هؤلاء المحللون أنهم موظفون في و. م. م، وتراهم يشاركون في البحوث الجامعية وفي المؤتمرات العلمية ضمن حقول تخصصهم كأنهم أساتذة جامعات.

«كان لأغلبنـا في الجانب التقييمي معرفةً قليلة او ليسـت لديه معرفـة عن تقنيات العمل السري، وميالين للسخرية من أمن العمليـات الصارم جداً وللإستهزاء بتلعثم اولئك الأشبـاح. إذ أنهم كانـوا فاعلين وليسوا متـأملين، واستوعبـوا بدقـة الشؤون الخارجية من نقطة تفوق مضادة». هكذا يقـول (جاك سميث) وهو نائب سابق لمدير الإستخبارات في كتابـه "وكالة المخابرات المركـزية المجهولة"، مضيفـاً: «استطاعوا تشخيص عـدد من أعمال الطيش غير المبـاليـة لمسـؤول كبير يعمل في مجال التقييمات، مدعين أن تلك الأعمال هي سبب فشل العمليات. ولذا كان ثمة جدار بين الجانبين في جميع المسائل العملياتية».

يـرغب المحللـون بنشر المعلـومـات التي حصل عليهـا الجانب العمليـاتي، بينما يرفض ضباط العمليات هذا الأمر لخشيتهم أن يفضح ذلك مصدر تلك المعلومات.

تأتي مـديـريــة الإستخبـارات بـالمعلـومـات مـن كل صـوب وحـدب -الأقمار

الصناعيـة، التجسس البشري، اعتراض الإتصـالات، الصحافـة، الإذاعات الأجنبية، المنشـورات التجارية، الرسـائل الإخبارية، نشرات الكمبيـوتر والنشرات العلمية-. تستخدم تلك المعلـومات ،التي تمثل المصادر المفتوحـة ثمانين بالمائة منها، لإعداد البحث اليـومي وتقاريـر الإستخبارات إضـافةً الى التحليـلات بعيدة المدى. وإضافةً لـذلك يستخدم مجلس الإستخبارات القومي هذه المعلومـات لإعداد تقييماته للأحداث المستقبلية ومن ثم عرضها على الرئيس.

تسـاهم جميـع وكـالات المجتمع الإستخبـاراتي في بلـورة تلك التقييمات. تبقى مديرية الإستخبارات المصدر الرئيس لأهم تلك المعلومات وهذا ما يضفي على عملها طابع الخطورة، وعمل بـاقي المديريات وإن بلغ الروعـة لسوف يأفل. ولذلك فعمل المديـرية يجب أن يعـرض على الـرئيس وصنـاع السياسـة. وإن جـاء تحليلهـا خاطئـاً فستتحمل السياسة الأمريكية الخارجية أعباء ذلك الخطأ.

ارتكبت الوكالـة في أيامها الاولى جملةً من الأخطـاء. فهي لم تحذر ،برغم وجود الدليـل الساطع، كبـار صناع السيـاسة الأمـريكان في حزيـران ١٩٥٠ من أن كـوريا الشماليـة على وشك أن تغـزو جمهوريـة كـوريا، ولم تنطق ببنـت شفة حيـال عشرات الألوف من القوات الصينية الشيوعية التي كانت تتسلل الى كوريا الشمالية وعلى وشك مهاجمة القوات الأمريكية وقوات الأمم المتحدة.

وفي أيلول ١٩٦٢، قالت الـوكالة أن نصب صواريخ بالستيـة في كوبا لا ينسجم والسلوكية المعروفة للإتحاد السـوفياتي، وأن خروتشوف «لن يفعل شيئاً غير متوقع او استفزازي».

كان هـذا مثالاً جيـداً عن (ظل المرآة)، مفترضين أن بلـداً آخر سيفكـر كما يفكر الأمريكـان. فحينما تعجز التقييمات عن التنبـؤ بيقين مطلق بأحداث لم تقع بعـد، فإن

بوسعها أن تضع الإمكانات والإحتمالات، وهذا ما يتيح لصناع السياسة الأذكياء وضع خيارات جاهزة لتتوافق مع النتائج الأكثر احتمالاً. ومع ذلك فليس بغريب على رؤساء الدول أن يتجاهلوا تلك المعلومات الإستخبارية، مثلما فعل جوزيف ستالين عام ١٩٤١ حين أخبروه أن النازيين على وشك غزو الإتحاد السوفياتي، مكلفاً بتجاهله هذا السوفييت عشرات الألوف من الأرواح.

يقول (ادوارد بروكتور) الذي شغل منصب نائب مدير و. م. م للإستخبارات: «إن الشيء المهم ليس إذا ما كنا مصيبين او مخطئين حول وقوع الحوادث، بل لمساعدة الشعب على صنع قرارات سياسية بإعطائهم خلفية من المعلومات. وأحياناً تعطيهم معلومات صحيحة وتجدهم يتخذون قرارات خاطئة، وفي أحيان أخرى تعطيهم معلومات خاطئة وتجدهم يتخذون القرارات الصحيحة لأسباب مختلفة. وفي أوقات أخرى تتنبأ عن شيء آت ويتخذ صانعوا السياسة إجراءاً بحيث يجعل تنبؤك خاطئاً ولكنه الشيء الصائب عمله اعتماداً على تنبئك. والغرض الإجمالي هو لمساعدة الشعب على اتخاذ قرارات أفضل».

والمثال الآخر على ظل المرآة حصل في عام ١٩٧٣، حين فشلت و. م. م وبقية الجهات الحكومية في التحذير من أن مصر وسوريا على وشك شن هجمات كبيرة على إسرائيل في ما سمي لاحقاً بحرب يوم الغفران.

قال بروكتور: «لم نتنبأ بها لفترة. لقد رأينا نفس الشيء يحصل عدة مرات سابقاً، وحتى قبل سنة من ذلك ولم يحصل شيء، فهي كانت مجرد حشد قوات وتهديد. إننا لم نفهم ماذا كان الغرض منها من وجهة النظر المصرية. فهم قد أكدوا أنهم لا يستطيعون كسب الحرب، ولكنها كانت طريقةً لكسر الطوق».

ولعل أشهر فشل جاء في شباط ١٩٧٩، حين لم تتكهن و. م. م باحتمالية الإطاحة

بشاه ايران. والحقيقة إنه بمنتصف آب ١٩٧٨ أعـد محلل في و.م.م تقريراً الى الرئيس كارتر جاء فيه «إن ايران ليست في حالة ثورة او حالة ما قبل الثورة».

هنا أهملت مديرية الإستخبارات التقارير القادمة الى و.م.م من ضباط العمليات في ايران الـذين كانوا يكتبـون عن تزايد المعـارضة ضد الشـاه. وافترض المحللون أن الشـاه سـوف يسحق المعـارضـة مثلما فعل ذلك في السـابق. غير أن إصـابـة الشـاه بالسرطان قد أنهكت حزمه.

صرح (ستانفيلد تيرنر) الذي شغل منصب مدير الإستخبارات آنذاك: «كنا نعي أن للشاه معـارضة، وكانت إحـدى الصعوبات أن من العسير التنبـؤ بأن رجلاً يتمتع بالسلطة على الجيش والسافاك (الشرطة السرية للشاه) سوف يسقطه شعب يستعرض في الشوارع. فحين تقـدم تنبؤاً مخابراتيـاً فإنك تقدم افتراضاً. لقـد اعتقدنا أنـه سوف يستخدم القوى التي في حوزته، غير أنه لم يفعل».

ومن السهل دائماً الإفتراض أن الوضع الراهن سوف يستمر لأنه قول ينطوي على مخاطر قليلة. فلـو تنبأ شخص ،دون وجود بيانـات راسخة، عن نوايا غـورباتشوف بأنـه سوف يـرخي القبضة السـوفياتيـة ويسمح لألمانيا الشرقيـة بالإتحاد ثـانية بألمانيـا الغربيـة، لأرشدوه بـالذهـاب الى مكتب الوكالـة للخدمـات الصحية لـلإستشارات النفسيـة، ولأطلقوا عمن يقـول أن الشعب السـوفيـاتي سيصوت لصـالح تغيير اسم لينـنغراد الى اسمها الأصلي بطرسبيرغ لقب مجنون.

قـال محلل سـابق في الوكـالـة: «انها تستملك مـزيداً من الأفـراد كي ينجـزوا لها أعمالاً، ثم ترى الأعمال غير منجـزة. وهناك قلق بشأن الأجسـاد الدافئـة ومخططات الإنتاج وخوف من عدم إبهاج المدير وليس من الخروج عن مسار العمل».

في تلك الحالات، يقـول المحلل السـابق: «إن التقييم السـائد هـو كـذا وكـذا،

ويتفق على هذا القـول رئيس المكتب مع مديره. ثم يأتي شخص ويقـول (هذا مختلف بدرجة ١٨٠). وفي الأيام او الأسابيع الآتية سوف ينكشف الحال وسيظهر المنسق أنه مصيب. وبدلاً من مكـافأته، يركنونـه جانباً، لقـد كان تحليله صحيحاً جـداً ودقيقاً جداً».

يقول (روسل باون): «ثمة خيط واحد يسير في القصة بأكملها من بداية و.م.م الى الوقت الحاضر، إنه البيروقراطيـة التدريجية للوكالة. إن أمـامك مهمة لإنجازها، تغادر لتنجـز العمل ثم عليك بتصفية المشـاكل فيما بعد. اما الآن فنقـول: لو شرعت بهذا العمل، فما هي جميع المشاكل التي قـد تصادفها؟ ولذا فالـدافع الى مبدأ (إذهب- إذهب- إذهب) قد ذهب منذ زمن طويل».

ثمة مشكلة متواترة أخرى هي الكيفيـة التي تكتب بها تقارير و.م.م. فهي غالباً ما افتقـرت الى النتائج الواضحة التي تشـد الإنتباه اليها. فمجلس الأمن القـومي هو زبون و.م.م الى جـانب الرئيس، وهنـا يشكو الأعضـاء من أنهم يجدون أن تخمينات و.م.م موزونة أكثر من اللازم او مملة عنـد مقارنتها مع تخمينات تقارير مكتب وزارة الخارجية للبحوث والمخابرات. ولما كـانت وزارة الخارجية منهمكة بصنع السياسة، فقد تكيف محللوها على تفصيل عملهم وفقاً لمتطلبات السـاعة. وبالتالي سيكون لدى وزارة الخارجية الحس الداخلي بمعرفة ما يريد أن يقرأه الرئيس وأعوانه.

تتجه وكالـة المخابرات المركزيـة ،وبسبب حجم عملها التحليلي، الى استقطاب مزيد من المتخصصين في هذا المجال والذين سيجدون أنفسهم فيما بعد غرقى في أعماق التحليلات. يقـول سميث: «إنهم منغمسون في تفاصيل عملهم في هـذه اللحظة وفي غضون التدفق اليـومي للأحداث. إنهم يخطئون على الـدوام في ملء فقرات الصفحة الأخيرة بمواد مـن الصفحة الاولى ذات العناويـن الكبيرة. والأكثر من هـذا، لديهم نزعة جارفة للإعتقاد أن عمليات التفكير السرية سوف تنتقل الى قرائهم».

شكى الجنرال (نورمـان شوارسكوف) الى الكونغرس بعـد حرب الخليج من أنه بينما بـزغ نجم المخابـرات أثنـاء الحرب، فإن التحليلات عن الجيـش العراقي كـانت حذرة وهـامشية وذات «صلـة ضعيفة بـالأحداث» الى درجـة غدت فيهـا دون فائدة تـذكـر. ولذا اتى شـوارسكـوف ليميـز بين الحقائق الجادة التي أتت بها المخـابـرات والتحليـلات التي بدت أنها تستخلص نتـائج من الحقائق وتتنبأ بـالمستقبل. ولم يحدد شوارسكوف ما إذا كان يعني بشكواه هذه و. م. م ام التحليلات العسكرية.

التقى وليـام ويستر نفس المشكلـة عنـدما واجـه المحللين بمسألـة مـا إذا كـانت العقـوبات الإقتصـادية ستخـرج صدام حسين من الكـويت ام لا. واستناداً الى أحـد الأعـوان، كان على ويستر أن يمحص التحليـلات كي يجعل منهـا أكثر تحديـداً بشأن جدوى العقـوبات. لقد اكتنفهـا الغموض، إذ قـال أحدهم أن العقوبـات ستقود الى (شـد الأحـزمـة)، فماذا عنى بـذلـك؟. لقـد أراد ويستر تحديـد متى ستـأخـذ تلك العقوبات فاعليتها، في ستة أشهر؟ ام في سنة؟ أراد أن يعرف. فإذا اشتمل تنبؤ ما على جميع الأسس، فسوف يكـون صائباً ولكنه قـريب من اللاجدوى أيضـاً. وأخيراً نال ويستر ما أراد ببيان يفيد بأن العقوبـات لن تقطف ثمار أقل فرصة نجاح قبل مضي سنة عليها.

كما أرهب ويستر بصراخـه الـدكتور (فـريتـز إرمـان) الذي كـان رئيسـاً لمجلس الإستخبارات القـومية، لاستخدامـه المصطلحات (من المحتمل، على الأرجح، من الممكن) في التخمينـات. إذ أراد أن يعـرف مـاذا تمثل هـذه الكلمات في معجم النسبـة المئوية لاحتمالات وقوع الأحداث.

وعلى مر السنين، تغيرت بنيـة التقديرات القـومية بضع مـرات في محاولة لتنشيط أدائها. فبعد أن فشلت و. م. م في التنبـؤ بغزو كوريا الشماليـة للجنوبية، أسس والتر بيدل سميث مكتب التقديرات القومي لتولي هذه المهمة. وتطورت التقديرات بطريقة

تعتمد على المعلومات المقدمة من محللي و.م.م ومجتمع المخابرات بأسره. استبدل كولبي، ببداية عام ١٩٧٣، الهيئة القديمة بمجلس المخابرات القومي بقوله: «غيرت المجلس لرأيي أن التقديرات والتحليلات لجد عمومية».

أطلق بموجب النظام الجديد على جميع أعضاء المجلس الستة عشر اسم ضابط مخابرات قومي، أخذ على عاتقه مسؤولية قضية معينة او منطقة جغرافية محددة كي يفرغ نفسه ويكون مسؤولاً في تقديراته عن تلك المنطقة او القضية بدلاً من إعطاء التقديرات بإجماع أعضاء الهيئة. إذ يوجد ضابط مخابرات قومي لإعطاء التحذيرات وآخر لانتشار الأسلحة النووية وثالث للأسلحة الإستراتيجية. ثم هناك ضابط آخر لكل منطقة في العالم كأمريكا اللاتينية والشرق الأدنى وجنوب آسيا. وضابط المخابرات القومي المسؤول عن التحذير مثلاً يتحمل المسؤولية الرئيسية عن إصدار الإنذار إذا كان هجوم عسكري على وشك الوقوع.

يتألف كادر ضباط المخابرات القومية من قدماء ضباط و.م.م وكبار موظفي وزارة الخارجية المتقاعدين وجنرالات وأميرالات سابقون، اي أنهم أشخاص ذوو خلفية كافية ليتصدوا للبيروقراطية. وهم يخدمون لفترة أمدها عامين لضمان أن المنصب سينتعش على الدوام بدماء جديدة.

يصدر المجلس، الى جانب تقديرات المخابرات القومية التي تنظر في القضايا الجوهرية والتي غالباً ما تستغرق سنةً لاكتمالها، تقديرات إستخبارية قومية خاصة أكثر إلحاحاً وتستوجب إتمامها في غضون أيام او أسابيع، إضافةً الى عدد من المذكرات المختلفة التي تكتمل في أيام استجابةً الى اهتمامات خاصة. وعلاوةً على ذلك يعد المحللون مئات التقارير عن كل شيء من حصاد القمح الى الموقف السياسي لقادة دول العالم.

أنشأت و . م . م عام ١٩٧٦ فرقاً متنافسةً لعمل التقديرات القومية للنوايا والإمكانات السوفياتية. وكتحصيل حاصل تكونت لديها ستة فرق تنظر في قضايا مختلفة. إذ تمثل فرقة (أ) مجتمع المخابرات، بينما تتألف فرقة (ب) من هيئة من الخبراء الخارجيين. وفي منطقة واحدة -منطقة النوايا الستراتيجية السوفياتية- بزغ نجم فريق (ب) بقوله أن الإتحاد السوفياتي كان يتربص في السبعينات توجيه الضربة الاولى، بينما تجاهل الفريق (أ) هذه الإحتمالية. وقد أثبتت البيانات السوفياتية الأخيرة صواب رأي فريق (ب)، ولكن ليست كل فرق (ب) هي الأفضل. ثم تخلت و . م . م عن هذا النظام.

في عام ١٩٨٠ منح ستانسفيلد تيرنر، رئيس مجلس المخابرات القومي، سلطةً أكبر على الضباط الأفراد سعياً وراء أفضل إشراف على عملهم. واستناداً الى وجهة نظر الدكتور (فورد)، وهو خبير متميز في التقديرات، شق هذا النظام طريقه الى النجاح أكثر من اي نظام سابق. ومذ حينها لم ترتكب الوكالة اي خطأ ملموس باستثناء فشل التنبؤ بالظروف الإقتصادية المتردية في الإتحاد السوفياتي. وهي بينما أدركت التفكك في الكتلة الشرقية، كان من المستحيل عليها التنبؤ بأن غورباتشوف سيرخي من القبضة السوفياتية على اوروبا الشرقية قبل أن يقرر بنفسه ذلك القرار.

سجلت و . م . م بصفتها ممثلاً للمجتمع الإستخباري ،برغم بعض الإخفاقات العرضية، ضربات أكثر من موفقة وعلى مدى السنين.

لقد أكدت الوكالة مراراً أثناء حرب فيتنام أن العدو أقوى مما يُظن به في أروقة الحكومة الأمريكية، وأن حكومة فيتنام الجنوبية أضعف مما تبدو عليه. كما أوضحت الوكالة أن الأقطار الأخرى لن تسقط في أحضان الشيوعية إذا اكتسح الشمال الجنوب. ففي الحادي عشر من حزيران عام ١٩٤٦، وإجابةً على سؤال ما إذا كانت هزيمة الفيتناميين الجنوبيين ستسقط أحجار الدومينو، كتب مدير الوكالة المركزية

جون ماكون الى (مـاكجورج بئدي) المساعد الخاص للرئيس جـونسون لشؤون الأمن القومي: «لا نعتقد أن خسارة فيتنام الجنـوبية ولاوس ستتمخض عن شيوعية سريعة متتالية للدول الأخرى في الشرق الأقصى».

قالت و.م.م في تقـرير لها صدر في ١٢/ ٥/ ١٩٦٧ تحت عنوان "الحالـة الراهنة للمعنويات في فيتنام الشمالية": «باستثناءات قليلة فقط تشير التقارير الأخيرة الى رغبة مستمرة من جـانب الجماهير في البقاء بجانب سيـاسة هانـوي تجاه الحرب». وأضاف التقريـر أن المزاج العام واحد من «رواقية وطيـدة يعززها احتيـاطي ضخم من القدرة على التحمل لما يزل موجوداً».

يقول الدكتور (راي كلاين) الذي كان نـائباً لمدير و.م.م للإستخبارات في كتابه "وكالة المخـابرات المركزية في حكـم ريغان وبوش وكيسي": «أتذكـر ذات مرة أثناء فترة لينـدل جونسـون، أن ماكجـورج بئدي طلب مني إعـداد تحليل موضـوعي عن نتـائج القصف الجوي الأمريكي لفيتنـام الشمالية بقولـه (كلنـا يتفق أن ما لـديك من محللين هم وحـدهم الأبناء النجبـاء في البلدة، ونحن نبحث وراء الحقيقـة). وذهبت فئة قليلة من المحللين لإعداد هذه التقييمات. وتوصلوا خلال فترة من الزمن الى نتيجة مفادها أن القصف الجوي لم يبطأ الا قليلاً تسلل الفيتناميين الشماليين الى الجنوب. لقد كانت الـوكالة المركزيـة حاملةً لراية الأنبـاء السيئة طوال حرب فيتنـام، وعليه لم تلق استحساناً من اي طرف من صناع السياسة الذين جاهدوا كي يجعلوا التدخل في فيتنام عملاً ناجحاً».

إن ما يثير السخـرية أن و.م.م كـانت تنقل في تقاريـرها المصنفة تمامـاً ما يقـوله معـارضو الحرب في شـوارع واشنطن. واستشـاط المحللـون، والغيظ يأكلهم، حين أدار الرئيس جـونسون أذنـاً طرشـاء لتحذيـراتهم مفضلاً، مثل الرئيـس نيكسـون من بعده، أن يؤمن أن الإتحاد السوفياتي او الشيوعيين كانوا وراء تلك العواطف المناهضة

للحرب.

«إن المشكلة هي أن إدارة جونسون ونيكسون لم تنتبها حقاً الى تقارير المخابرات». هذا ما صرح به توماس بولفار الذي كان رئيس محطة و.م.م في فيتنام من ١٩٧٢ الى ١٩٧٥. وأضاف: «فلديهم خططهم الخاصة بهم ومفاهيمهم المسبقة». ويقول (جاك سميث) الذي شغل منصب نائب مدير الإستخبارات عند نهاية فترة إدارة جونسون: «أراد جونسون أن يستمع فقط الى الأخبار السارة عن فيتنام».

لم تتزحزح الوكالة المركزية عن موضعها وأمسكت بزناد بندقيتها برغم كل ذلك، وظلت تنقل تطورات غير مرغوب بها. بيد أنها واجهت حين تبوأ وليام كيسي منصب مدير وكالة المخابرات المركزية عام ١٩٨١ مشكلةً مختلفة. ماذا يحدث حين يكون لمدير المخابرات نفسه جدول أعمال سياسي؟؟؟!!.

الفصل الثالث عشر

تلفيق التهم

قاومت و. م. م الضغوط السياسية المسلطة لتغيير أحكامها على مر السنين. فحين بالغت القيادة العسكرية في تقديراتها للقدرة العسكرية السوفياتية، تمسكت الوكالة بالتقديرات الأقل التي برهنت صحتها على العموم. وبينما رضخ ريتشارد هيلمز لضغط البيت الأبيض لرؤية ما إذا كانت دول أجنبية تمول الجماعات المنشقة، وجه تقرير الى الرئيس جونسون ونيكسون مفيداً بعدم وجود تورط أجنبي في الحركة المناهضة للحرب. ولما حاول نيكسون أن يجند و. م. م لتغطية فضيحة ووترغيت، أبى هلمز ذلك مما نجم عن طرده.

كما صانت الوكالة سلامة موظفيها. في صيف عام ١٩٥٣، أعلن السيناتور (جوزيف مكارثي) أن لديه سبب للإعتقاد بوجود أكثر من مائة شيوعي داخل صفوف الوكالة المركزية قاصداً بذلك (كور مير)، ضابط الوكالة الذي جاء به آلن دولس نفسه. وهو ذو خلفية ليبرالية قبل ولوجه عتبة و. م. م، إذ ترأس (فيدراليو العالم المتحدون) التي هي مجموعة معارضة للتسلح القومي. طالب مكارثي مكتب التحقيقات الفيدرالي، تحت إدارة ادغار هوفر، التحقيق في سجل مير الماضي. وخرج المكتب بتهم شنيعة منها أن مير كان زميل (كاس كانفيلد) الذي وصفه تقرير لمكتب التحقيقات الفيدرالي بأنه متعاطف مع القضايا الشيوعية. والحق أن كانفيلد، الذي غدا فيما بعد رئيساً لشركة نشر نيويوركية تدعى "هاربر وإخوانه"، كان ديموقراطياً

معتدلاً ليس له مع الشيوعية ناقة ولا جمل.

عرض دولس طلباً من مكتب التحقيقات الفيدرالي لاستجواب مير، وقال إن و.م.م نفسها سوف تتحقق من تلك التهم. وفي عيد الشكر دعا دولس مير الى بيته ليقول له أن ساحته قد أبرأت من أية تهمة أمنية.

ولعل خير مثال على استقلالية و.م.م هو ما حدث إبان حرب فيتنام، حين دفع بها الرئيس جونسون للمصادقة على سياساته بمواصلة الحرب، ففعلت الوكالة العكس بالضبط. فهي قد حذرت من أن (نظرية الدومينو)، وهي الإدعاء بأن المتبقي من جنوبي شرق آسيا سوف يسقط في يد الشيوعية إذا استحوذ الشمال على جنوب فيتنام، هي نظرية موهومة. وهكذا قطعت أحد التبريرات المبدئية للإدارة الأمريكية لمواصلة الحرب. وعلى نحو متكرر، شككت الوكالة بتأكيدات صانعي السياسة المتعاقبة أن الإنتصارات ما برحت ماضية على قدم وساق.

ذلك هو السبب الأول وراء تأسيس وكالة المخابرات المركزية، اي تقديم معلومات وتحليلات صريحة ومستقلة وموضوعية لما يجري في أروقة العالم. وهي لو فقدت تلك السمعة لما بقي لها مبرر للوجود. بيد أن هذا أخذ بالتغير عندما أمسى وليام كيسي مديراً للمخابرات المركزية في ٢٨/ ١/ ١٩٨١، او كما بدا ذلك. كان كيسي رجلاً لامعاً، محامياً متمرساً وطالباً بالهواية. شغل للفترة من عام ١٩٤٤ الى ١٩٤٥ منصب رئيس لفرع المخابرات الخاصة لمكتب العمليات الاستراتيجية في مسرح العمليات الاوروبي. واحتل من عام ١٩٧١ الى ١٩٧٣ منصب رئيس الأمن والمبادلة. وعند حلول عام ١٩٨٠ طلب اليه رونالد ريغان أن يترأس حملته الإنتخابية الأولى.

أتى كيسي، بصفته قارئاً نهماً، على كل كتاب يقع بين يديه حول شؤون العالم

واقتصاده. ولازم مخازن الكتب في واشنطن لا سيما كتب (سيدني كرامر)، باحثاً عن الكتب المغمورة المتعلقة بالقضايا السوفياتية وشؤون العالم. وعلى الأغلب كان ذلك لإشباع فضوله الفكري. لقد اقتنى كتباً كثيرةً حتى لأجبر حراسه دوماً على مساعدته في حملها. وقدر أحد مساعديه أنه كان ينفق (٤٠) ألف دولار سنوياً على الكتب والمجلات فقط.

وقال عنه (ستانلي سبوركن)، الذي كان مستشار كيسي في و. م. م ويعمل الآن قاضياً فيدرالياً في واشنطن: «كان ألمع شخص قابلته في حياتي، ولديه ذاكرة صورية، ولم يكن يطيق الحمقى. ولم يألف الإجتماعات الطويلة. كان يخاطب من حوله: لا تكرروا قول الأشياء.. إنني أفهمكم.. وكان هو كذلك».

على أن له وجهاً آخر أيضاً، إنه وجه السياسي والأيديولوجي وصانع السياسة وعاقد الصفقات. لقد سأل كيسي، بعد أن تبنى مهمة إدارة المخابرات المركزية، الرئيس ريغان إن كان بوسعه أن يمنحه مكانة وزير، ووافق ريغان على منحه تلك الدرجة الإضافية من الهيبة والنفوذ. وتلك كانت نقطة انعطاف عن الماضي، يوم كان مدراء و. م. م مجرد ممونون للمعلومات. فأضحى كيسي باعتباره عضواً في مجلس الوزراء جزءاً لا يتجزأ من إدارة ريغان ومسؤولاً ليس عن إدارة و. م. م وتقديم التقديرات المخابراتية للرئيس فحسب، بل وعن اتخاذ القرار السياسي.

أيقن كيسي أن السوفييت كانوا أكذب وأقوى مما تعتقده حكومة الولايات المتحدة. ولإيضاح أن الإتحاد السوفياتي كان (امبراطورية شيطانية)، سعى كيسي الى التفوق على إدارة ريغان وأن يضربهم حيث يؤذيهم، وأن يريهم ما كانوا هم عليه. وهو لم يؤطر نظريته عن الوكالة المركزية وفقاً لسياسته التحفظية فحسب، بل بالرجوع الى أيامه التي أمضاها في مكتب الخدمة الستراتيجية، المعروف بجرأته إضافة الى مغامراته الشبيهة بمغامرات رعاة البقر.

بينما أسرّت نشاطات مديرية العمليات كثيراً قلب كيسي، فإن نشاطات مديرية الإستخبارات قد سلبت عنه ذلك السرور. فقد رأى في المحللين حفنةً من الليبراليين، مفكرون غامضون لم يعرفوا شيئاً عن الحقائق القاسية في العالم ويهابون الآراء المغامرة.

قال عنه (جون بروس)، الذي عمل طويلاً في و.م.م ثم جاء به كيسي من تقاعده ليكون أحد مساعديه: «كانت اولى أولويات كيسي هي تحسين عملية التقديرات. لقد وجد أمامه نظاماً مفككاً لحد بعيد حط كثيراً من مستوى التقديرات. وكان أول شيء لديه هو إرجاع التقديرات الى قاعدتها القوية، وإتاحة المجال لأصحابها ليحوزَ كل منهم على منصب أقوى».

ومع هذا، توافق الإتجاه الذي اختطه كيسي لنفسه تماماً مع نظرته المتحفظة للعالم. وبعد فترة وجيزة وجد نفسه يتصادم مع أكثر القضايا قدسية لدى و.م.م: (لا يجوز لأولئك أن يلفقوا الكتب).

استأجر كيسي، حتى ينخس البيروقراطية، (هربرت مير) البالغ من العمر ٣٦ عاما. وهو رئيس تحرير صحيفة (فورتشن) والذي لاقى كتابه "الحرب ضد التقدم" رواجاً كبيراً أثناء حملة ريغان الإنتخابية عام ١٩٨٠. لقد كان ذلك الكتاب هجوماً على معارضي الأملاك العقارية والتطور التكنولوجي. وفي البدء عمل مير، مدخن الغليون الوسيم المعتد بنفسه، مساعد كيسي الخاص. وفي عام ١٩٨٣ تبوأ دوراً أكبر حين غدا نائباً لرئيس مجلس المخابرات القومي، وهو مجموعة من ضباط المخابرات القومية المكلفين بإعداد تقديرات المخابرات القومية.

أضفى مير على طابع العمل النزعة المحافظة وعقلية الصحفي الثاقبة. وقرر أن محللي و.م.م ليعيشون عزلةً عن بقية العالم، وضيقي الأفق في استخلاص

مفاهيمهم. وأجرى اتصـالات خارجية مع السياسيين وقادة الـدول وكبار المسؤولين التنفيـذيين للشركات الكبرى. وفيما كـانت مهمـة مديـريـة العمليات الحصـول على المعلـومـات من ميـدانها، بـدا لمير أن مـن الـواجب أن يكـون للمحللين اتصـالاتهم ومصادرهم.

يقول مير: «إذا كنت تطمح من العمل تحقيق الميـول ورؤية المستقبل، فالحكـومة ليست بالمكان الـذي يجد فيه المرء تلك الضالة. إن المكافآت أكثـر مقداراً في الصحافة والسياسة والتجارة والدراسات الأكاديميـة. وفي اللحظة التي تبدأ فيها بإخراج طلبة مـرحلة جــ. و. ب، سـوف تجدهم يتبنون طلبـةً آخـرين من مرحلتي جـ. و. ب. وبمـرور الزمن، ستكـون لديك حلقـة لا تعمل كما ينبغي. إذ أنهم يريـدون موافقـة المجموع بدلاً من الأفراد وما ذلك بشيء حسن في عالم متسارع التغيير».

وهكذا، حين اقترح مير التمعن في قضية جديدة تـدعم وجهة نظره المحافظة عن العالم كان عسيراً على اي امرىء أن يتهمه بمحاولـة تخريب عملية التقديرات، فكانت طريقتـه تقتضي السؤال وسبر الأغوار واتبـاع الجدل. والأكثر من هذا، كـان الرجل مصيباً في أحايين كثيرة حين بدت الكثير من آرائه خارجةً عن الإتجاه الفكري السـائد.

وسواءً كان مير قد غير عـادات غداء المحللين بحيث شرعوا يتطلعون الى الخارج من نافذة واسعة ام لا، وسواء كان لذلك اي تأثير ام لا، فتلك مسألة قابلة للجدال. الا أن اسلوبه في التعامل أفرز نمط تفكير جديد.

«لقد جاء مير، بصفته رجلاً من خارج المنظمة، بـروح جديدة بالرغم من أنه قد نزع ريشه المهني نظراً لأسلوبـه غير التقليدي ولأن كثيرين لم يستسيغوا آراءه السياسية المحافظـة». هذا هو رأي (جـراهام فـولر) الذي كـان ضابطاً في المخـابرات القـومية حينذاك، ومن ثم خلف مير بمنصب نائب الـرئيس. ويضيف: «ولكنه لم يفعل شيئاً

سـوى أن يـوجه أسئلـةً قـاسيـةً الى الأشخـاص ومن ثم يشتبك معهم في الجدل. ولم يفرض ما ينبغي أن يقوله مكتبنا، بل يقول: هل درستم هذا او ذاك؟».

ويمضي فولر في حديثه عن مير: «اختلف كثيرون مع مير وبضمنهم أنا. بيد أني كنت استمع اليه حتى نهاية كلامـه، لاعتقادي بوجود أشياء مفيدة لـديه ليقولها. لقد رفض الكثيرون أقواله بسبب خلفيته المحافظة».

وبنفس الطريقـة كان كيسي يستفسر ويشجب، ولما كـان مديراً كـان لآرائه وقعاً أكبر من مير. غير أن كيسي سرعان مـا تعلم أن خطاه قـد توقفت هنـا وقد وصل لهذا الحد فقط، فلا يسعه ان يدفع ضباط و. م. م الى قول ما لا يرغبون قوله. وتارةً أخرى واصل كيسي سعيه، وكانـت النتيجة سلسلة من مشاحنات -بعضهـا تفشى وبعضها خفي- أبـرزت الى السطح، أثناء ولايـة كسي، ان الجانب التحليلي في الوكـالة يفقـد وحدته.

لقد بـدأ ذلك في الأول من آذار عـام ١٩٨١، حين نشرت مجلة نيـويورك تـايمز مقتطفاً من كتاب كلير سترلنغ "شبكة الإرهاب: الحرب السرية للإرهاب الدولي"، الذي ذكر أن السوفييت كانوا يقدمون الأسلحة والتدريب والايواء للإرهابيين كجزء من الجهد السوفيـاتي للحط من شأن الديموقراطيـة الغربية. ولم تقل و. م. م اي شيء من هـذا القبيل، فطلب كيسي من محللي الـوكالـة ان يتعقبـوا ويكتشفـوا ما اذا كـانت حقـائق سترلنغ صحيحة، بعـد ان كـانت شكـوك قد سـاورتـه من مـدة طويلـة بأن السوفييت كـانوا يـوجهون الإرهـاب الدولي مستخدمين (بلطجيين) مـن شتى أنحاء العـالم كجبهـات لأغراضهم المنحـرفـة. إن مـا ظهـر على شكل مسودة تقييميـة كـان ملتبساً، ولم يكن ذلك ما أراده كيسي. إذ لم يدعم الدليل المتوفر لدى و. م. م وجهات نظر كيسي او سترلنغ.

صرح (ديفيد ويبل) الـذي غدا فيما بعد ضابط مخابـرات لشؤون الإرهاب: «إنها مسألـة معـاني، إذ يقــول كيـبي أن السـوفييت (يـدعمـون الإرهــاب ولـذلك فهم مسؤولون)، وكان على كلينا أن يذهب الى لجنة كونغرسية، حيث سيقول كيسي (انهم مسؤولـون)، ارجعوا لعملكم ضحىً واتـركوني لأواجـه اللجنة بنفسي بعـد الظهر. وكان علي أن أحـاول محو ما قاله، لأنني كنـت أحاول التمييز بين الدعم السـوفياتي لما يسمى نضالات التحرير الوطني وبين الإتجاه الفعلي للنشاطات الإرهابية».

ويضيف ويبل: «كـان هنـاك ضغط داخلي للتصريـح بأكثـر ممـا نستطيع تبريـره عمليـاً، وقـاوم أغلبنا ذلك. كـان كيسي محقـاً، فليس بمستطـاع ضابط المخـابـرات القوميـة أن يبقى خاضعـاً لذلـك الحد الذي كان هـو عليه». ويقـول ويبل أنه بـرغم الأقوال الأخيرة عن دعم الكتلة الشرقية للإرهابيين، «فإنني لا أعتقد أن تلك الأقوال ستثبت أن السـوفييـت هم وراء أعمال الإرهـاب، غير أنهم دعمـوا حقــاً الشعـوب والمجموعات التي انخرطت فعلاً في صفوف الإرهاب».

أدى تدخل كيسي ،من خلال نظرته المحافظة المتحمسة وكذلك تورطاته المتكررة في سياسة إدارة ريغان، الى جعله عنصراً مشكوكاً فيه في عيون محترفي الوكالة المركزية. واحتدت تلك الشكـوك بعد أن اتضح أن كيسي قـد أشرك على نحو مأساوي وفـاسد مديرية العمليات في فضيحة ايران-كونترا.

وحلت صفعة عاصفة مـدوية في ٢٨/ ٩/ ١٩٨٤، حين نشرت واشنطن بوست أن (جون هورتون) الـذي احتل منصب ضابط المخابرات القومية لأمـريكا اللاتينية، قد قـدم استقالته عندمـا أعاد كيسي كتابة تقـديراته عن المكسيك بما يتناسب وسيـاسة الولايات المتحـدة. واستناداً الى المقال، تبنى هورتون رأياً معتـدلاً عن وجهات النظر بشأن المكسيك بينما أراد كيسي مـوقفـاً متشدداً يقـول أن الحكـومـة المكسيكية سـوف تتحرك يساراً وتصبح عنصراً غير مستقر.

خلقت الصحيفة من تلك القصة موضوعاً مثيراً، غير أن الحقائق كانت مختلفة تماماً. لقد كان مير وكيسي وراء تلك التقديرات حين أعطيا أذناً صاغيةً لحكايات الأصدقاء في المكسيك عن الأحوال الآخذة بالسوء هناك. وعليه تم انتداب محلل محترم من الوكالة المركزية يدعى (بريان لاتل) لكتابة مسودة التقديرات. وحسب العادة، يستند المحللون في استنتاجاتهم الى المادة المتوفرة في المقرات بما في ذلك القادمة من محطات الوكالة في الخارج. لكن لاتل رحل كذلك الى المكسيك، وبقي على اتصال بمير ومن ثم كتب مسودة تقرير خلصت الى وجود إمكانية -قدرت فيما بعد بنسبة واحد الى خمسة- أن تغدو المكسيك عنصر عدم استقرار خلال الثلاث الى الخمس سنوات القادمة. فتزامن هذا الرأي مع مخاوف مير وكيسي اللذين شعرا بوجوب تنبيه صانعي السياسة الأمريكان باحتمالية أن تصبح المكسيك مشكلةً خطيرة.

احتفظ مير بنسخة من التقرير في خزانته، بينما عارض هورتون ،الذي كان الرئيس السابق لمحطة الوكالة في مكسيكو سيتي، ما جاء في المسودة. ولجأ الى ممارسة حقه باعتباره ضابط مخابرات قومي ومسؤول عن المنطقة، بكتابة نسخة نهائية اختلفت مع استنتاجات لاتل، متبنياً الى حد ما رأياً متفائلاً عن التطورات الجارية في ذلك البلد. بيد أن مير ،بصفته نائب رئيس مجلس المخابرات القومية، قد مارس حقه أيضاً في تغيير التقديرات بصورة أساسية لتتطابق مع مسودة لاتل.

قال مير فيما بعد: «تكمن مشكلة هورتون في أننا مارسنا حقنا في تنقيح ما قال. إنه لم يقل مطلقاً أن تلك المسودة (التي كتبها) هي المسودة الثانية. لقد وضع مسودة الخبير جانباً فأرجعناها، وله الحق في ذلك كما أنني لي حق في ذلك أيضاً».

صرح (روبرت غيت) ،الذي كان حينئذ رئيس مجلس الإستخبارات القومي، : «ظن كيسي متهكماً أن هورتون كان يحاول إجهاض ما قاله المحلل. وحصل جدل

مـريز حـول ذلك، غير أنـه كـان تقريـراً نـزيهاً يبدأ مـن الصفحة الاولى من المسـودة النهائية. وكان نصف مجتمع المخابرات متمرداً على ذلك الرأي المتشائم».

ولما تكشفت الأحـداث في المكسيك، اتضح أنها تقع في مكان بين وسط مفـاهيم هورتـون ولاتل ومير. بيد أن هذا الحادث عـزز فكرة أن كيسي كـان يلفق التهم. اما الحقيقة فهي أن كيسي قد أصغى الى الحقائق وكـان مستعداً للتنازل عن رأيه إذا حصل على حجة مقنعة. ولم تشكل نزعة كيسي المحافظة أيـة مشكلة لكبار مسؤولي الوكالة، فلديهم الكثير عنه ليتشانخوا به.

يقول فـولر: «وأنـا أقطع الخطى صوب كيسي، تملكنـي شعور بوجـود شخص ألمعي من الطـراز الأول في العمل. إنـه يستمع ويحاور ويستجيب، وذلك شيء جـد سـار لمحلل مخابرات قـديم عند مقـارنته مع أنـاس خاملين لا يشـدهم جوهـر الشيء اليه».

ومع ذلك فليس من أحد يستطيع أن يقول متيقناً بمقـدار تأثير ايديولوجية كيسي على محللي الـوكالـة من المستـوى المتدني، ومـا من أحـد بمقـدوره ايضاح تأثير نـاشر صحيفة محافظ او ليبرالي على الطريقة التي يغطي بها محرروه الأنباء. وعلى العكس من خلفه وليـام وبستر، كان كيسي مراقبـاً ذا فطنة سياسيـة وهذا ما أوقعـه في خلاف مع أغراض و. م. م في تقديم الحقـائق والوثائق فقط كما هي غير آبه بكيف يريـدها صناع السياسة أن تكون.

وبينما ظهـر أن كيسي ومير مصيبان بعـدد من المسائل، ظهـر كذلك أنهما مخطئـان عـدداً من المرات. ففي عام ١٩٨٣ كتب مير سلسلـة من المذكرات تبين أن الإقتصـاد السوفياتي بحالة متردية، وهذا ما ثبت أنه أقـرب جداً الى الحقيقة من تقديرات الوكالة المركزية. وقد سلم كيسي هذه المذكرات الى ريغان. ومن ناحية ثانية، أوضحت نفس

سلسلة المذكـرات أن إسقاط طائرة الركـاب الكورية في الأول من ايلـول عام ١٩٨٣ كان مؤامرةً سوفياتية رهيبة. وتنبأت مذكرات مير بحصول مزيد من هذه الحوادث.

وبعد ذلك قال تقرير لجان الكونغرس حول فضيحة ايران-كونترا: (أساء كيسي تمثيل جهاز الإستخبارات المتوفر لديه او أنه استخدمه بشكل انتقائي)، لكسب الدعم للمتمردين النيكـاراغويين في منـاطق محددة جداً. وأضـاف التقريـر أن كيسي أحدث ضغطاً على ضباط مـديرية العمليات ،مقـارنةً بمحللي مديريـة الإستخبارات، لتغيير بعض التقاريـر المتعلقة بالمتمـردين. وحرر كتاباً الى الـرئيس ريغان شوه مـواقف قادة أمريكا الوسطى تجاه سياسة أمريكا مع المتمردين.

نجم عن تدخل كيسي ظهوراً لنقص في الموضوعية. وفي أي عمل يكون التكامل فيه أمراً حاسماً، يغدو لمثل هذا الإنطباع تأثيراً مدمراً مثل مجهود صريح لتلفيق التهم. وبرغم كل شيء استمرت و.م.م في إصدار التقـديرات التي تعارضت مع آراء كيسي مبرهنةً أن تأثير كيسي لجد ضئيل إن لم يكن معدوماً.

وفي سنـة ١٩٨٣ أعلنت و.م.م أن معـدل الإنفـاق الدفـاعي السـوفيـاتي أخـذ بالتناقص. لقد تعارض هذا التقـرير مع برنامج البيت الأبيض في عهد ريغان ووزارة دفاع كاسبر واينبرغر. كما لم يكن لكيسي أي تأثير على تقديرات و.م.م عن إمكانيات متمردي نيكاراغوا، المشروع الـذي رعته إدارة ريغان. وأشار تقرير أعـد في حزيران ١٩٨٥ عن نيكاراغوا أن «جيش ساندستاليس غير قادر بمفرده أن يسحق المتمردين، كما ليس بوسع العصاة أن يقهروا جيش ساندستا».

يقـول (روبـرت غيتس) الـذي كان نـائب مـديـر الإستخبـارات ورئيس مجلس المخابرات القـومية ونائب مديـر المخابرات المركزيـة في عهد كيسي، أن كيسي لم يفلح يـوماً في أن يـؤثر على المحللين. وأن الجانب التحليلي للـوكالـة نزع أكثر للتشاؤميـة

بخصوص إمكانات المتمردين من سياسة الحكومة او النشاطات السرية للوكالة. وفي نفس الوقت ربما كنا أكثر تشاؤماً بخصوص الجيش السلفادوري». ويضيف: «إن النقطة الجوهرية هي أن الوكالة قد أنجزت طوال تلك الفترة عملاً تحليلياً، وان النظرية القائلة أن المحللين يتأثرون بالسياسة لباطلة تماماً».

يقول كير: «لم يطلب مني قط أن أكتب شيئاً مختلفاً عما كتبته. وكان كل ما يفعله هو أن يقول: (لا اؤمن بهذا.. لا أعتقد ان هذا ما روي عنه.. لا أعتقد أن هذا تم توثيقه بشكل حسن.. لا أعتقد أنك قمت بتحليل موقف لهذا، وأعتقد أنك أغفلت ما أعتبره المسألة الرئيسية). وعلى العموم تبقى الوكالة المركزية شيئاً مجهولاً.

وهنا يصرح كير: «ليس هذا لأننا أسمى من الآخرين برغم أننا جيدون. بل يرجع ذلك جزئياً الى أننا لا نعتقد بوجود بديل عن أن نكون نزيهين، فهذا نهجنا وهو السبب الوحيد الذي يجعل الشعب يقرأ لنا لظنه أننا نسعى لأن نجعل عملنا منفصلاً عن السياسة الوزارية. وربما لن يتسنى أن نفهم هذا، ولعلنا مخطئون، ولكن ليس لأننا ضالعون في تلك السياسة. فإن أضليت هذا السبيل فستفقد الحق في الاطلاع كما تفقد الشعب الذي يقرأ لك. وبالنسبة لنا لو فعلت هذا فإنك خاسر. ومن المنظور المثالي، ليس لدينا مدير مخابرات مركزية مثل هذا، غير انك بحاجة الى من يجبرك على فحص الأشياء، وبوسعه ان يبدي آراءاً جريئة. كما يتوجب أن يتبنى آراءاً مغايرةً ليفضي بالمعنيين الى تطوير مجادلاتهم». وذلك ما تجلى خير تجلٍ في مسألة الإقتصاد السوفياتي.

الفصل الرابع عشر

سبق السيف العذل

ما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، حتى أخذت مديرية الإستخبارات التابعة لـ (و. م. م) على نفسها مهمة شبه مستحيلة: تلك هي تقـدير حجم الإقتصاد السوفياتي ومقـدار الأموال المصروفة على النشاط الدفاعي، وذلك أمـر صعب بالنظر لطبيعة المجتمع السوفيتي. فحتى ساعة انتهـاء الحرب الباردة، كان الإتحاد السوفياتي مـوصد الأبـواب أمام العـالم الخارجي، غير أن ذلك ليس سـوى جزء من المشكلـة. فالصعـوبة الكبيرة تكمن في أن الإقتصـاد السوفيـاتي تحدى كل ادراك سليم. فنظـرياً تجده اقتصاداً مخططاً ومركزياً يخضع بموجبه الإنتاج والأسعار الى أوامر موسكو. واما عملياً فبسبب هذه السيطرة المصطنعة كان اقتصاداً مترعاً بالصفقات الخفية والإحتيال العصيين على الإستيعاب. إذ سـار الاقتصاد السوفيـاتي من الأزمة الخانقـة الى السوق السوداء على أصعدة متعددة. وفي ظل الإقتصاد المخطط لم يكن لدى السوفييت حافزاً للعمل الجاد من أجل إنتاج أي شيء. واتجهـوا الى دفع نفس المبلغ بغض النظر عما إذا كانوا عملوا شيئاً أم لا. وبسبب انعـدام الإرتبـاط بين أسعار البضائع وكلفتها الحقيقية او قيمتها بـالنسبة للمستهلك، انتفت الـوظيفة الإعتياديـة للأسعـار والمتعلقة بتنظيم ميزان العرض والطلب. وفي الإقتصاد الحر، ترتفع أسعار الأحذية او الشوكولاتة إذا كان العـرض أقل من الطلب محفزةً المتعهدين على إنتـاج المزيد منها. وهذا مـا يفتقده الإتحاد السوفياتي، حيث تتولى البيروقراطيـات الجامدة تنظيم الإنتاج. وحتى لو أتيح تنظيم مـلايين الصفقـات من مـوسكـو، فليس لـدى البيروقـراطيين وازعـاً لمواكبـة

التغييرات في الطلب. فمهما ازداد طلب المستهلك من الشوكولاتة او الأحذية، يبقى السعر والعرض على حالهما. لم يعرف السوفييت أنفسهم الحجم او الشكل الحقيقي للاقتصاد السوفياتي. واستقوا معظم نشاطهم الإقتصادي من ثنايا السطور في الكتب- في صفقات المقايضة التي أتت على مقدار لا يستهان به من الحصة الفردية اليومية لكل مواطن. كما رغب السوفييت عن معرفة المقدار الهائل من الضياع والإحتيال الذي استهلك الكثير من إنتاج البلد. فإذا لم يتسن للسوفييت أنفسهم أن يعرفوا، فكيف كان على و. م. م أن تعرف؟؟؟.

كانت الأجوبة حاسمة. واحتاجت أمريكا، للحصول على حكم أفضل على قوة خصمها، الى أن تعرف مقدار ما كان ينفقه السوفييت على الدفاع، ولأي مدىً سيواصلون ذلك المشوار. فإن كان الاقتصاد السوفياتي قوياً سيستطيع السوفييت أن يخصصوا للدفاع مبالغ طائلة حتى إشعار آخر. وإن كان ضعيفاً، فمن المتوقع أن يخفض السوفييت الإنفاق الدفاعي. وهكذا تداخلت المسألتان، فإذا كان إجمالي الناتج القومي السوفياتي أعلى مما يعتقد ستنخفض نسبة الإنفاق على الدفاع والعكس بالعكس. وفي كلتا الحالتين اعتبر حجم النفقات الدفاعية السوفياتية مساوياً تقريباً الى حجم الإنفاق الدفاعي للولايات المتحدة.

خمنت و. م. م لسنوات عديدة أن الإقتصاد السوفياتي يتوسع بمعدل ٤ , ٢٪ سنوياً. وفي مطلع عام ١٩٨٠ أشارت و. م. م أن الإتحاد السوفياتي يعاني (فقدان الزخم)، وعدلت نسبة تخمينها لتصل الى ١ , ٢٪ سنوياً. الا أن أرقام و. م. م عن مجمل الناتج القومي السوفياتي لم تعكس بدرجة تامة جسامة المشاكل الكائنة آنذاك. وبناءً على تقديرات و. م. م، بلغ الناتج القومي للفرد السوفياتي نصف ما يناله الفرد الأمريكي. ولذا فلا حاجة للمرء أن ينال شهادة دكتوراة في الإقتصاد ليقول بشكل جلي أن ذلك أمراً محالاً. لقد أصابت الدهشة كل من زار الإتحاد السوفياتي، ووجده

باستثناء قدراته العسكرية، بلداً من بلدان العالم الثالث.

فالذهـاب الى مخازن البقالة يشبه زيارة قبر. ففي معظم الأيام ليس لـديهم حقاً ما يبيعونه سـوى البطاطا والبصل. وإن توفر لديهم اللحم، فهـو ليس غير شحم تقريباً ومجمداً على الـدوام. وإذا لاح الدجـاج فهو شيء مخالف للمعتـاد، وما هـو الا جلد وعظم بـالمعنى الصريح. واما الحليب فحامض لحظـة شرائه. التفـاح صغير الحجم وذابل، والبرتقال لا يـزال فجاً، وإن تـوفر العنب فتجـده متعفناً. ومن أجل الـوفاء بالحصص تخلط بـالشاي عيـدان صغيرة مع أوراق نباتات أخـرى لزيـادة حجمه. إن لدى أغلب دول العالم الثالث ما يكفي في الأقل لإطعام شعوبها.

ولتحصل على التفاح، عليك أن تشق طـريقاً خلال الـزحام لتنال فرصـةً لإلقاء نظرة خـاطفة على قـائمة الأسعـار، ومن ثم الإنتظام في طـابور لمدة نصف سـاعة كي تصل الى أمين الصندوق لـدفع المبلغ مقدمـاً. وأخيراً، عليك الإنتظار في طابـور آخر لنصف ساعة أخـرى حتى تبرز الفاتورة الى ثانٍ يتـولى وزن التفاح وتسليمه إليك دون كيس او غلاف ورقي.

لقد جعلوا كل شيء رخيصاً وأهملـوا إعداده حتى لم يعد ينفع لشيء. ففندق مثل (الفندق الوطني)، الـذي يقع عبر الساحة الحمراء في موسكو، بـاعتباره من الفنادف الراقية ومعد لاستقبال الأجانب، يواجـه الضيوف برواقه المتعفن وأبسطة رثة متربة. واما الوقوف عند منضدة الإستقبال فتشبه العودة القهقرى الى القرن التاسع عشر، إذ هناك آلة مبرقة كاتبة خشبية لها شبه بأول أجهزة المذياع. وغرف الضيوف خارجة من الغـرب الأمـريكي حوالي عـام ١٨٩٠ وأثـاثهـا يـذكـر بما يراه المرء تقـريبـاً في سجن أمريكي، فهي سريران بحجم أسرة الأطفـال يغطسان كحالة عـابر الشارع حين يهبط بمنتصف الطريق متنقلاً من شارع الى آخر، ومغلفتـان بأغطية بالية ذات شقوق وعلى الشراشف لطخات صغيرة صدئة، كما أن منضدة الزينة الصنوبـرية قديمة مرتخية بالية

حتى أنها لا تباع في سوق الثريات العتيقة في الغرب. والمكتب مغطى بقماش يبدو أنه استخدم لحفظ السمك.

بيد أن هذا ليس بشيء يذكر إذا ما قورن بغرفة الحمام. فالبلاط مخلوع وليس من شيء سليم، ومقعد الزينة خفيف كجلد دمية، والمغطس قديم وصديء، وتتوفر قطعة واحدة فقط من الصابون، وورق المرحاض أخشن من أخشن ورق كتابة غربي، والمناشف خفيفة ومهترئة من كثرة الغسل لدرجة أنها بالكاد تمتص الرطوبة.

وعند النزول الى غرفة الطعام تجد نادلاً واحداً في الأقل لكل مائدة، ومع ذلك لن تصلك وجبة الطعام الا بعد ساعات لأن النادلين يثرثرون معظم الوقت في ممر القاعة. وليس من حافز تشجيعي لأداء عمل حسن او تخفيف عدد العمال الفائضين، ذلك أن كل شيء تملكه الحكومة التي قررت من موسكو عدد العمال الذين ينبغي تشغيلهم في كل فندق، والأسعار التي تدفع وكميات الطعام.

ولحوانيت بيع المواد التذكارية ثلاث بائعات تساعد إحداهن الأخرى في إدارة المبيعات. فواجب واحدة أن تسلم كل مادة الى أمينة الصندوق التي تدون ذلك بينما تدور الموظفة الثالثة هنا وهناك، وأخيراً تلف المادة. وهؤلاء يستغرقن وقتاً أطول في البيع من أمين صندوق اعتيادي في أمريكا.

وبنفس هذا الخواء، تمر ست او سبع سيارات أجرة قبل أن يلتقط أحدهم راكباً. ويتقاضى السواق نفس الأجرة سواءً حملوا ركاباً ام لا، ولذا تراهم يواصلون مسيرهم دون أن يكلفوا أنفسهم عناء حمل أي فرد.

بعد أن تبوأ ميخائيل غورباتشوف السلطة في عام ١٩٨٥، بدأ الإقتصاد السوفياتي الهش أصلاً بالتداعي. وكان لسياسته المسماة (البيروسترويكا) او إعادة البناء الأثر الأكثر هدماً من النظام القائم أصلاً دون أن يطرح البديل الجديد. ولذلك وجه

اللوم الى و . م . م لفشلها في التنبؤ بانهيار الإتحاد السـوفياتي والتشبث بتقديرات مبهمة لإجمالي الناتج القـومي السوفياتي لم تـوضح بجلاء درجة تـدهوره . ومع ذلك ، نجح أسلوب و . م . م لعقود من الزمن .

ولما كان محالاً الـوثوق بالإحصاءات الـرسمية ، تبنت و . م . م طريقة لمعـرفة كل وجـه من وجوه الإقتصـاد السوفيـاتي ، من صنـاعة الفـولاذ ووسائل النقل الى إنتـاج الفحم والزيت . وحـددت و . م . م كمية وقيمة كل مادة متـوجة اعتماداً على اي دليل مرئي ممكن من خلال الأقمار الصناعية . فمثـلاً ، قدرت و . م . م كلفة إنتاج الطائرات المقـاتلة السـوفيـاتيـة بإضافـة قيمـة العمل الى كلفـة الفولاذ . وإذا مـا فشلت الأقمار الصناعية في تلك المهمة ، لاذت و . م . م صوب المهاجرين لعلها تفقه منهم معلومة او أن تستفيد من المعلـومات المستقاة من اعتراض الإتصـالات السوفياتية . ومن بعـدها تحول و . م . م النتـائج الى الروبـلات والدولارات . ولما كـانت الروبـلات غير قابلـة للتحويل الى دولارات ، توجب على و . م . م أن تعتمد تقدير معدل التحويل بالإعتماد على قيمة شراء تلك المادة ، كالفحم مثلاً ، في العملات الأجنبية .

وتلك كانت مهمة شاقـة ، فأعفت الوكالة نفسها من تقديـر كلفة إعادة إنتاج كل قطعة سلاح سوفياتي . ذلك أن خمسين ضـابط من و . م . م وحدهم يعملون في الأمور العسكرية . وبين فترة وأخرى تفيدهم ثغرة لكتاب سوفياتي يذكر كلفة بناء السفن ، او محاورةً ملتقطة عن حجم الميزانية العسكرية السـوفياتية ، او عن مرتد مثل (نيكولاس شادرين) ، وهو قائد بحري سوفياتي يعلم بتكلفة بناء المدمرات .

في عام ١٩٧٥ ، أورد لاجـىء سوفياتي يـدعي بأنـه اطلع على الميزانيـة الدفـاعية أرقاماً أوحت أن الإنفاق العسكري السوفياتي أعلى مما اعتقدت و . م . م . وقرر الفريق (دانيل غراهام) ، الذي تبـوأ فيما بعد منصب مدير وكالة الإستخبـارات الدفاعية ، أن و . م . م كانت تتجـاهل ذلك الرجل . وبرغم أنه فشل في اختبـارات كشف الكذب ،

اعتقد غراهام أن و . م . م أفسدت الإختبارات عندما قامت باستفزازه . وقابل غراهام الرجل بنفسه وقرر أنه ينطق حقاً . وصرح أنه يريد إخضاع الرجل لاختبار كشف كذب جديد ولكن باستخدام أسئلة أعدها بنفسه هذه المرة ، فاجتاز الرجل الإختبار .

وعليه تضاعفت تقديرات و . م . م للإنفاق العسكري في السنة التالية من (٥-٦)٪ لإجمالي الناتج القومي السوفياتي الى (١١-١٢)٪ . وأعلن ضباط و . م . م أن لمعلومات اللاجئين دوراً في هذا التنقيح الذي ادعوا أنه حصل على اية حال .

حين استمر الإقتصاد السوفياتي بالتدهور ، بدأ رجلان اثنان بإرسال تحذيراتهما المتماثلة ، أحدهما (هنري روان) وهو رئيس سابق لمجلس المخابرات القومية ومن ثم غدا مساعداً لوزير الدفاع لشؤون الأمن الدولي ، والآخر هو (اندرو مارشال) الذي هو مدير التقديرات النهائية لوزارة الدفاع . والتقيا ومعهم (تشارلس وولف) ، عميد مدرسة (راند) لدراسات التخرج ، الرئيس رونالد ريغان ليخبروه بأن الإقتصاد السوفياتي بحال أسوأ مما تقول عنه و . م . م .

«تجاهل مستشاروك المصاعب التي يعاني منها الإتحاد السوفياتي لدرجة كبيرة» قال روان لريغن ، مضيفاً : «ونحن في أحسن وضع للمساومة» . وقد تزامن رأيهم مع صدور مذكرات وليام كيسي التي قدمها عنه مير الى ريغان ، والقائلة أن الإقتصاد السوفياتي في وضع أسوأ بكثير مما تعتقده و . م . م .

ومع ذلك لما تزل و . م . م تتشبث بموقفها لتقول ، وفي نفس تلك السنة ، أن الإقتصاد السوفياتي يتحسن . وبعد ذلك تلقت الوكالة إشعاراً بالمشاكل التي تنخر بنية الإقتصاد السوفياتي دون أن تغير من تقديراتها . ففي عام ١٩٨٧ مثلاً ، قالت و . م . م : «لقد حصل الإقتصاد السوفياتي على مكاسب راسخةً منذ عام ١٩٦٠ . . غير أن نموه أخذ بالتباطؤ لا سيما في العقد الأخير» .

وإذا ما تبصرت في الماضي، ستجد أن ايضاحات النقاد بأن الإقتصاد السوفياتي ،باعتباره نظاماً قائماً بنفسه، يعاني من مأزق حقيقي، قد برهنت صحتها. كما وضح أن تقديراتهم القائلة بأن الإنفاق العسكري السوفياتي يستهلك من المحصول السوفياتي مقداراً أكبر مما اعتقدته و. م. م، كانت صادقةً أيضاً دون ريب. لقد استطاع أولئك الإقتصاديون الأفراد ،الذين يعملون دون دعم مالي عملي، أن يستخلصوا نتائج أقرب الى الحقيقة من نتائج محللي و. م. م بكل مصادرهم الضخمة المتعلقة بعملهم الأصلي.

وفي عين الوقت ما من أحد يعرف الأرقام الحقيقية. إذ كيف يسع المرء أن يعرف شيئاً عن حقيقة أنه بالنظر الى إجراءات النظام السوفياتي التي تقيس إجمالي الإنتاج بعدد الأمتار المربعة من الزجاج المصنع، تقوم معامل تصنيع الزجاج بصنع ألواح زجاجية خفيفة لدرجة أنها تنكسر قبل وصولها المصنع؟. او أن الزينة المصنوعة من الرصاص تنتج بكميات كبيرة ولكن لا أحد يشتريها؟؟؟.

وطبقاً لما يقوله خبير الإقتصاد السويدي (اندرس اسلند) لو بيعت الصناعات السوفياتية في الغرب لعادت إليهم بأثمان أقل من أثمان المنتجات الخام التي صنعت منها أساساً. وكتب الخبير يقول: «إنها لتجربة مذهلة أن تسير في المخازن السوفياتية، وتقوم بتقييم قيمة البضائع السوفياتية المصنعة، وتقارنها بأسعارها السوفياتية الأصلية. ففي الغالبية الكبرى للحالات، تكون قيمة السوق الغربي للبضاعة السوفياتية -الطعام والمواد الصناعية أيضاً- صفراً او قريبةً من الصفر، ما دامت نوعيتها رديئة لدرجة أنها لا تجد مشترياً في الغرب».

وثمة مقدار كبير من الحاجيات الإستهلاكية مقرها السوق السوداء، وتلك أرض سبخة يستحيل على الإقتصاديين -داخل او خارج البلد- حسابها بدقة تامة.

وهكذا نستدل ،اذا أخذنا بعين الإعتبار حجم الصعوبات التي ينطوي عليها عمل كهذا، أن الوكالة المركزية قد آتت وعلى مدى السنين ثماراً طيبة. وحتى التنبؤ بحال الإقتصاد الأمريكي مهمة عسيرة. فلكل خمسة خبراء اقتصاد ،كما يقول المثل، ستة آراء. وفي الأيام البواكر للحرب الباردة، قدمت و.م.م لصانعي سياسة الولايات المتحدة علائم قاسية عن قوة الإقتصاد السوفياتي ومقدار الإنفاق على التسلح أثبتت ،وعلى النقيض من تعقيب سافير، أن الوكالة قامت بتصنيف سليم لحجم وشكل الجيش السوفياتي. وكان هذا أكثر أهمية من مجرد التنبؤ بمعدل الإقتصاد السوفياتي المنفق على الدفاع. إن حركة الوكالة لإدراك التغييرات الجديدة الطارئة كانت بطيئةً جداً فقط عندما آل الإقتصاد السوفياتي الى التفكك.

إن المهم في الأمر أن تقديرات الإقتصاد السوفياتي قد وصلت مسامع الرئيس ريغان سواءً عن طريق الوكالة المركزية ام تفوهت بها مذكرات مير او بعد التقائه مع النقاد سنة ١٩٨٦. كتب ريغان في كتابه "حياة أمريكية": «علمت باعتباري رئيساً بأن الإقتصاد السوفياتي في حال أسوأ مما كنت أدركه. لقد كان صندوق قطف، والسبب الجزئي يرجع الى الإنفاق الهائل على التسلح».

بعد أن طوت الذاكرة إستجابة و.م.م المتأخرة للتغيرات الحاصلة في الإقتصاد السوفياتي، واجهت مديرية الإستخبارات التابعة للوكالة المركزية تحد جديد أكثر خطورةً: التنبؤ بنوايا العراق حين حرك قواته باتجاه الكويت.

الفصل الخامس عشر

النصر

بدأت وسائل الإعلام تتساءل ، بعد انقضاء الحرب الباردة وبات التهديد السوفياتي أقل خطراً عن سابقه ، في الحاجة الأخرى المتوخاة من وكالة المخابرات المركزية . هذا التساؤل ينم عن ضيق تفكير أولئك الذين أثاروه حيال طبيعة عمل الوكالة . فهي إذا ما تجسست على دولة صديقة ، إنما تكون قد هيأت نفسها لأي تهديد قد ينشأ عن تلك الدولة إذا ما استحالت يوماً دولة عدوة . وخير مثال لهكذا أمر هو غزو العراق للكويت في الأول من أيار عام ١٩٩٠ .

إتجهت الوكالة صوب العراق خلال سنوات حربه العشرة مع ايران ، ظانةً به الشيطان الأقل خطراً بين شيطانين . ودافعت إدارة ريغان عن تزويد العراق بالمعلومات التي تحصل عليها من أقمارها الصناعية التجسسية لمساعدته في مقاتلة ايران ، بالإضافة الى إعطائه ضمانات إئتمان زراعية وتمويل مصرفي في الإستيراد والتصدير . وحين وضعت الحرب أوزارها ، كانت ديون العراق قد بلغت ثمانين مليار دولار وتداعت أيضاً وارداته من النفط . وعليه أمسى الرئيس العراقي صدام حسين ، بعد أن ساءت مشكلاته المالية ، راغباً حقاً في محاربة الغرب .

طالب الرئيس العراقي في شباط عام ١٩٩٠ أن يغادر الأسطول الأمريكي مياه الخليج ويعود الى الولايات المتحدة . وفي الخامس عشر من آذار أعدم العراق ، وبرغم الإحتجاج البريطاني ، (فرزاد بازوفت) ، الايراني الأصل الذي عمل في الصحافة

الايرانية، بتهمة التجسس. وفي الأول من نيسان من نفس العام هدد الرئيس العراقي (أن يحرق نصف إسرائيل). وفي الثاني عشر من نفس الشهر أخبر صدام حسين خمسةً من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي (أن أمريكا والغرب يديران ضدنا حملةً معادية). بعدها اتهم الكويت نهاية شهر أيار أنها تشن (حرباً إقتصاديةً) ضد العراق، معلناً أن الكويت لم توافق على خفض إنتاجها النفطي بما يساعد في رفع سعر برميل النفط، وهي الزيادة التي يحتاجها العراق لتسديد الديون المترتبة عليه.

راقب محللو مديرية الإستخبارات تلك التطورات عن كثب. فوكالة المخابرات المركزية جمعت خلال الحرب العراقية- الايرانية معلومات أساسية شاملة للبنيتين العسكرية والصناعية العراقية ،بضمنها تلك المتعلقة بمصانع الأسلحة الكيماوية والبيولوجية، وبات بوسعها أن تفقه مسبقاً نوع الخطوات التي سيتبناها الجيش العراقي قبل أن يبدأ الهجوم. وعلى هذا لم يكن لمديرية العمليات تلك الرغبة بإنشاء شبكة واسعة من الجواسيس داخل القيادة العراقية لسببين: أولهما أن (و. م. م) قد تلقت الأوامر من الإدارة الأمريكية بمساعدة العراق خلال فترة الحرب، وثانيهما أن صدام حسين لا يمنح ثقةً إلا لأقرب الأصدقاء وأفراد عائلته، فكان من العسير جداً التدخل في شؤونه تحت تلك الظروف.

تمخضت (تقديرات الإستخبارات القومية) التي أعدتها وكالة المخابرات المركزية في تشرين الثاني عام ١٩٨٩ الى نتيجة مفادها أن صدام حسين أسير رغبة أن يكون (المتنمر على الشرق الأوسط) وأنه (ضمن تفكير الرجل السليم) سيحتاج الى ثلاث سنوات أخرى كي يفيق من صدمة حرب إيران ويتهيأ لفعل جديد آخر. وفي عام ١٩٩٠ كتب محلل آخر تحليلاً بعنوان (نموذج للتفكير) يقترح فيه أن الزعيم العراقي قد يغزو الجزر الواقعة قبالة الساحل الكويتي وربما سيمضي قدماً لاحتلال الكويت نفسها.

ثم بدأت مديرية العلوم والتكنولوجيا ، قبل ثلاثة أسابيع من بدأ الغزو، تتسلم أدلة دامغة تتعلق باستعدادات عسكرية كبرى للعراق على الحدود الكويتية. وكان السؤال الدائر آنذاك هل أن قصد العراق من وراء هذا الإستعداد غزو الكويت أم مجرد تهديدها؟. واعتقد مكتب البحث والإستخبارات التابع لوزارة الخارجية أن صدام حسين كان يعني الخدعة فحسب. بيد أن تقديرات (و. م. م) انتهت ، مع مرور الأيام، الى نتيجة أن العراق سيغزو الكويت وأبلغت الرئيس الأمريكي بهذا الامر.

قال ريتشارد كير ، نائب مدير (و. م. م): « بوسع الكلمات الشديدة اللهجة تهديدهم (الكويتيين)، فما خطب المائة الف جندي؟ كان جلياً أن ما موجود هناك (من الجنود) أكثر من الحاجة اليها (لإثارة العاصفة)، وكان الخيار العسكري جد قائم. فإذا ما وضعت في الاعتبار حجم القوات وتبصرت في مجريات الأيام القليلة الماضية لوجدت أن الإحتمالية تتزايد ساعة بعد أخرى بأنه (صدام) سيتحرك فعلاً الى الكويت (في أقل تقدير الى جزء من الكويت) ولربما احتل الجزء الشمالي منها وحقول النفط والجزر وقد يطمع أكثر وينهب كل شيء».

في الأول من آب قالت (و. م. م) أن العراق سيغزو الكويت في غضون الأربع والعشرين ساعة القادمة.

لقد أعطت الوكالة المركزية ، من خلال استبصارها المسبق بالأحداث، الرئيس بوش وصناع القرار السياسي في أمريكا وقتاً إضافياً لاتخاذ الرد المناسب والذي جاء فوراً بصيغة أن ينسحب العراق من الكويت. في الخامس والعشرين من تموز أخبرت (ايرل كلاسبي)، السفيرة الأمريكية لدى بغداد، الرئيس العراقي أن الولايات المتحدة ليس لها شأن في مسألة النزاع الحدودي بين العراق والكويت. بيد أنها حذرت، كما جاء في إفادتها أمام مجلس الشيوخ، أن امريكا ستحمي مصالحها الحيوية في المنطقة. لم يدعم هذا القول إفادتها أمام مجلس الشيوخ لأن ما نقل برقياً عن اجتماعها

مع الـرئيس العـراقي لم ينطوي على ادعـائهـا القـول بأن الولايـات المتحـدة ستحمي مصالحهـا الحيوية في المنطقة. ومع هـذا جاء في البرقية التي بعث بها الـرئيس بوش الى الـرئيس صـدام حسين ،بعـد اجتماعـه مع السفيرة: «نـؤمن أن أفضل حل لتسـويـة الخلافات هـو باللجـوء الى الطرق السلمية وليـس بالتهديـد الذي ينطـوي على القوة العسكرية أو الصراع العسكري».

كان بمقدور الرئيس بوش أن يحذر الـرئيس العراقي علناً أن أي غزو سيعود على أعقابه بـالقوة، ولكن يبدو أن الولايـات المتحدة لم تكن عندئذ في موقع يـؤهلها للرد على كل هذا التهديد بفعل مناسب له وأن الإدارة الامريكية كانت تبحث عن مثل هذا الموقع. وفي الواقع، طلب الرئيس العراقي من السفيرة كـلاسبي طمأنة الرئيس بوش أن لا نية لـديه لغزو الكـويت وهو تطمين أكده الملك حسين والـرئيس حسني مبارك والملك فهد بن عبـد العزيز الذين أخبروه ،كل على انفراد، أن الـرئيس العراقي ،من وجهة نظرهم، لن يهاجم الكويت.

في السـاعة الثـالثة من بعـد ظهر الأول من آب حـذر جون كيلي ،مسـاعد وزيـر الخارجية، العراق بـوجوب تسوية خـلافاته سلمياً مع الكـويت، وطلب منه سحب قواتـه من مواقعهـا الحالية. هنا أنكـر العراق أن تكـون لديـه أية نوايـا عدوانيـة ضد الكويت.

في الساعة الثالثة من مساء ذلك اليوم بدأ العراق بغزو الكويت.

قـال كير: « إذا استرجعنـا مـا دار في اجتماعـات مجلـس الأمن القـومي آنـذاك، لوجدنا تضميناً واقعياً لشخص صدام حسين في إطـار كونه رجلاً متنمراً سفاحاً وكان السـؤال في كيفية التعـامل معه... هل ستكتفي بمجـرد تهديده أم أن تـزل قدمـه في عملية من نوع ما؟. فالتهديد المجرد من فعل يسنده لن يجدي معه نفعاً».

كان مثالياً أن تكتفي إدارة بوش بتهديد صدام حسين بإستخدام القوة إذا ما تحرك الى الكويت ولكن جدوى هـذا الأمر كان موقع تسـاؤل. لقد رفض صدام حسين أن يتزحـزح عن موقفه بـرغم حجم التهديد الذي ستفعلـه القوات الأمريكيـة والقوات المتحالفة معهـا، وظل الأمر هكذا ريثما اتضح أخيراً أن العقل العسكـري ضد العراق قـد آتى ثماره. وفي خضم تلك الأحداث، جمعت الـوكالـة المركزيـة جميع المعلومـات الإستخبارية.

لقد عينت الـوكالة أربعـة أقمار صناعيـة استطلاعية في مـدارات لها حول الشرق الأوسط من طـراز (كي- اج- ١١) و (كي- اج- ١٢) بلغت كلفتهـا مليار الى مليـار ونصف المليار دولار للقمـر الواحد. دارت هـذه الأقمار على ارتفاع (٢٠٠)-(٥٠٠) ميل فوق سطح الأرض، وكانت تبعث بـالإضافة الى الصور الفوتغـرافية (في الوقت المنـاسب لها) صـوراً أخـرى تقـوم على الإنبعـاثـات الحراريـة. فـالقمـر الصنـاعي (لاكروس)، ألـذي يعمل وفق نظـام التصويـر الراداري، كان يـرى من على مسـافة خمسمائة ميل فـوق سطح الأرض غير آبـه بطبقات الغيـوم أو بـالظلمـة أو الدخـان. وأخيراً كان القمران الصنـاعيان (ماكنام) و(فورتكس) يلتقطان الإتصـالات العراقية من على ارتفاع اثنين وعشرين ألف ميل.

شكلت مديرية العمليات قـوة مهمات لزمن الحرب ضمت أكثر من مائتي ضابط عملوا، من بين أشياء كثيرة، على تحريـر الرهائن الأمريكان الـذين احتجزهـم العراق في مـراحل النـزاع المبكرة، وتأسيس محطـة إذاعيـة سريـة لحث الجنود العـراقيين على الإستسلام، كما ساعدوا القوات الأمريكية في تصميم منشورات تطلب من العراقيين الاستسلام.

تمكنت (و.م.م)، بـواسطــة قسم جمع المعلـومـات القــومي التـابع لمديـريـة العمليات، من الحصول على مخططات مصانع الأسلحـة وباقي المؤسسات العسكرية

من رجـال أعمال أمـريكـان. وحصلت شعبـة السـوفييت (أوروبـا الشرقيـة) على معلومـات مشابهة من بـولندا وهنغاريـا اللذين عمـلا مسبقاً مع السـوفييت في تجهيز العراق بالسلاح.

في هذه الأثناء كان مركز مكافحة الإرهـاب التابع للوكالة المركزية يتمحص أكثر من مائة تهديد إرهابي صـدر ضد الدول المتحالفة مع الولايـات المتحدة ضد العراق. وسجلت (و. م. م)، بعد أن انـدلعت الحرب، أكثر من مـائة وعشرين عملاً إرهـابياً (وليس مجرد تهديـد) ضد الحلفـاء. وقد سـاعدت (و. م. م) بـالتعاون مع وكـالات تعزيز القانون في جميع أنحاء العالم على إحباط العديد من مثل هذه المساعي الإرهابية.

أسست مديرية الإستخبارات التابعة لوكالة الإستخبارات المركزية من جهتها قوة مهام تألفت من مائة محلل انطوت مهمتهم على التطلع الى الصـور ومراقبة الاتصالات المسجلة وتقارير العملاء. وقـد أصدرت القوة قبل أن تندلع الحرب في السادس عشر من كـانون الثـاني عام ١٩٩١ نحـواً من خمسمائة تقريـر الى البيت الأبيض تتعلق بتأثير العقـوبات الإقتصـاديـة ضد العـراق وعلى استعـدادات صدام حسين للحـرب. كما أصدرت الوكـالة بعد أن اشتعل فتيل (عاصفـة الصحراء) ما يربو على مئـات التقارير الإضافيـة، معنونةً الى البيت الأبيض أو الى القـوات الأمريكيـة كان من بينها تقـارير تحليلية لشخصية الرئيس صدام حسين ووصفته بالرجل العاقل الذي يعمل وفقاً لقيم وتقاليد شعبه.

لقـد جـاء في تحليل الـدكتور (جيرولـد بـوست)، المحلل السـابق في (و. م. م) والـذي وصف كثيراً مـن زعماء العـالم، : «إن صـدام حسين رجل (لا يعـاني أي اضطراب ذهاني) وهـو ليس متهوراً بل هو يتصرف بعد دراسـة عقلانية ويتحلى بصبر طويل وهـو دوماً ما استخدم الوقـت سلاحاً. وطالما أن صـدام حسين ينزل نفسياً الى أرض الواقع، تراه من الجانب السياسي بعيداً عن هذا الواقع ولا يجرؤ مستشاروه على

معارضة آرائه أو خططه أنى كان حجم هذه المعارضة».

واستناداً الى تحليل الدكتور بوست، فإن بـوسع الرئيس العراقي (تفسير التطرفية العدوانية في ضوء الحاجـة الثورية). فإذا ما جاءت عليه عداوتـه بنتائج سلبية، أظهر نموذجاً يعكس ذلك السلوك حيث أخطأ في حساباته منتظراً يوماً آخر ليحقق فيه قدره الثوري.

ثم يتوسع الدكتور بوست في وصفه لشخصية الزعيم العراقي بقوله أنه يعاني من (النرجسيـة الخبيثة)، وهي اضطراب حـاد في شخصية الفرد تتجلى أعراضهـا بجنون العظمة والبطش والأفكار الجلل.

قدمت (و. م. م) معظم معلوماتها الإستخباريـة الرئيسية التي حصلت عليها الى الرئيس جورج بـوش في مذكرة الرئيس اليوميـة التي تقدم باليد في تمام الساعـة الثامنة صباحاً من كل يوم. لقد دأبت الوكالـة منذ اليوم الأول لتأسيسها على إعداد خلاصة استخبارية يـومية تطورت فيما بعد لتصبح (مجلـة الإستخبارات القومية اليـومية) التي توزع اليوم على مائتين وخمسين من كبار مـوظفي الحكومة في واشنطن ومئات موظفي الحكومـة الأمريكية في أرجاء العـالم. ومع ذلك طلب الرئيس كيندي إصـدار مطبوع بوسعـه أن ينقل مباشرة طلبـات الرئيـس واهتماماته وكـانت النتيجة مـذكرة الـرئيس اليومية (PDB).

يختـار الرئيس النفـر من أعضـاء ادارته الـذين يرغـب أن توزع عليهم مـذكرتـه اليومية، وقد اختار الرئيس بوش وزيري الدفاع والخارجية بالإضافة الى رئيس أركان هيئـة القـوات المشتركـة. كما تذهب هـذه المذكـرة الى أعضـاء معينين داخل الجماعـة الاستخبارية بالإضافة الى (و. م. م).

إرتأى بعض الرؤساء، مثل رولاند ريغـان، عدم قراءة المذكرة بأنفسهم وفضلوا

أن يقرأها لهم مستشاريهم للأمن القـومي ومن ثم ايجازهم بخلاصتها. بينما آثر بعض الرؤساء ،مثل جورج بوش وجرالد فورد، قراءتها بأنفسهم على أن يحضر أثناء القراءة محللاً من (و. م. م) لايجازهـم بخلاصة المذكـرة وتسجيل أسئلة الـرئيس أثناء قـراءته لها، ومن ثم الإجـابة على هـذه الأسئلة صباح اليـوم التالي او في نفس اليـوم وحسب ضرورتها.

يتـولى مكتب (الإنتاج الآني والـدعم التحليلي) إعداد مـذكرة الـرئيس اليوميـة، ويقع هذا المكتب في الطـابق السـابع من بنايـة المقر الرئيسي للوكـالة المركزيـة السابق، وهو جـزء من مديريـة الإستخبارات. ويضـم أيضـاً مركز العمليـات الذي يتعقب، دقيقـةً بعد أخـرى، آخـر التطورات الجاريـة في العـالم. يشبـه المركز ،الى حـد كبير، ستوديـو أخبار يـرتكز على مرسـاة، ويعمل كجزء من شبكـة تلفازيـة كبيرة. وقد تم نصب أجهـزة تـردد على منافـذ المكتب تجعل مـن المستحيل على أشعة الليـزر إلتقـاط الأصوات مـن الداخل، ومجهـزة أيضاً بأجهـزة مراقبة تلفـازية تعمل على الـدوام مع شبكة (سي. إن. إن).

تتألف مذكـرة الرئيس اليومية من ثماني الى عشر صفحـات منتظمة بشكل العمود الصحفي. فالصفحات التي من جهة اليسار مخصصـة للصور الفوتوغرافية والخرائط والجداول. وهي تعرض ،شأن الصحف، الأخبار الأكثر أهميةً على صدر صفحاتها، بينما تظهر التحليلات المطولة بالقرب من نهاية الصفحة.

إن نصف ما تحمله مذكـرة الرئيس اليومية بين سطورها والمعـروفة باسم (حقائق رئيسية) لا يتم الكشف عنها علناً. فالمذكرة قد طرحت إبان حرب الخليج ،على سبيل المثـال، سـؤالاً يتعلق بـاحتماليـة أن تـرد إسرائيل على هجمات العـراق الصـاروخيـة ضدهـا. وتتطرق أيضاً الى مـا يرد من تحليلات مهمـة، فهي قد أوجزت تـوقع وليام ويستر في كانـون الثاني عـام ١٩٩٠ أن صدام حسين لن ينسحب ما لم يـواجه هجـوماً

عسكرياً صاعقاً. وفي كانون الثاني عام ١٩٩١ قال وبستر أن العقوبات الإقتصادية غير كافية وحدها لإرغام صدام حسين على سحب قواته من الكويت قبل مرور سنة في أقل تقدير.

هكذا تكون الوكالة المركزية قد استبعدت مسبقاً احتمالية أن تجدي العقوبات الإقتصادية نفعاً ضد العراق على مدى المستقبل القريب، وهو حكم أثبتت صحته الأحداث التالية. وتنبأت المذكرة ،وعلى نحو سليم، أن صدام حسين سيستخدم تكتيكاً معيناً (إحراق الأرض وإغراق الخليج بالنفط قبل أن ينسحب من الكويت).

بعد أن أضحى وليام وبستر مديراً لوكالة المخابرات المركزية، شرع بنفسه في ايجاز الرئيس بمذكرته اليومية ثلاث الى أربع مرات في الأسبوع، ثم أصبح الأمر يومياً خلال حرب الخليج. وقد كانت طريقة وبستر أن يلتقي أولاً مستشاري الرئيس بوش للأمن القومي لإطلاعهم على المذكرة، ثم يلتقون جميعاً مع الرئيس بوش من خمسة عشر الى عشرين دقيقةً لمراجعة ما جاء فيها والتعليق حولها. وإذا ما كان بوش خارج المدينة فإنه يتلقى نسخةً منها بواسطة فاكس سري.

قال أحد أعضاء الفريق العامل على إعداد مذكرة الرئيس اليومية [يتألف الفريق من عشرة ضباط من (و.م.م) ويلتقون الرئيس يومياً بالتناوب]: «إن ما تتفرد به إدارة بوش ،والذي يحاكي ما كانت عليه إدارة فورد مسبقاً، أنها فتحت لنا طريق لقاء الرئيس شخصياً يومياً عندما يكون في المدينة. وقد أخذت صيغة عملنا منحى أن يذهب شخص ،نطلق عليه (موجز) مذكرة الرئيس اليومية الى أحد مستشاري الرئيس للأمن القومي ليجلس معه ويقرأ المذكرة ويسأل ما يجول في عقله من سؤال حولها، مضيفاً لها أية مادة تتعلق بالموضوع او آخر الأنباء او صور فوتوغرافية تدعم موضوعاً جاء ذكره في المراحل الأخيرة جداً أثناء إعداد المذكرة، وبعدها يذهب مستشار الأمن القومي لرؤية الرئيس».

قال أحد أعضاء الفريق العامل على إعداد مذكرة الرئيس اليومية: «قال الرئيس بوش، بعد انتخابه رئيساً، إنه يرغب أن يوجز لـه المذكرة شخص ما من (و. م. م). كان يقرؤها ويقرؤها آخرون في ذات الوقت، ثم يسأل الرئيس أسئلةً مثل: كم نحن متأكدون من هذه المعلومة؟ أما بوسعنا الحصول على معلومة إضافية لهذه المسألة باستخدام نوع آخر من تكتيك جمع المعلومات؟. بعدها يغادر الموجز مكتب الرئيس، يتبعه مدير (و. م. م) الذي قد يتأخر أحياناً لمناقشة برنامج حساس او ليسأله الرئيس شيئاً ما.

لم تنأى جهود (و. م. م)، في إشاراتها المعلوماتية عن العراق، من الخطأ. فهي قد بالغت كثيراً في تقديراتها لأعداد الجنود العراقيين في الكويت. لقد هرب الكثيرون من وحداتهم، بينما افترضت الوكالة أن كل وحدة عسكرية عراقية رابضة في مكانها تتمتع بملاك كامل من الأشخاص. من ناحية أخرى، قللت تقديرات (و. م. م) كثيراً من أعداد قواعد إطلاق الصواريخ العراقية المتحركة. ولم تكن الوكالة تعلم أن ملجأ العامرية في بغداد كان يستخدم كمقر سري للقيادة العسكرية خلال ذلك اليوم الذي اكتظ فيه بمئات النساء والأطفال ليلاً، وكان السبب في هذا أن معظم الأقمار الصناعية التجسسية كانت تمر فوق العراق أثناء النهار. لقد توفي العديد من النساء والأطفال عندما قصفت الطائرات الأمريكية الملجأ تلك الليلة.

كان أداء وكالة الإستخبارات المركزية والوكالات الإستخبارية الأخرى ذات العلاقة «نصراً» كما وصفته صحيفة (جورنال وول ستريت) في مقال خاص لها بقلم (ولتر موسبيرغ). لقد نجح الجيش أن يرى أهدافه من الفضاء في وقتها المناسب، وتلك ميزة مكنته أن يكسب الحرب. وشخصت (و. م. م)، على وجه الدقة باستثناء بعض الحالات، كل دبابة وكل موضع مدفع وكل تسهيلات الأسلحة البيولوجية والكيماوية. فعندما نقل أحد المرتدين أن ليس جميع المعدات العراقية الخاصة بصناعة

الأسلحة النووية قد تم تدميرها، أظهرت الوكالة صوراً لمكائن قديمة خاصة بصناعة اليورانيوم المخصب قد تم نقلها على عربات او تم دفنها بعيداً عن أنظار فرق التفتيش التابعة للأمم المتحدة. والأكثر أهمية من هذا وذاك أن الوكالة قد تنبأت باندلاع الحرب قبل وقوعها.

قالت صحيفة (وول ستريت جورنال): «زودت وكالة المخابرات المركزية وشقيقاتها من الوكالات الإستخبارية الأخرى، سيما وكالة الأمن القومي لحل الشيفرات، القيادة العسكرية الأمريكية بكم هائل من المعلومات حال وقوعها. فصور الأقمار الصناعية التجسسية واعتراض الإتصالات العسكرية العراقية قد منحت القيادة العسكرية الأمريكية قدرةً كان أسلافهم يحلمون في الحصول عليها٠٠ إنها القدرة على تعقب كل خطوة عسكرية مهمة للقيادة العراقية».

أثنى الجنرال (نورمان شوارزكوف)، قائد هيئة الأركان المشتركة، على أداء الإستخبارات خلال فترة الحرب في عين الوقت الذي اشتكى فيه من ضيق أفق مستوى تفكير المحللين. وانتقد أيضاً تقييمات الدمار الذي ألحقته القنابل، والتي تتعارض كلاً مع تقديرات الطيارين الذين نقلوا أنهم ألحقوا أيما دمار٠٠ فأيهما أقرب الى الحقيقة؟. فالطيار، شأنه شأن أي شاهد آخر، غالباً ما يكون مخطئاً. من جانب آخر، لم تكن لدى المحللين في واشنطن إلا خبرة قليلة في تعقب نوع الدمار الذي سببته الأسلحة (الأنيقة). فقد تبدو الدبابة من الجو سليمةً لأنها لم تتفجر، وكل ما يظهر فيها حفرةً صغيرةً في المكان الذي دخل منه الصاروخ. بيد أن صواريخ اليوم قد تنخر الدبابة من الداخل دون أن تتسبب في أي ضرر خارجي. وهذا هو السبب وراء سوء تقييم المحللين لحقيقة حجم الدمار. لكن تحليلاً من هذا النوع قد تكفلت به، في أغلبه، الإستخبارات العسكرية أكثر من (و.م.م).

تطرقت بعض المنشورات الى ما وصفته بـ(فشل) الاستخبارات خلال فترة

الحرب، متذرعةً بحقيقة أن (و. م. م) قد بالغت كثيراً في عدد الجيش العراقي في الكويت وتوقعها أن يستخدم صدام حسين الأسلحة الكيماوية. ومع هذا، لا يحق القول أنك قد فشلت لأنك بالغت في تقدير حجم القوات المعادية إذا كان القصد من ورائها أن تكسب الحرب. لقد ساهمت (و. م. م) ،بمبالغتها هذه، في نجاح الحلفاء بأن اقترحت عليهم تهيأة قوة هجومية كبيرة قادرة على اكتساح العدو.

قال الفيلسوف والمحارب الصيني (سان تزو) قبل أكثر من ألفي سنة: «إذا خبرت الآخرين وخبرت نفسك، فلن توقع نفسك في شباك مئات المعارك».

إن الحقيقة هي أن صدام حسين ،الذي كان لزاماً أن يعرف عن قواته أكثر مما تعرفه (و. م. م) عنها، قد غالى كثيراً في قدراتها ولم يأخذ بالإعتبار حالات الهروب التي وقعت بين صفوفها. أما مسألة أن تتوقع كل تكتيك قد يلجأ إليه عدوك ،بضمنها استخدامه للأسلحة الكيماوية، فلا أعتقد فيها مسألةً واقعية.

قال بعض أعضاء الكونجرس أن على وكالة المخابرات المركزية أن تعرف مبكراً أن صدام حسين سيغزو الكويت. يقول السيناتور (ديفيد بورن) الذي رأس لجنة مجلس الشيوخ المختارة للإستخبارات: «كنا سنضع أمام الرئيس عدة خيارات لو تكشفت لنا خطط غزو الكويت قبل أسابيع من وقوعه. ولم تنذر الإستخبارات الأمريكية بوقوعه قبل أيام فقط».

ومرةً أخرى، ليس لهذا النقد أي أساس من الصحة. وربما وجد له ما يبرره لو كان صدام حسين نفسه يعرف ماهية خططه قبل أن تعلم بها (و. م. م). ومن المؤكد أيضاً أن ضباط صدام حسين لم يعلموا بها أيضاً. لقد اكتشفت الوكالة المركزية ،بعد استجواب الضباط الأسرى، أن الجيش العراقي لم يكن يعرف بخطط قيادته العسكرية حتى قبل الغزو بأربع وعشرين ساعة. وأخبر (طارق عزيز) ،وزير

خارجية العراق في فترة الحرب، (ملتون فايرست) أن صدام حسين لم يقرر غزو الكويت حتى يوم الأول من آب بعد أن فشلت محادثات جدة لحل الخلاف بين العراق والكويت حول مسألة صادرات النفط.

يقول النقاد أنه كان على وكالة المخابرات المركزية أن تعرف أن صدام حسين سيغزو الكويت حتى قبل أن يعلم هو بهذا الأمر. وتلك مسألة استبصار لا أرى أن أحداً قد بلغها حتى الآن. فالاستخبارات ليست سوى معلومات، وليس من العدل أن يصر طرف ما أن على (و. م. م) أن تسبق الأحداث قبل وجودها، ما لم يكن هناك سبب للإعتقاد أن هذا الأمر سيقع. ولا شأن للوكالة لتقول أن هذا الشيء قد يقع. وبعد هذا فإن كل شيء قد يحدث.

قبل أن يقع الهجوم العسكري بثلاث أسابيع، ضاعفت (و. م. م) من احتمالية وقوع الغزو العراقي. وهي بفعلها هذا تكون قد أنجزت الدور المناط بها ألا وهو أن تترقب الخطوة الأولى لكل أحداث العالم وأن تنخّل التطورات المهمة ثم تضعها أمام أنظار البيت الأبيض ليأتي بعدئذ دور صناع السياسة.

إن (و. م. م)، بعد أن غاب عنها الدليل القاطع، غير مسؤولة لقولها المثبت أن صدام حسين سيغزو الكويت. فلا أحد كان يعلم بهذا الأمر حتى الزعيم العراقي نفسه، الذي لم يتأكد من نواياه إلا بعد أن دخل الكويت. ربما لم تشدد الوكالة في تحذيرها، الذي سبق الغزو بثلاثة أسابيع، على احتمالية حدوثه لافتقارها، حتى هذا اليوم، الى دليل أن صدام حسين نفسه كان يعرف آنذاك أنه سيصدر أمراً بغزو الكويت. ثم إن إدارة بوش لم تفعل إلا القليل حيال التحذير الذي قدمته إياها (و. م. م).

إن الحقيقة هي أن الولايات المتحدة لم تكن لتكسب الحرب (بوجود مناوراتها

الإلتفافية حـول العدو وقصفها الجوي الدقيق) بتلك السرعـة وبذاك التأثير لو لم تكن تملك هذا الطراز الجيد من الإستخبارات.

في تلكم الأثناء، كانت وكـالة المخابرات المركزية منغمسـة عن بكرة أبيها في أداء عملها غير مكترثة بأزمة الساعة. هذه هي مديرية الإدارة التي تدعم كثيراً (و. م. م). وهـذه المديريـة من أكثر مـديريـات الـوكالـة جاذبيـةً لأنها تحوي مكتب الأمن ولأنها المديرية التي تحفل بأكثر المشاكل.

الجزء الرابع

مديرية الإدارة

الفصل السادس عشر

غسل الاموال

لا تختلف مديـرية الإدارة ،برغم أنها مـديرية سـاندة فقط، عن باقي المديـريات بالإعتقـاد أن عملها لأكثر أهميـةً داخل الوكـالة. فهي من يبقي مكـونات الوكـالة في أماكنها، وهي من يتولى تنظيم رواتب موظفي الوكالـة ومعاملات التقاعد، ولولاها لما ملك أحـد في الوكـالة جهـاز حاسوب او وسـائل اتصال او أن يتمتـع بالتـدفئة او الكهـربـاء. وأهم من هـذا كلـه أن (و.م.م) ، بفضل مكتب الأمن التـابع لمديـريـة الإدارة، قد وقفت مانعاً دون أن يتسللها أي عميل او جهاز تجسـس. إنها أكبر مديرية في (و.م.م) بفضل كادرها البالغ قوامه تسعة آلاف موظف.

هـذه المديـريـة مسؤولـة عن شراء الأقـلام ودبـابيس الـورق وتفحص طلبـات التوظيف الجديدة، وهذه جميعها أعمال طبيعية مبتـذلة. بيد أن لمديرية الإدارة الجانب السري من عملهـا ولها قصصها المعتمـة والتي قـد تـرتقي أحيانـاً الى مصـاف الجانب العملي في الوكالة.

يتـولى مكتب الأمن ،التابع لمديـريـة الإدارة، مسؤوليـة الحمايـة المادية للـوكالـة المركزيـة وإجراء تحريـات سرية عن منتسبي الـوكالة الجدد والمتعـاقدين معهـا، ونزع معدات التجسس في بناية لانجلي، ومراقبة المحطات، والقيام بدوريات لحماية بنايات الـوكالـة، وحمايـة مدير (و.م.م) وكبـار موظفيهـا، وكـذلك التحقيق في القضايـا الأمنية. واضطلع المكتب أيضـاً بالتحقيقات التجـسية بمساعـدة مكتب التحقيقات

الفيدرالي. ارتكب هذا المكتب أكثر الإساءات على وكالة المخابرات المركزية.

يوظف مكتب الإدارة المالية ،بجانب تنظيمه الميزانية المالية للوكالة، الأموال مستخدماً أسماء شركات صورية وحسابات مصرفية متعددة على النطاق العالمي بهدف توسيع العمل السري للوكالة المركزية.

يعمل مكتب الخدمات الطبية ،بالإضافة الى اهتمامه بالصحة البدنية لمنتسبي الوكالة وتوفير شهادات السلامة النفسية لهم لمساعدتهم في التغلب على مشاكلهم النفسية، كأنه وحدة تحليل نفسي لزعماء العالم مثل صدام حسين. كما تساعد في التحليل الخارجي لشخصيات العالم ، بالإعتماد على الوجه او الشعر، لتقرير إذا ما كانوا يعانون من أية مشاكل صحية قد تؤثر على طول عمرهم او حكمتهم.

تكفل مكتب التدريب والنظافة بتدريب موظفي الوكالة في (كامب بيري)، الذي يفترض أن يبقى مؤسسة سرية تابعة لـ(و. م. م) قرب وليامسبيرج- فرجينيا. وهناك يتعلم الموظفون أدوات تجارة الجاسوسية، وكيفية تجنيد العملاء ومعاملتهم وكذلك كيفية التخلص من المراقبة. تتضمن المناهج التدريبية تعليمات عن كيفية دراسة المنطقة وكذلك تعليم خمس وعشرين لغة. ويتولى أيضاً إصدار مطبوع هو (دراسات في الإستخبارات) وهي مجلة دورية مصنفة صادرة عن (و. م. م).

لا يكتفي مكتب الإتصالات بتحويل المكالمات الهاتفية فحسب، بل إنه يوفر إتصالات شفرية في غاية السرية عبر الأقمار الصناعية من جميع أنحاء العالم. ويدير مكتب المعلومات التكنولوجية شبكة واسعة من أجهزة الحاسوب الضرورية لحفظ أعمال المديريات الأربعة كل على حدة، بينما يعمل في المحطات الخارجية على تنظيم أجهزة سريعة الإتقاد قادرة على تحطيم أجهزة الحاسوب إذا ما تعرض مبنى السفارة الى عملية توغل او استيلاء.

يتألف قسم التأريخ من ثلاثة مؤرخين يعملـون على إعادة جمع المعلومات المتعلقة بضباط الوكـالة المتقاعدين، وكذلك كتـابة تأريخ مصنف للوكالة المركـزية. ويعالج مكتب حـريـة المعلـومات طلبـات الحصـول على الـوثـائق تحت بنـود (وثيقة حـريـة المعلومات).

تحافظ شعبة الملاك على ديمومة تغـذية الوكالة بالكـادر المطلوب من خلال تجنيد خريجي الكليـات ونشر الإعلانات في الصحف ومـراقبة المأجورين وإجـراء فحوص طبية او نفسية للمتقـدمين للتعيين. وقد بدأت أخيراً برنامجاً يهدف الى معـونة الضباط المتقاعدين للتكيف مهنياً واقتصادياً ونفسياً في حياتهم في القطاع الخاص.

يتعدى عمل شعبـة السوْقيات حدود نقل الموظفين او المكاتـب او توفير مراسلين لنقل الـوثـائق السريـة، الى شراء الأسلحـة الحقيقيـة والـذخيرة وإدارة مـا يسمى بـالعقارات او الشركـات مثل شركة (أجـواء أمـريكا) التي تمتلكهـا (و. م. م). ومن خلال (شركـة الملاحة)، يقـوم المكتب بتشغيل طـائرات (و. م. م) والقيام بـرحلات جوية تشمل رحلات منظمة الى كامب بيري (مركز التدريب). كما يدير المكتب أنظمة التدبير الخاصة بالوكالة ومعامل الطبـاعة وتسهيلات التصوير والنظام البريدي ونظام المراسلة السرية وخدمات الطعام.

الفصل السابع عشر

ركن الأساس

اقترنت الصـورة القديمـة لوكـالة المخابـرات المركزيـة في عقول كثير مـن الناس بمكتب الأمن التابع لها والـذي تأسس عام ١٩٦٧ . فهو الذي تسلل بـاطلاً وتجسس على المجاميع المنشقـة في واشنطن دي . سي . لغرض حماية مبـاني الوكالـة وهو لا غيره الذي سجـل ، على نحو غير قـانوني ، المكالمات الهاتفيـة لثلاثـة من رجـال الإعلام في عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٢ لمعرفة مصادرهم المعلوماتية . وليس سوى مكتب الأمن الذي سجن بشكل غير قـانوني (يـوري توسنكـو) ، الذي ارتد عـن الإتحاد السوفيـاتي بعد اغتيال جـون كيندي ، عـام ١٩٦٤ لمدة ثلاث سنـوات ونصف السنة . وهـو من نظم عملية الإتصال مع المافيا في محاولة اغتيال فيدل كاسترو .

ولم تخفف يد المكتب الثقيلة من وطأتها مع تقـدم السنين . فقد سـاهم المكتب عام ١٩٨٥ في قـرار ضـابط الـ KGB العقيـد (فيتالي يـورشنكـو) أن يعـود الى عقيدتـه السوفياتيـة وأن يعاملوه كسجين . وبعد أن اشتكى مدربـو يورشنكو الى مكتب الأمن من أسلوب المعالجة ، أخبرهم المكتب أن الأمور سـارت هكذا دوماً وليس بوسعه أن يضيف إليها شيئاً جديداً .

واجه وليام وبستر ، بصفته مديراً للإستخبارات المركزية ، مشاكلاً داخل الوكالة كـان مصدر أغلبهـا مكتب الأمن . لقـد ظن وبستر أن مكتب الأمن مـا زال يعمل في العصور المظلمة ، وأنـه يرفض الإستحداث . وشعر مساعـدو وبستر في أحايين معينة

أن المكتب قد أعد ويستر خطراً أمنياً عليه.

قال ضابط سابق عمل في مكتب الأمن: «إن موقفهم هو أننا هكذا نعمل الأشياء ولن نقبل بأي تغيير».

إن منع التجسس لأكثر وظائف مكتب الأمن أهمية. إذ بينما يعمل مركز الإستخبارات المضادة التابع لوكالة المخابرات المركزية على إجهاض أية محاولة تشرع إليها وكالة استخبارات مضادة لتجنيد ضباط الوكالة المركزية العاملين في الخارج لصالحها، اضطلع مكتب الأمن بحماية جميع تسهيلات الوكالة وشعبها من أية محاولة تسلل إليهم.

إنها مهمة عصيّ إنجازها على أكمل وجه. فليس ثمة مانع يحول دون تفكيرنا أن وكالة المخابرات السوفياتية والوكالات الإستخبارية المعادية الأخرى ستعجز تماماً عن أن تحقق فوزاً لها في معركة التجسس الصامت. وليست الإحصائيات بذات جدوى في هذا الإطار. لقد حققت وزارة العدل منذ عام ١٩٧٥ قضائياً بست وخمسين قضية تجسس، كان جواسيس ست منها من موظفي الوكالة او من المتعاقدين معها. وأرجأ النظر في القضية السابعة بعد أن فر متهمها (ادوارد لي هاورد)، ضابط (و. م. م) السابق، الى الإتحاد السوفياتي وما زال مقيماً هناك، ثم صدر تفويضاً بالقبض عليه.

من ناحية أخرى، لا يحق القول أن مكتب الأمن قد فشل في أداء مهامه لحقيقة أن حادثة تجسس قد وقعت هنا وهناك. وكل ما يحق للفرد هو أن يتمنى لو أن المكتب قد أحسن أداءً في هذا الأمر وحالفه الحظ ليلقي القبض على ذلك الجاسوس الذي باع وطنه. فعلينا أن لا نتوقع إذاً أن مكتب الأمن سيقف سداً منيعاً بوجه جميع محاولات التجسس على الوكالة المركزية بنفس الطريقة التي لا نتوقع فيها أن مكتب التحقيقات الفيدرالي سيصد جميع عمليات السطو المصرفية لأنها وببساطة من صميم أعماله. إننا

لن نكـون مخطئين لـو تـوقعنـا أن مكتـب الأمن سيسير وفقـاً لمنهجيتـه في العمل وأن يستوعب تماماً القانون ليحفظ للمشتبه بهم حقـوقهم الدستورية حتى تتم إدانتهم بعد ثبات جرمهم . بيد أن المكتب فشل في هذه الساحة في كثير من القضايا .

إن مكتب الأمن بحق لأكثر مكـاتب الوكالة ذات اليد الثقيلـة حتى تطلب الأمر الرقـة ، وأكثرها من يستغل الإجراء القـانوني المناسب ، وأكثرهـا من يستحق الشفقة عليه في أيام ما قبل مرافعات لجنة تشيرش .

وخير ما نستدل عليه هنا هو حديث (جيري براون) ، الذي التحق بمكتب الأمن عام ١٩٥٦ ، المكرر مع موظفي الوكالـة الجدد . قال جيري وهو مفعم بالسخرية على لجنة تشيرش ولجنة روكفيلـر الرئاسية اللتين حققتا في إساءات الـوكالة : «إن (أولئك المتخلفين الذين يتقصـون منا) إنما يرون (هيوليـة عملية و . م . م) او المسعى للتحقيق مع المنشقين المحليين (محاولة مغـرضة للـوكالـة المركزيـة وإدارة نيكسون لإحبـاط أية عملية سياسية داخلية عن طريق التجسس على المواطنين الأمريكان)» .

يزعم براون أن هذا القرار لا يمت للقضية بخيط صلة ، لأن العملية تمثل مسعىً لمخاطبـة (قضايا أمنيـة قومية خطيرة) . وهـو بهذا الإدعاء يكون قـد تجاهل حقيقة أن (و . م . م) قد خرقت بنود ميثاقها الذي يحظر التجسس على المواطنين الأمريكان .

أعلن براون : «ليس السوفييت وباقي أعـداؤنا في رحاب العالم من يحاول سحقنا وهدم جهودنا ، إنهم مشرعونا المنتخبون» .

قال براون : «إن مأساة تحقيقات لجنتي روكفيلر والكونجرس أن أياً من المحققين لم يكترث لمعرفة كيف بدأت العملية» . لقد بدأت العملية مع ما أسماه براون (المشكلة الخطيرة) التي هي تسـرب معلومات عام ١٩٦٧ من داخل الـوكالة الى مجلة رامبارتـس عن حقيقة الدعم المالي السـري الذي تقدمه (و . م . م) الى رابطة الطلبة القوميين .

هذا الـدعم ، استناداً الى رأي بـراون ، كان ضروريـاً لمساعـدة الرابطـة في محاربة الجهـود الـسوفيـاتيـة التي ترمـي الى السيطرة على الإتحادات الشبـابيـة الدوليـة ، وان المعلـومـات التي تـزودت بها رامبارتـس كانت ، كما يقـول بـراون ، : «أسـوأ تسـرب لمعلومات مصنفة شهدته الوكالة في تاريخها» .

من سرب هـذه المعلومـات؟؟ . يـزعم بـراون أنها المخابـرات الـسوفياتيـة التي حصلت عليها من (و . م . م) مبـاشرةً ونقلتها الى رامبارتس «عبر أشخاص يـرتبطون بالمجلة» .

زعم براون أن الوكـالة قد علمت بهذه المعلومات من أحـد المرتدين السوفييت ، وهـذا مـا يتطابق تمامـاً مع ظنـه أن لجنـة تشيرش قد فشلت في إدارة تحقيقـاتها حـول إسـاءات الوكـالة . إن المشكلـة الوحيـدة هي أنه كـان مخطئاً . إذ تـوجب على وكالـة المخـابرات المركـزية ، كي تسير في عمليـة تمويل المنظمة الطـلابية ، أن تخبر مئـات من ضباطهـا المنتسبين لرابطـة الطلبة القوميين وعلى مـدى السنين ببرنامجهـا السري . وما مصدر القصة المسمى (مايكل وود) ، الموظف في الـرابطة ، الا فرداً أخبره أحد ضباط الوكالة بعمليـة التمويل . وأيد كل من (سول ستيرن) مؤلف القصـة ، و(كورد ماير) ، ضـابط الوكالة المسؤول عن عملية التمويل ، حقيقة أن وود كان مصدر القصة .

كتب ماير في كتابـه "مواجهة الواقع : من الفيدرالية العالمية الى وكـالة المخابرات المركـزية" سرداً جـاء فيه : «قـرر الشاب مـايكل وود ، بعـد أن علم بعملية التمـويل السـري من محادثة له مع ضابط جد ثرثار من وكالة الأمن القومي ، أن من واجبه تعرية تلك العلاقة» .

إن سذاجة الوكالة في الإعتقاد أن بوسعها إعلام أجيال متعاقبة من ضباط الرابطة بعملية التمويل دون أن يتسرب منهم الى الصحافة شيء قد قاد بها الى تلك الفضيحة في

المقام الأول. كما غض بـراون ناظـريه عن الحقيقة بـاقتراحه أن تسـرب المعلـومات الى مجلة رامبارتس كان مؤامرةً مشؤومة للـ KGB أكثر من أن تكون نتيجةً حتميةً لإفشاء السر بين مئات من الطلبة الشباب، ولا أن البـلاء الأكبر كان فشل المسؤول الأقدم في مكتب الأمن الذي أودع الأمانة عنـد موظفين جدد متدربين، في إدراك أن (و. م. م) حين نخرت أساسات القانون تكون قد هدرت بقية الحريات التي تسعى هي لصيانتها وفشلت في عين الوقت في تحقيق أهدافها.

لقـد أفضى نفس هذا التفكير المشـوش الى واحـدة من أكبر سقطات التحقيقـات التجسسية في التاريخ الأمريكي، حيث أحد أضلاعها مكتب الأمن أيضاً. إنها قضية (كارل كوشير) ضابط جهاز الإستخبارات التشيكي الذي نجح عام ١٩٧٣ في العمل بصفة مترجم داخل وكالة المخابرات المركزية. فقد تردد كوشير وزوجته الفاتنة (هانا) كثيراً على حفلات واشنطن ونيويـورك للعربدة الجنسية والمقايضة بـالزوجات. وفيها كانت هانا ،وهي ضابط في نفس جهاز الإستخبارات، تضاجع أربعة الى خمسة رجال في وقت واحـد (للتمهيد الى قضيتها). كان الكثير مـن رواد هذه الحفلات مـن أتباع رجال (و. م. م) مهمتهم المقايضـة بالمعلومات المصنفـة، وكذلك الجنس مع الأزواج المحبـوبين. وهكـذا فقـه كوشير من خـلال عملـه كمترجم الكثير، ليسـاوم بـه على (الكسندر اوردونك)، الديبلوماسي السوفياتي الـرفيع المستوى الذي يعمل جاسوساً لصالـح (و. م. م) والذي انتحـر بعد أن واجهتـه الـ KGB بذلك، بأن تنـاول قرصاً سمياً أعطته إياه (و. م. م) وأخفاه داخل قلم حبر.

بعد أن كشف أحد التشيكين العاملين لصالح مكتب التحقيقات الفيدرالي حقيقة كـوشير، تعقب المكتب خطى كوشير على مـدى ستين دون أن يضع يده على الـدليل القاطع لإدانتـه. وفي محاولة للايقـاع به كي يعترف، ابتـدعت (و. م. م) ومعها FBI خطةً مع مطلع عام ١٩٨٤ للـولوج إليه. بيد أن كلاهما ،كما أخبر بـذلك أحد ضباط

مكتب الأمن عـدداً من مـوظفي (و. م. م) الجدد، لم يحاول (مطلقـاً التفكير في مبـدأ المقاضاة)، وبـدلاً عن ذلك كانت فكرتها اكتشاف حجم الضرر الـذي تسببه كوشير (الذي أمسى مواطناً أمريكياً).

هذا نموذج حماقة تقليدي. فالوكالات تصب جل اهتمامها إذا ما حققت في قضية تجسس نحو اكتشـاف ما حدث متنـاسيةً هدفـاً آخر لا يقل أهميـةً عن أهمية معرفـة ما حصل، إنه محاكمة المشتبه بهم كرادع أمام وقـوع عمليات تجسس مستقبلاً. وغالباً ما كان هناك حافزاً آخر لتفادي مبدأ المحـاكمة٠٠ إنه العلنية، أي أن يطرق الأمر مسامع العامة وهو ما يسبب مأزقاً للوكالات المضطلعة بالعملية.

عقدت (و. م. م) ،لعشرين سنة خلت، اتفاقية سرية مع وزارة العدل الأمريكية تفيد: (إذا وقع سلـوك إجرامي داخل الـوكالة واقتضت محاكمتـه معلومـات مصنفة يجب إفشاؤها خارج الوكالة، فـستكفل هي نفسها بالأمر داخلياً). ثم تغير هذا الأمر على يد المدعي العام (جرفن بيل)، الذي قرر أن لا حصـانة ضد المقاضاة الجزائية لكل من يرتكب جرماً من أفراد الحكومة.

لقد رفضت الوكالة عام ١٩٧٨ ،وبعناد، محاكمة (وليام كامبلز) ،ضابط المراقبة السابق المكلف بتحليل المعلومات الجديدة في مركز العمليات، لبيعه بعضاً من الدليل التقني اليـدوي (غـايـة السريـة) عن كيفيـة تشغيل القمـر الصنـاعي الإستطـلاعي (كي. اج. ١١) الى عميل سوفياتي في أثينا مقابل ثـلاثة ملايين دولار. فالدليل يوضح كيف يرسل القمـر الصناعي معلوماتـه مباشرةً الى قمر صناعي آخر بـدلاً من إرسالها لـلأرض كما كان يتـوقع. وهكـذا انطـوت الحيلة على الـروس الـذين ظنـوا بالقمـر الصناعي قمراً (لا يرجى منه شيء).

إن طـريقة المعـالجة السليمة لكفيلـة بأن ينجح المحققون في مقـاضاة المشتبـه بهم

ومعـرفة مـا أخرجـوه من دارهم، وهـذا ما فعلـه مكتب التحقيقـات الفيدرالي أثنـاء التحقيق مع (رونـالـد بلتون)، الموظف السـابق في وكـالة الأمـن القومي. فبعـد أن استمال بلتون كي يبوح بنـوع المعلومة التي سلمها، أحـال المكتب القضية الى (مارتن) ،رئيس قسم الأمن الـداخلي في وزارة العـدل، لغرض محاكمتـه. لقـد وافقت وزارة العدل دومـاً أن تضع أمام قاضي الحكم حقيقـة أن المشتبه به قـد تعاون معها. هـذا ما حدث في قضية بلتون، بيد أنه لما يزل يعيش في زنزانة السجن.

تلك المنهجيـة لم تحدث في قضيـة كارل كـوشير. إذ وعـد مكتب الأمن ومكتب التحقيقات الفيـدرالي كوشير أنه لن يشهـد أي محاكمة إذا ما اعترف، وأن بـوسعه أن يغدو عميـلاً مزدوجاً يعمل لـوكالة المخـابرات المركزيـة وأن يتظاهر بـالعمل لصالح الإستخبارات التشيكية وأن بمقـدوره العودة الى تشيكوسلوفاكيـا لو شاء ذلك. لكن كلاهما لم يكن راغباً في تجنيد كوشير عميلاً مزدوجاً فأفسدا العرض المقدم إليه. مكث كـوشير بعض الـوقت في السجن يترقب محاكمته، الا أن وزارة العـدل ،وبعـد فشل مساعي إقناعه بالحصانة ضد المحاكمة، استقرت الى قرار إبعاده بدلاً من السجن.

اكتشف مكتب الأمن ،بعـد أن تفحص فيها بعـد الطريقـة التي استأجـرت بها (و. م. م) كوشير، أن كوشير قـد خضع لاختبار كشف كذب جد قـاصر. لقد أظهر إمارات الخديعة حين سؤل إن كان واقعـاً تحت تأثير اي جهاز استخباراتي معادي، ثم تـرجم عصبيتـه بـادعـائه أنـه قد حـاول أن يكـون عميـلاً مـزدوجـاً لصـالح مكتب التحقيقـات الفيدرالي. هنـا انتقل الجهـاز الى سؤال آخـر في مـوضـوع آخر بـدلاً من مواصلـة مساءلته في ذات الموضـوع. إن مكتب الأمن مسؤول أيضـاً عما تجلى فيها بعد بأن جميع العمـلاء الكوبيين الـذين جندتهم (و. م. م) كـانوا عمـلاءً مزدوجين. فقـد خضع جميع اولئك العملاء ،تقريبـاً، والبالغ عددهم ثمانيةً وثـلاثين عميلاً الى اختبار كشف الكـذب، ونجح فيه أغلبهم. بينما اعتبرت نتـائج الفحص للقلة المتبقيـة منهم

غير حاسمة.

إن اختبارات كشف الكذب ليست معصومةً عن الخطأ، وكان حري الأخذ بالقول الجليل أن الماكنة ليست بأفضل عقلاً من مشغلها لأننا ستتعرف في هذه الحالة على العجز الكبير لدى ذلك المشغل: إنه لا يتكلم الإسبانية!. وعلى النقيض من ذلك، رفض مكتب التحقيقات الفيدرالي تجنيد الكثير من الكوبيين كعملاء مزدوجين بعد أن أخضعهم لاختبار كشف الكذب باللغة الإسبانية.

ساعد مكتب الأمن، من جانب آخر، في اعتقال عدد من الجواسيس. بيد أن تلك السقطات المتعذر سبر غورها قد أفسدت عليه قصص نجاحاته. وخير مثال لدينا في هذا الإطار هو قضية (شارون سكراناج) ذات الثلاثين عاماً، والتي عملت مساعداً لدعم عمليات (و.م.م) في غانا. سلمت سكراناج معلومات مصنفة الى صديقها الغاني (مايكل سوسودس)، ابن العم الأول لرئيس وزراء غانا (جيري رولنغ).

بدأت القصة في غانا عام ١٩٨٣ عندما دعت سكراناج أحد ضباط مكتب الأمن لدعوة عشاء في منزلها. لاحظ ذلك الضابط وهو في طريقه الى الحمام صورةً لرجل جالس على فراش سكراناج وعارياً حتى صدره، اتضح فيما بعد أنه سوسودس. عاد الضابط ليتناول عشاءه وحذر سكراناج من مغبة علاقة رومانسية مع الوطنيين المحليين، سيما مع شخص له ارتباطات مع الحكومة. في ذلك الوقت كانت غانا تناضل من أجل سياسة إقتصادية رأسمالية متينة ولكن وفق سياسة خارجية شبه يسارية متوخيةً الحذر من كوبا (فيدل كاسترو) ومن نيكاراغوا (دانيال اورتيغا).

أخبر ضابط الأمن وزميل له رئيس محطة (و.م.م) في غانا بتلك العلاقة الرومانسية، والذي حذر بدوره سكراناج وطلب منها قطع العلاقة. وعدت

سكراناج بذلك، وفي هذا الوقت قدم سوسودس الى الولايات المتحدة وبقي فيها قرابة العام ثم عاد الى غانا حيث استأنف هو وسكراناج علاقتهما الغرامية. عادت سكراناج الى الولايات المتحدة في صيف عام ١٩٨٥ لتتبوأ منصباً جديداً، وهنا فقط أخضعها مكتب الأمن لاختبار كشف الكذب.

أنكرت سكراناج أنها ارتكبت إثماً بمجرد أن بدأ الإختبار يرسم علامات الخديعة على محياها، حتى اعترفت أخيراً أنها قد أعطت صديقها معلومات سرية شاملة تشمل كل نشاطات (و. م. م) في غانا، بالإضافة الى رسائل في غاية السرية. لقد تسبب تجسسها الى المساومة على ثمانية من عملاء (و. م. م) في غانا الذين ألقي القبض عليهم وأودعوا سجون غانا. ويعتقد أيضاً أن رئيس جهاز الإستخبارات الغانية ،المؤيد للماركسية، قد نقل تلك المعلومات الى المخابرات السوفياتية والكوبية.

قبلت سكراناج العمل مع مكتب التحقيقات الفيدرالي وجيري براون ،ضابط مكتب الأمن، في التخطيط للإمساك بسوسودس الذي كان عميلاً للحكومة الغانية. وقد ألقى المكتب القبض عليه في سبرنكفيلد في ولاية فرجينيا.

صدر الحكم على سكراناج عام ١٩٨٥ بالسجن مدة خمس سنوات خفف فيها بعد الى سنتين. وتمت إعادة سوسودس الى غانا مقابل إطلاق سراح عملاء (و. م. م) الثمانية من السجون الغانية. واحتجزت الوكالة المركزية في الولايات المتحدة حوالي عشرين غانياً ،بضمنهم عوائل، تمت المساومة عليهم كنتيجة لهذا الإخفاق. ومذ حينها، شددت الوكالة على التعليمات التي تقضي بالإبلاغ عن كل علاقة مع الوطنيين الأجانب.

لقد ارتكب مكتب الأمن إثماً لا يغتفر ،برغم مساعدته في اعتقال سكراناج، حين تغاضى عن إخضاعها لاختبار كشف الكذب مبكراً بعد أن أكثرت من لقاءاتها

مع قريب لشخص يشغل منصب رئيس وزراء.

وقبل فترة ليست بعيدة، ارتكب المكتب عملاً أخرقاً آخر بحق واحدة من أكبر قضايا التجسس في التاريخ، عندما أصر على معاملة جاسوس الـ KGB (فيتالي يورشنكو) كسجين الأمر الذي حدا به أن يعود أدراجه الى روسيا بعد ثلاثة أشهر من مغادرته إياها عام ١٩٨٥ . كانت في جعبة يورشنكو ،وهو أهم ضابط مخابرات يرتد عن الـ KGB لصالح الولايات المتحدة، خزيناً من المعلومات لعشرات القضايا ذات الأهمية لمكتب الأمن ومكتب التحقيقات الفيدرالي. وكان في يده مفاتيح قضايا كثيرة أخرى غير قضيتي (ادوارد لي هاورد) ،ضابط الأمن السابق الذي ارتد لصالح موسكو، و(رونالد بلتون) ،موظف وكالة الأمن القومي الذي تجسس لصالح السوفييت.

وجد المحامون ،الذين جاء بهم وبستر من مكتب التحقيقات الفيدرالي حين تبوأ منصب مدير الإستخبارات المركزية عام ١٩٨٧، أن مكتب الأمن هو المكتب الأكثر استهزاءً بين المكاتب التي تتعامل روتينياً مع القضايا القانونية مثل مركز الإستخبارات المضادة ومكتب المجلس العام.

وفي محاولة منه لتحسين مستوى أداء عمليات مكتب الأمن، عين وبستر مدراء جدد جاء بهم من خارج كادر المكتب أحدهما من مديرية الإستخبارات والآخر من مديرية الإدارة. وبينما لم يثقل كلاهما كاهله بقالب عقلية مكتب الأمن، افتقر الإثنان الى تجربة تعزيز القانون التي ستمنحهما الثقة في إحداث تغيير جذري داخل المكتب. وعليه لم يغرس وبستر أصابعه كثيراً في عمليات المكتب مدركاً أن مسعاه لتقويض نشاطات المكتب لن تعود الا بمزيد من المشاكل. ثم أن ما يفعله المكتب لا يقترن بأي شكل من الأشكال مع من هو مدير الإستخبارات المركزية. وما عملية كشف أجهزة التجسس الا مثالاً لهذا الأمر.

الفصل الثامن عشر

طرد بقات التجسس خارجاً

ينغمس مكتب الأمن ، بفنييه البالغ عددهم مائة فني ، في رحى معركة يومية في مسعاه للعثور على أسلاك تسجيل او أية أجهزة تنصت أخرى داخل مباني الوكالة المركزية في لانجلي او ما حولها. وهي إذ تضطلع بهذه المهام، إنها لتوفق بينها وبين مهام أخرى مثل المساعدة في التحقيق في عمليات التجسس او الجرائم الأخرى، وإجراء اختبار كشف الكذب لأناس معينين، والعناية بأبنية الوكالة والأقفال ومراقبة المرتدين. فإذا ما أخذنا بالإعتبار احتمالية التهديد التي قد يشكلها طرف معاد ما، سنجد أن هذا المكتب يدير واحداً من أهم أعمال الوكالة. وتقوم الشعبة الأمنية الفنية التابعة لمكتب الأمن ، بالإضافة الى بحثها عن أجهزة التجسس، بنصب أنظمة صوتية كاتمة لإخفاء الأصوات وأجهزة إنذار فورية وخزانات وأقفال وأية أنظمة أمنية أخرى. بيد أن المهمة الأكبر الملقاة على عاتق المكتب هي العثور على أجهزة تجسس بإجراء عملية تفتيش دقيقة دورية لبنايات الوكالة في واشنطن وكذلك محطات الوكالة في الخارج.

يسع مكتب القياس تقديم عشرات من سبل احتماليات التجسس، وعلى فنيي (و. م. م) تدقيقها جميعاً. إذ يمكن تحوير أي مكبر للصوت في جهاز مذياع او تلفاز الى جهاز تجسس قادر على إرسال إشارات الى نقطة استماع بعيدة. وبالمستطاع استبدال منفذ كهربائي بآخر يحتوي على جهاز تنصت مصمم لبث إشارات بواسطة الهواء او

من فوق خط القوة الكهربائية. وبوسع ميكروفون (مذياع) داخل ثيرموستات (منظم حرارة) إرسال إشارات الى فـرن حراري يقوم بدوره بنقل الإشارات خـارجاً بواسطة أجهزة إرسال في داخله. ويمكن تحويل جهاز الهاتف ،بمجرد إعادة لف أسلاكه، الى ميكروفـون مفتوح قادر على نقل الأصـوات من الغرفـة الى الخارج، حتى وإن كانت سماعة الهاتف مقفلة.

وآلات الطبـاعـة ليست بمنأى عن احتمالية التجسس. إذ صنعت شركـة IBM آلات طباعة انتقائية يعمل فيها مغذي الطاقة الكهربائية كجهاز التقاط لما تطبعه الآلة. إذ يـدور المولد داخل الماكنـة مع كل حـركة للعنصر الطبـاعي، وتعتمد عـدد دورات المولـد على مدى حـركة العنصر الطبـاعي وبالتـالي فإن كمية الحركـة تعتمد على نـوع الحرف المطبوع. وبحسـاب كمية التيار المصروف، يستطيـع المكثاف أن يقرر المسـافة التي قطعها العنصر الطباعي وبالتالي نوع الحرف المطبوع.

يمكن توظيف شاشة آلة الحاسوب لإرسال إشارات تعين نوع الحرف الذي تمت طباعته. وبـالمستطاع استخدام ميكروفـون داخل غرفة لالتقاط الأصـوات من لوحة تستقبل المفاتيح الرئيسـة، فلكل مفتاح صوت خاص وبتحـديد ذلك الصوت يصبح ممكناً تحديد نوع المفتاح الذي تم ضغطه.

يحاول فنيو (و. م. م) ،في مسعـاهم لاكتشاف أجهزة تنصت الكترونيـة، التقاط أية إشـارة قد تـرسل أصواتـاً من الغرفـة المزروع فيها الجهـاز. وتلك ليست بـالمهمة السهلـة. لقـد فشل فنيـو وزارة الخارجيـة أثنـاء تفتيش مبنى السفـارة الأمـريكيـة في مـوسكو في اكتشـاف أجهزة التجسس التي زرعهـا السـوفييت داخل طابعـات IBM الإنتقائيـة الكهربـائية لسبب ربما يعـود في أغلبه الى الطـريقة الـذكية التي أخفـى فيها السوفييت تلك الأجهزة. تخزن تلك الأجهزة المعلومات ثم ترسلها على نحو متقطع، وهي تحت السيطـرة الروسيـة ولما تخزن المعلومـات، وبـوسعهم إطفاؤهـا أثناء قيـام

الفنيين بعمليات التفتيش داخل السفارة. وتستخدم إشاراتها الشفرية نفس ذبذبة محطة تلفزيون موسكو، ولأنها ذات نفس الطول الموجي للمحطة التلفزيونية فقد تعذر على عمليات تفتيش السفارة التقاط أية إشارة.

إن واحدة من أكبر المشكلات التي تواجه الفنيين أثناء تفتيشهم لمحطات الوكالة في الخارج ليس أجهزة التجسس وحدها بل إصرار السفراء المتواصل على تفتيش مكاتبهم.

يقول فني سابق عمل في الوكالة: «إنه رمز للمنصب. فإذا ما تم تفتيش مكتب رئيس المحطة رغب السفير بتفتيش مكتبه أيضاً».

تتولى وزارة الخارجية تفتيش مكاتبها بنفسها بضمنها مكاتب السفراء. غير أن أولئك السفراء يصرون أن يتولى فنيو (و. م. م)، أثناء زيارتهم للمحطات الخارجية، تفتيش مكاتبهم وغالباً ما يتعرض ضباط (و. م. م) في تلك المحطات الى ضغوط لتلبية طلبات السفراء. بيد أن أحد الفنيين السابقين يقول: «لقد أخبرونا أننا سنطرد من وظائفنا إذا ما فعلنا ذلك. فوزارة الخارجية لا ترغب أن ترسل رجالها ومعداتها الى الأماكن التي نذهب إليها».

تخصص الوكالة إثنين من الفنيين او ثلاثة، بالإعتماد على حجم المحطة، لعملية التفتيش التي قد تستغرق أسبوعاً الى أسبوعين، وهي تقوم بتلك العملية مرةً واحدةً في السنة او كل ستة أشهر، بالإعتماد على درجة حساسية المحطة وحجم التهديد الذي تتعرض له. ويضم مكتب المدير أجهزة تجسس وضعها فتيان (و. م. م) (شعبة الخدمات الفنية التابعة لمديرية العلوم والتكنولوجيا). توضع هذه الأجهزة في بيوت او شقق استخدمتها الوكالة سابقاً كأماكن آمنة. وغالباً ما نشأت مناقشة بين كلا المكتبين، إذ لا يرغب الفتيان أن يشاركهم فنيو التفتيش آخر تقنياتهم وأجهزتهم.

تخدم الصـدفـة فنيـو (و . م . م) في العثـور على أجهـزة التجسس في المحطـات الخارجيـة. فقد سمع في إحـدى المناسبـات ،أثناء فحص الموجـات الهوائية في محطـة خارجية مـا، صوت رئيس محطة الاستخبارات البريطانيـة في ذلك البلد. وقد اتضح فيما بعد أن الإنجليـز قد زودوا وكالـة الأمن المحلية ببعض أجهزة التجسس القـديمة العهد، وكـان أول ما فعلتـه تلك الوكالـة المحلية أن زرعت إحـدى تلك الأجهزة في مكتب الضابط البريطاني الذي زودهم إياها.

يقوم مكتب الأمن بتفتيش مكتب مـدير (و . م . م) وسيارته ومنزلـه كل ثلاثة الى ستـة أشهـر. ولم يعثـر فنيو (و . م . م) على ايـة أجهـزة تجسس في لانجلي بعـد، وربما اعتقدوا في أحايين معينة أنهم قد اكتشفوا واحدةً في مكتب المدير إذا ما صادفهم سلك غريب، ثم يتضح أن هذا السلك يفضي الى جرس نصبه المدير ليستخدمه إذا رغب أن يطلب شاياً او قهوة.

يقول أحد الفنيين: «إنك كمن يبحث عـن إبرة في كومة قش. فالجهـاز قد يكون في اي مكان من البناية، وقـد تطيل البحث ولا تجد شيئاً، وأنت لست بمتأكد إن كان الجهاز على الجدار التالي. لا أظن أنك ستكون متأكداً ولو لمرة واحدة».

الفصل التاسع عشر

الجاذبية

«نحن بحاجة الى أناس عنفوانيين•• الى عدوانيين•• الى من يستخدم العنف ليرغم المقابل أن يفعل له ما يريد».

إنها الساعة التاسعة صباحاً من يوم الجمعة. بوب ،(الذي يشبه الى حد كبير ولتر كرونكت)، يجتمع بنخبة من المتلهفين والمحترمين الذين تقدموا للعمل داخل الوكالة، وأخبرهم هذا ما تبحث عنه (و. م. م) في العمل التجسسي. لقد ترشح هؤلاء لدخول برنامج التدريب المهني لـــ(و. م. م) المعد للصفوة المختارة من مرشحي الوكالة بعد أن تم تنسيب معظمهم الى مديرية العمليات -قسم التجسس البشري-، بينما سيتبوأ الباقون مواقع إدارية في مديريات الوكالة الثلاثة الأخرى.

هذه أغرب واجهة في واشنطن•• المكان الذي تستخدم فيه (و. م. م) مقاعد الصف لتجنيد أناس سيغدون بعد يوم دجالين محترفين.

إن منافسة العمل داخل الوكالة لحقاً رائعة. إذ تستقبل الوكالة سنوياً ما بين مائة وخمسين ألفاً الى مائتي ألف طلب عمل لتنتقي منها ألف طلب للعمل بوقت كامل او جزئي.

يستوفي ما يربو على اثني عشر ألف متقدم جميع الشروط المطلوبة بضمنها اجتياز اختبار كشف الكذب. ويسقط الكثيرون في منتصف الطريق بعد معرفتهم أن عليهم

كشف أنهم قد تعاطوا المخدرات سابقاً او إذا ما تكشفت لهم حقائق جديدة عن طبيعة العمل او عيل صبرهم بعد طول انتظار. ولا تخبر الوكالة المتقدمين بأسباب رفضها لهم إذا ما استثنينا سبباً واحداً مشتركاً قد يتجلى كدليل للرفض الا وهو المشاكل النفسية التي تبرز أثناء الفحص النفسي. وقد يظهر المتقدمون أحياناً، في محاولتهم المستميتة في اجتياز اختبار كشف الكذب، أنهم قد ارتكبوا جرائم الإغتصاب او جرائم أخرى مشابهة، وهي معلومات يتم نقلها فورياً الى مكتب التحقيقات الفيدرالي الذي سيقر بعدم صلاحيتهم للعمل. أما اليوم فلم يعد الشذوذ الجنسي أساساً للرفض.

تعلن (و. م. م) عن حاجتها الى سد شواغرها في وسائل الإعلام في الولايات الأمريكية الخمسين، بالإضافة الى تأسيسها اثني عشر مركز تجنيد موزعة في طول البلاد وعرضها. ويزور مجندو (و. م. م) سنوياً أربعمائة وخمسين حرم كلية، ليعرضوا فيها أشرطة تسجيل فيديوية أعدتها وكالات الدعاية نفسها.

يظهر على الشريط الفيديوي ويليام وبستر مرتدياً قميصاً أزرق وربطة عنق زرقاء مخططة، محترماً يتلهف صوب آلة التصوير ومخاطباً مجموعة من المتقدمين: «لا أرى وجوداً لمنظمة أكثر من (و. م. م) في تعدد أغراضها وفي تعقيداتها وسعة حجمها. إن غايتنا الأولى، كما يوحي بذلك اسمنا، الإستخبارات، اي المعلومات التي تساعد في حماية المصالح الأمنية للولايات المتحدة. إن دائرة تلك المعلومات تشمل كل نوع معلومة يمكن استقاؤها من اي جزء من العالم، سواء أكانت إقتصادية ام سياسية او عسكرية او علمية، وسواء ارتبطت بالشعوب ام بالأرض ام بالأحداث.. الأحداث التي وقعت ام التي ستحدث.. الحروب او الإنقلابات او الأعمال الإرهابية والإنتخابات والنساء وتجارة المخدرات والكوارث الطبيعية».

وبالإعتماد على خلاصة معلومات كل متقدم، اكتفت الوكالة بترشيح خمسة آلاف

متقدم ودعتهم لحضـور جلسة تمهيـدية امـدها ثـلاث ساعـات للتعرف على برنـامج التأهيل التدريبي الذي يخضع اليه ،تقريباً، جميع جواسيس الوكالة. يتم إجراء جلسة التمهيد لهذا البرنامج عدة مرات في السنة الواحدة في واشنطن وباقي المدن الأمريكية. وفي واشنطن، تعقـد الجلسة في بنـاية (اميس)- ١٢٨٠ شمال فـورت مايـر -روسلن -فرجينيا.

يدخل المرشحون ،بعد تسلمهم شارة الدخول، الى غرفة مفروشة بالسجاد البني تقع في الطابق الأول من البنـاية على جهـة الخلف وتغطي شبابيكها الممتـدة على طول الجدار ستائر بيجيـة اللون. تملأ الغـرفة مقـاعد دراسيـة منتظمة بشكل ستـة خطوط متقاطعة يجلس عليها المرشحـون الذين غالباً ما يبلغ عددهـم في الصف الواحد تسعةً وثلاثين طالباً.

تبلغ أعمار أغلب المرشحين العشرين عـاماً وقلـة منهم ولجوا الثلاثين. ويـرتدي الرجال بدلات زرقـاء وقمصان بيضاء، كما ترتدي النسوة ،غـالباً، ملابس محافظة. تشكل النسوة ثلث عـدد طلاب الصف الـذي يضم كذلك رجلاً أسـوداً واحداً. إنها مجموعة متجانسة.

يقول (يـوجين هارون) ،مديـر قسم التعيينات في الـوكالة، أن الأقليـات تؤلف اثنين وعشرين بالمائة من عدد مأجـوري الوكالة الجدد وأن أكثـر من خمسة عشر بالمائة من عـدد الموظفين هم من الأقليـات أيضاً، بينما تشكل النسـوة حـوالي أربع وأربعين بالمائة من عدد الموظفين.

يدخل بوب الى الصف مـرتدياً بدلـة رمادية اللون وربطة عنق مـزركشة وقميصاً أبيض، ويقـدم نفسـه٠٠ إنـه من مـديـرية الإدارة. «تضـم الوكـالـة المركـزيـة أربع مـديريـات٠٠ تحاول مديـرية العمليـات تجنيـد الناس٠٠ إن عملهـا أقرب الى صفـة

التسـويق». هنا يستمع المتقـدمون الى بـوب بأذن صـاغية، فأغلبهم لا يملك صـورة مسبقـة للعمل التجسسي إذا مـا استثنينـا المفـاهيـم التي كـونتهـا لـديـه أفـلام السينما والروايات. ويمضي بوب في حديثه: «إن أول شيء يجب على ضابط القضية أداؤه هو أن يجيب على سؤال مـا. لقد أراد شخص ما أن يعـرف إنتاج السـوفييت من الحنطة، هنا نبدأ بجمع متطلبات هذا السؤال».

قـد لا يبدو هـذا المثال منـاسباً تمامـاً، فضباط الـوكالـة داخل الإتحاد السـوفيـاتي مكلفون بجمع معلومات عن قضايا أكثر أهميـة وتصنيفاً من معرفة كمية الحصاد التي هي مسؤولية موظفي وزارة الزراعة في معظمها.

يقـول بـوب: «يعمل أغلب ضبـاط العمليات او القضـايـا -الجواسيس الـذين يشكلون كـادر منظمة استخبـارية- تحت غطاء معين، كأن يتظـاهروا بـالعمل لدائرة حكومية أمريكية أخرى».

ويقول بـوب أيضاً: «نبـدأ بمهمة جمع المعلـومات•• إنني بحـاجة لأعـرف عن تقنيات الحصاد لـديكم•• تستخدم مهنة تجارية•• فلياً•• تتأكـد إن كنت مراقباً•• تستقبل واشنطن هـذه المعلومـات•• تذهـب الى صنـاع القرار السيـاسي•• إنها دورة مستمرة».

ويضيف: «إنـه ليس عمـلاً مـا بين التـاسعـة صباحـاً والخامسـة مسـاءً•• إنهم ينجزون عمل الوكالة في المساءات وأيـام العطل على الغالب•• إنها مهنة شاقة ولكنها تستحق الثناء».

يقـول بوب إن مـديـرية العلوم والتكنـولـوجيا تحدد مـدى القـدرة العسكريـة للأطراف الأخرى من خلال توظيفها للأقمار الصناعية والرادرات وغيرها، بينما تقوم مديرية الإستخبارات بتحليل المعلومات التي استقتها المديريات الأخرى.

«على المحللين أن يتحلوا بـالحذر والجلد. انهم لا يعبرون الى مجال صناعـة القرار السياسي، فقد تعود الوثائق وعليها إشارات بالحبر الأحمر».

ثم تأتي مديـرية الإدارة. يقول بوب: «تلك هي المديريـة التي أنتسب اليها• إنها تنظم سيارات المديرية وتنقـل شحنات مديرية العمليات جواً وتتأكـد من أن الرزم قد وصلت وتنظم عقود مديرية العلوم والتكنولوجيا».

يقوم بـوب بتقديم (سيسل) الى طلبـة الصف. إنه رجل أسـود يرتـدي نظارات ذات إطار مصنوع من الذهب وبدلة زرقـاء. لقد استوفى شروط الإنتساب الى برنامج التأهيل، فالمتقدم يجب أن يكـون مواطناً أمريكيـاً، ويتراوح عمره ما بين العشرين الى خمسة وثلاثين سنة وحاصل على شهادة جامعية أولية في أقل تقدير.

يقول بـوب: «نأخذ بعين الاعتبـار مؤهـلات أخرى مثل إمكـانية الـدعم الذاتي والفصاحة واللباقة•• سجل عمل ثـابت•• والخبرة العسكرية ضرورية أيضاً. نحن نبحث عن عقول وعن الأنـاقة•• الفتنة دومـاً ضرورية•• نحن بحاجـة الى شخصية معصومـة عن الخطأ ومتكاملة•• إنك ستحـاول كسب الناس ليغدوا جـواسيساً وأن يقترفوا العمل التجسسي وفي ذات الوقت نتوقع منكم إطاعة القانون الأمريكي».

يقول سيسل: «إن بـرنامج التأهيل يستغرق سنـة كاملة بضمنهـا ثمانية الى عشرة أسابيع معايشة داخل مديريتين او ثلاثة من مديريات الوكالة».

ويضيف: «هذه لمحة عـن برنامج التأهيل لدورتكم. تقـدم المرشحون من طول البلاد وعرضهـا•• متوسط العمر المقبول هو سبعة وعشرين عـاماً•• تشكل النسوة أربعين بالمائة ويؤلف الرجال النسبة المتبقية•• يمثل أصحاب الشهادات العليا نصف عـدد المقبولين•• وقـد سافـر ثلثي العدد الى خـارج الولايـات المتحدة مسبقـاً• يتقن عشرون بالمائة لغات أجنبية، وبينكم خمس عشر بالمائة من الجيش».

يمضي سيسل في حديثه مازحاً: «وبالنسبة للرواتب فأعتقد أن أغلبكم يولي اهتماماً لهذا الأمر. سيتم تعيينكم أولاً بدرجة جي. اس. ٨ درجة٥ براتب سنوي مقداره (٢٦) ألف دولار. ويستحق من يجيد لغة أجنبية او من لديه خبرة عسكرية و/ او عاش فترة طويلة خارج الولايات المتحدة درجة جديدة وراتباً أعلى».

الساعة الآن التاسعة والنصف صباحاً. يقدم سيسل (شيلي) الى المتقدمين، إنها من مديرية العمليات.

تقول شيلي: «بات لي في الوكالة ثمانية عشر عاماً. إننا نسعى أن نجند أناساً أهلاً للمسؤولية، فنحن نمثل جانب العمل السري. نحن من يجند المصادر البشرية، فإن كنتم عازمين على أن تكونوا جواسيساً فعليكم أن تتأكدوا من شعوركم حيال القضايا الخلقية».

إن شيلي لم تتفوه بهذه الكلمات هباءً، فهي تقصد ما تقول. فضابط الوكالة المركزية ،إذا ما عزم أن يكون جاسوساً، عليه أن يقضي معظم حياته يعيش كذاباً وأن يتظاهر بشخصية لا ينتسب هو إليها وأن يقنع الآخرين كيف ينقلبوا على بلدهم ليصبحوا خونة. إنه عمل لا يصلح له كل من هب ودب.

تقول شيلي إن الجانب الآخر من العمل التجسسي هو تنفيذ العمليات السرية: «نحن نلجأ الى العمل السري اذا فشلت الديبلوماسية في بلوغ غايتنا. لقد تم تقييم هذا العمل ليخفي تدخل الولايات المتحدة في شؤون الآخرين. إننا نضع أولويةً في هذا المجال على المهارات الإجتماعية•• عليك أن تحسن الكتابة• وأن تجيب على الأسئلة الصحفية القياسية مثل أين ومتى ولماذا ومن وكيف وماذا».

وقد حذرت شيلي: «عليكم أن تتجنبوا أن تعرفوا بأنفسكم. لن تظهر أسماؤكم في الصحف•• تمسكوا بمذهب المجهولية•• والا فما فرقكم عن هؤلاء الذين

يمتهنون مهناً أخرى كالجيش مثلاً؟».

لقـد نطقت بهذا القـول لإنها تعي أن ضبـاط (و.م.م) غالبـاً مـا وصفـوا وزارة الخارجية بالمكان الذي يقصده من يسعى وراء المجد.

تقول شيلي وقد استشهدت بنفسها: «إن عمل الجاسوسية قد يفيض بالسخرية. ربما لا يتوجب علي أن أقول ذلك». ثم قرأت عليهم المقدمة التي كتبها وليام كولبي، مدير (و.م.م) السابق، وضمهـا في كتاب يتحـدث عن كيفية التقديـم للعمل لدى (و.م.م).

«قال كولبي إنـه تطلع الى خمس وعشرين سنة خلت، فأدرك أنه قـد قضى أوقاتاً طيبة. نحن بحـاجة لأولئك الذين يفعلـون شيئاً ما لبلـدهم.. عليك أن تمتلك رغبةً جامحةً لتعزز أمن الولايات المتحدة».

ثم سأل أحـد المتقـدمين: «هـل يفترض أن تكـون زوجتك ضـابط عمليـات في الوكالة أيضاً؟».

«لا ولا» أجابت شيلي. «وعليكم أن تتأكـدوا أن الزوج/ الـزوجة لا يملك عظم غيره في جسده/ جسدها».

ثم يسأل متقدم آخر: «هل من الخطورة بمكان أن تحاول تجنيد شخص غير الذي تنشد؟».

تقول شيلي إن هنـاك فرق بين بين ضابط (و.م.م)، الـذي غالبـاً ما يعمل تحت الحماية الحكـومية الرسمية وبـالتالي يمتلك صفة الحصـانة الديبلومـاسية، وبين عميل أجنبي يجنده ذلك الضابط ليستقي منه المعلومات.

تقـول شيلي: «اذا أردت أن تختار كـوبياً فعليك بـالإنتظار حتى نهايـة رحلتك». ولكن العميل لا يملك حصانةً ديبلوماسية. «ربما شنقت الحكومة عميلك. حاول الا تختار شخصاً ما لم يسابقك الى القول نعم».

- هل تجندي صديقاً لك؟ سأل أحدهم.

- نعم. أجابت شيلي.

وسأل شخص آخـر: مـاذا لـو كشفتني مـلامحي أني أمـريكي؟. أجابت شيلي: بوسعك أن تتنكر. بإمكانك أن تتآلف مع الآخرين. إياك والتبجح.

- ماذا بشأن العمليات شبه العسكرية؟

- هذه ليست بالأولوية لنا. نحن لا نجند كادراً شبه عسكري.

ثم تقـدم شيلي (مارك) من مـديريـة العلوم والتكنـولوجيـا. يسأل مارك: أثمـة شخص بينكم لا يعرف شيئاً عن جيمس بوند؟.

يقول مـارك إن (كيو) يسلم عدة الى جـاسوس وهمي ليعينـه في أداء واجبه، كأن ينصب أجهزة تنصت في غرفة اجتماعات او أن يتنكر.

يقول مارك، بعد أن أوجز المشاركين بأقسـام مديريته، إن طائرة بلاك بيرد SR-71 التي جاءت بعد طائرة الإستطلاع يو-٢ التي تطير بـأكثر من ثلاثة أضعاف سرعة الصوت، هي مثا لنتاج مـديريته. هذه الطائرة قد تقـاعدت عن الخدمة وحلت محلها أقمار التجسس الصناعية.

يقدم مارك (كريستينا) من مديـرية الإستخبارات. تقول كريستينا: «انني أعمل في قسم التحليل السوفياتي، لدينا مهمة الحصـول على المعلومات وتحليلها، بالإضافة الى تعيين مشكلات الأمن القومي وجلبها الى صناع القرار السياسي. إننا نشعر بالفخر

لأن تحليلاتنا حيادية، فنحن نقول الشيء بالطريقة التي نراه فيها، ونحن من يوجز الرئيس ونائبه والوزراء يومياً بخلاصة المعلومات».

ثم تضيف: «لدينا ست شعب موزعة لمناطق العالم، وهي شعبة السوفييت/ اوروبا الشرقية، وشعبة اوروبا- الشرق الأقصى -شرق آسيا -أفريقيا وأمريكا اللاتينية. وهناك مكاتب وظيفية- اقتصادية وتقنية وجغرافية او متخصصة بالأسلحة النووية. نحن نسعى وراء العقلية التحليلية الفذة•• وراء المهارة في البحث والقدرة في ولوج أعماق المشكلة وعقول الناس برأي حقيقي. إنكم تعملون مع جمع من الأذكياء- المتقدين ذكاءً. إنه عمل شاق وصعب، إن خط الموت إذا ما كان قصيراً لأفضى بك الى حالة من القلق والتوتر الكبيرين•• إنها سرعة قصوى ومنافسة».

هنا علق أحد المتقدمين: «يبدو لي أن من المستحيل أن تنكشف أوراق الإقتصاد السوفياتي دون العيش فيه».

أجابت كريستينا: «لدينا سفارة هناك ونحن نقرأ التقارير والوثائق التي تعد بهذا الشأن. نحن نجمع المعلومات بطريقتنا السرية، ثم أن كثيراً من رجال الإقتصاد السوفييت يأتون الى هنا ولكني لا ألغي احتمالية السفر الى الإتحاد السوفياتي».

الساعة الآن الحادية عشرة وخمسين دقيقة، وأوشك بوب أن يسدل الستار على اللقاء. هناك مقابلة فردية لأولئك الذين لما تزل تمتلكهم رغبة العمل وبضوئها يتسلم المقبولون استمارات فردية لإملائها.

تتألف الإستمارة من أربع وثلاثين صفحة يحتوي بعضها على مجرد تعليمات. اما باقي الصفحات فتؤلف أسئلة عن مكان إقامتك قبل خمسة عشر عاماً مثلاً، وتاريخك الوظيفي بعد سن السابعة عشرة، والوظائف التي يمتهنها اشقاؤك وشقيقاتك وحتى مكان وتاريخ ولادة والدك او والدتك بالتبني. كما يتوجب على المرشحين خوض

اختبار القابلية والإختبار النفسي. وسيطلب إليهم تقديم نموذج عن خطهم اليدوي. «أن تقول لنا من أنت وما انطباع أقرب أصدقائك عنك».

أراد أحد الحضور معرفة مدى مـا ستذهب اليه تلك المعلومات فسأل: «لو كنت قد تنـاولت عشاءً في أحد مـواسم الصيف في يوغسلافيـا، فهل ستتحدث إليهم؟».
«ربما لا» أجاب بوب.

ثم أثار بوب مـوضوع المخدرات. «ليس ثمة مشكلـة مع الصندوق السداسي في نهاية عطلة الأسبوع الكلية. نحن نقصـد من يتعاطى المخدرات منكم. فإذا ما زرقت شيئاً في جسمـك فتلك مشكلة، اما أن تكـون قد تـوقفت عن تعاطي المخـدرات قبل سنة وبمقدورك توضيح ذلك فليس ثمة مشكلة في الأمر.

ثم سأل أحـد المرشحين إن كان لزامـاً عليه أن يـذكر جميع اسماء الأجانـب الذين التقاهم. أجابه بوب: «اذا لم تسعفك ذاكرتك لهذا الأمر فأجب أنك لا تتذكر».

انتهت الجلسة.

كان واضحـاً أن الجلسة لم توضح للمـرشحين حقيقة مـا تعنيه كلمة الجاسـوسية لوكالة المخابرات المركزية، وهو ما سيفتح باباً لكثير من الغموض. ولم تتطرق الجلسة أيضاً الى مديرية (الإستخبارات المركزيـة) التي تؤلف المديرية الخامسة والأكثر قوةً بين مديريات (و. م. م).

الجزء الخامس

مكتب مدير الاستخبارات

الفصل العشرين

ثلاثة مناصب

شاء الرئيس ترومان والكونجرس ،وبسبب الطريقة التي فقدت فيها أمريكا أسلوب الحماية في ميناء (بيرل هاربر)، الإطمئنان أن الإستخبارات الأمريكية مستقبلاً ستكون أفضل تنسيقاً من اليوم. وعليه، أوجد الكونجرس منصب مدير المخابرات المركزية الذي تبوأ ثلاثة مناصب. أولها منصب رئيس وكالة المخابرات المركزية، وثانيها منصب المنسق بين جميع الوكالات الحكومية الإستخبارية، وآخرها منصب مستشاراً لرئيس الولايات المتحدة ،عبر مجلس الأمن القومي، للقضايا الإستخبارية الخارجية.

أطلق على الوكالات الإستخبارية منذ عهد الرئيس آيزنهاور اسم المجتمع الإستخباراتي، مؤلفاً بذلك تجمعاً حميداً بين تلك الوكالات المجاورة بعضها البعض الآخر. يتألف هذا التجمع ،بالإضافة الى (و.م.م)، من مكتب وزارة الخارجية للإستخبارات والبحث، والفروع الإستخبارية لوزارتي الطاقة والمالية، وكالة الأمن القومي، عناصر الإستخبارات المضادة التابعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي FBI، مكتب الإستطلاع القومي، وكالة الإستخبارات التابعة لوزارة الدفاع وعناصر الإستخبارات التابعة لوحدات الجيش وسلاح الجو والبحرية وفيالق المارينز. كما تشارك في هذا المجتمع وكالات ذات طبيعة مرتبطة بالإستخبارات تابعة لوزارات مثل وزارة التجارة بيد أنها لا تعتبر عضواً كامل الصلاحية.

يترأس مـديـر المخابـرات المركـزيـة ، بهدف المسـاعدة في تنسيق جهـود الجماعـة الإستخبـارية ، كـادراً مستقـلاً من المجتمع الإستخباراتي لـه مـديره الخاص بـه . كما يترأس مدير (و . م . م) مجاميع ولجان من داخل الوكـالة مهمتها تنسيق نشاطات محددة للوكـالات الإستخباريـة ، يأتي في طليعتها المجلس القـومي للإستخبـارات الخارجية الذي تشمل عضويتـه الضابط الأقدم من كل وكالـة عضو في المجتمع الإستخباراتي ، وعن طريقه يصادق المجتمع الإستخباراتي على (التقديرات الإستخبارية القومية) التي تمثل وجهـات نظر كـامل المجتمع الإستخبـاراتي . ويقـرر المجلس ، من خلال لجانـه المختلفة ، القضايا ذات الأولوية في الإهتمام والمعلومات المصنفة التي يجب تسليمها الى حلفاء الولايات المتحدة .

يتـولى رئيس الولايـات المتحدة ، بعـد التشاور مع مجلس الشيـوخ ، تعيين مـديـر الإستخبارات المركـزية وكذلك نائبـه الذي يشغل منصب نائب مديـر الإستخبارات المركزية ونائب مدير وكالة المخابرات المركزية . ويحق للرئيس طردهما .

لمدير الإستخبارات المركزية أربعة نـواب يترأس كل منهم إدارة إحدى مديريات الـوكـالة الأربعـة . ولـديـه أيضـاً مجموعـة من ضبـاط الملاك لا ينتسبـون الى اي من المديـريات الأربعـة ويرتبطـون بـه مباشرة ، وهـؤلاء يمثلـون مكاتب المجلس العـام والشؤون العـامة وشـؤون الكونجـرس والحسابـات والمساعـد الخاص للسيطرة على التسلح ، ومجلس الأمن القـومي (الـذي يعـد التقـديرات) ، ومـديـر مـلاك المجتمع الإستخباراتي الذي يعمل على تنسيق نشاطات بعض لجان المجتمع الإستخباراتي حول قضايـا معينة مثل الأمن ومعالجة المعلومـات والإستخبارات المضادة . وبالإضـافة الى هؤلاء جميعـاً ، هنالك نـائب المدير للتخطيط والتنسيق الذي يـرتبط مباشرة مع مـدير الإستخبارات المركزية ويترأس كادراً من ستـة عشر عضواً . تمثل هذه المكاتب مجتمعة خمس مجموع كادر وكالة المخابرات لمركزية .

يمثل المفتش العام لوكالة المخابرات المركزية ،وفقاً للتشريع الصادر عام ١٩٩٠ ، نفس المنصب الوظيفي الذي يتمتع به مدير الإستخبارات المركزية، ويتولى الرئيس تعيينه أيضاً بعد حصول موافقة مجلس الشيوخ عليه. إن معاينة لكامل المجتمع الإستخباراتي ذي الشكل الأخطبوطي سترفدنا بمعلومة شاملة عن لجان المراقبة عليه، التي تشمل ،بالإضافة الى لجان المراقبة الكونجرسية، مجلس الرئيس الإستشاري للإستخبارات الخارجية، وهو هيئة استشارية مدنية تتولى التحقيق في مواطن الضعف او القصور وتدلي بنتائجها مباشرةً الى الرئيس. وهنالك أيضاً مجلس الرئيس للمراقبة الإستخبارية الذي يتألف من ثلاثة أعضاء من خارج الحكومة يختارهم الرئيس ليطلعوه مباشرةً على جميع النشاطات الإستخبارية ذات الطبيعة غير الشرعية او القاصرة.

لم يكن لأغلب مدراء وكالة المخابرات المركزية تجربة استخبارية سابقة، وربما كان (جون ماك كون) و (ولتر بيدل) بين أفضل من تحتفظ لهم الذاكرة بأيام طيبة. أسس سميث ،الذي ترأس الوكالة للفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٥٣ ، آلية نقل (التقديرات الإستخبارية القومية) الى تنسيق أفضل للعمل التحليلي داخل الوكالة. اما ماك كون ،الذي ترأس الوكالة للفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٥ ، فقد وسع عملية إعداد التقديرات وأسس مديرية العلوم والتكنولوجيا. من ناحية أخرى، يعتبر (وليام رابورن) أسوأ من تولى إدارة وكالة المخابرات المركزية (١٩٦٥ الى ١٩٦٦).

يقول (راسل جاك ميث) ،الذي شغل سابقاً منصب نائب المدير للإستخبارات، إن رابورت قرر أثناء لقاء الرئيس ليندون جونسون مع القوات الأمريكية في جمهورية الدومينيكان عام ١٩٦٥ ان أفضل ما يمكن له المساهمة به هو أن يقدم للرئيس جونسون كل قطعة ورقة تسلمتها الوكالة، بيد أن ريتشارد هيلمز ،الذي كان نائباً للمدير، قد هدأ من روعه.

كان لقة قليلة من مدراء (و . م . م) أمثال (سيدني سويرز) و (وليام وبستر) بعض التجربة الإستخباراتية كخليفة لسلف داخل (و . م . م) او أنهم عملوا في منظمات استخبارية أخرى. ولم يتدرج في السلم الوظيفي للوكالة حتى تبوأ منصب مدير (و . م . م) الا ثلاثة هم (الن دولسن) و (ريتشارد هيلمز) و (وليام كولبي).

أدرك كل مدير عمله بطريقة مختلفة عن سابقه. فقد تعمق دولس ، الذي خدم ما بين ١٩٥٣-١٩٦١ ، وكيسي ، الذي خدم للفترة من ١٩٨١-١٩٨٧ ، أكثر في العمل السري. وشعر (ستاسفيلد تيرنر) ، الذي عمل في الفترة ما بين ١٩٧٧ الى ١٩٨١ ، أن الوكالة مضطلعة أكثر بالتجسس البشري ، فأهدى معظم وقته الى الجانب التحليلي حتى تراه يغير من رأيه بين الفينة والأخرى حول التقديرات المقدمة اليه.

زرع هيلمز ، الذي احتل منصب مدير (و . م . م) للفترة من ١٩٦٦ الى ١٩٧٣ ، بأسلوبه الهادىء والسخي الإنطباع أنه رجل المعرفة الموسوعية. لقد ساند رجاله ولم يدخر وسعاً ليزيغ عن ضغط البيت الأبيض عليه لتوريط الوكالة في عدد من العمليات السرية والنشاطات غير الشرعية.

ولا تتذكر الوكالة أن جورج بوش ، الذي شغل منصب مدير (و . م . م) من ١٩٧٦ الى ١٩٧٧ ، قد قدم كثيراً للوكالة سوى أنه قد دعم كثيراً الجانب العملياتي وعزز علاقاتها مع الكونجرس.

تكن الوكالة مقتاً صريحاً لـ (تيرنر) لمحاولته طمس أهمية الجانب السري في عمل الوكالة ولتقليصه كادر مديرية العمليات من الموظفين بأسلوب وحشي تماماً. لقد كان بالإمكان إكمال تقليص ملاك المديرية ، الذي فاض عن الحاجة خلال حرب فيتنام ، وعلى مدى خمس سنوات وبأسلوب الإستنزاف ، بيد أن نفاذية صبر تيرنر قادت به أن يقرر تقليص الملاك على مدى سنتين. وهكذا لقي سبعة عشر موظفاً أنفسهم خارج

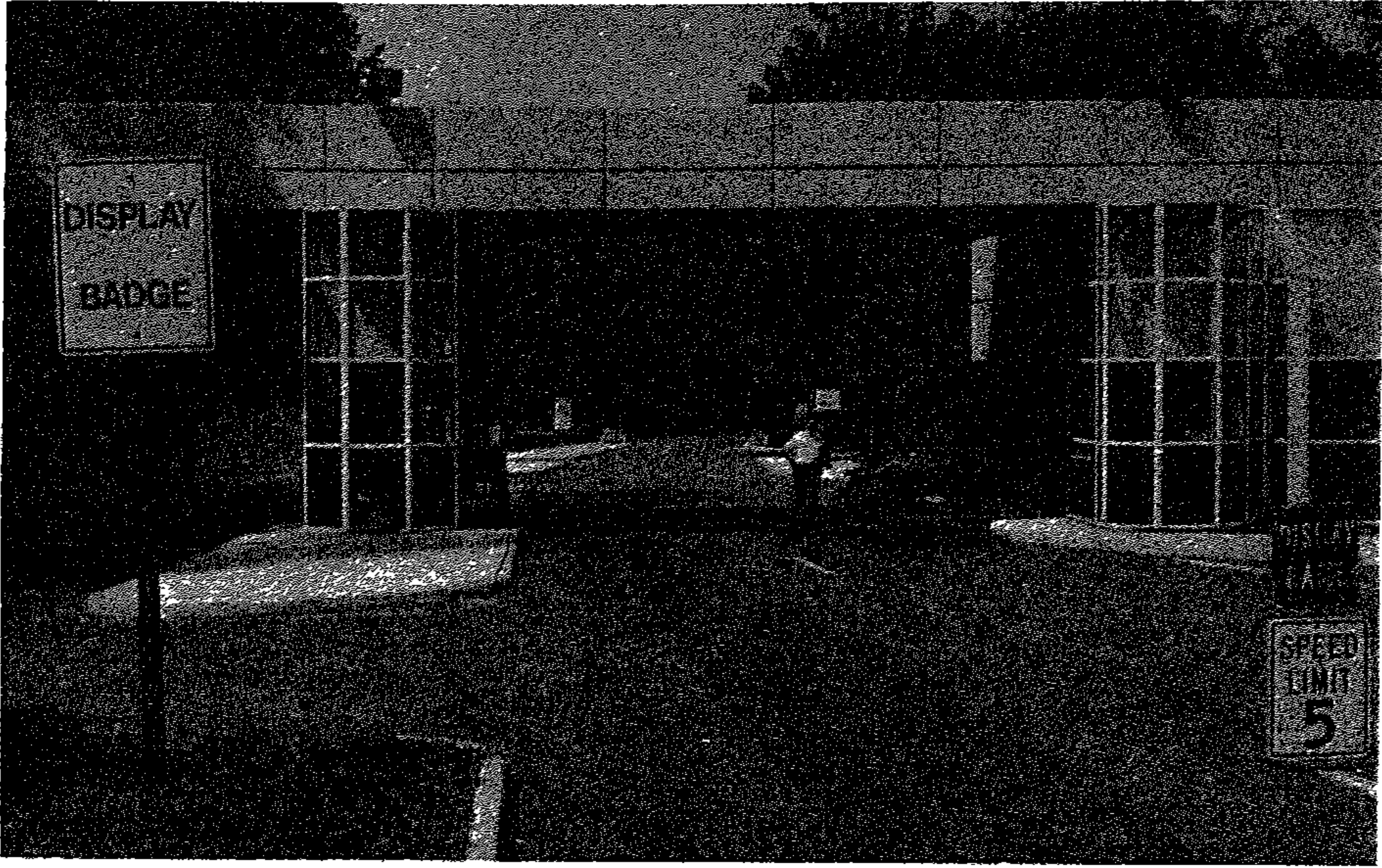
أبواب الوكـالة مطرودين، وأجبر مائة وسبعة وأربعين آخرين على الإستقـالة مبكرين ومضى آخرون يبحثون لهم عن عمل لـدى باقي المديريات. صـدر قرار الطرد في ٣١ كانـون الأول عام ١٩٧٧ وقد نص كتاب الطـرد على ما يلي: (لقد تقرر أن المديـرية لم تعد بحاجة لخدماتكم)، وهو ما بات، يعرف بعدئذ باسم (مجزرة عشية ٣١ أكتوبر).

لم يملك (جيمس شيلسنجـر) في الأشهر الخمسـة التي شغل فيهـا منصب مديـر (و. م. م) عـام ١٩٧٣ الوقت لمعـالجة قضايـا الوكـالة، وكل صنيعـه أنه فتح أبـواب الوكالة أمام الرأي العام عندما أمر بجمع (مجوهرات العائلة) التي تضم جميع إساءات الوكالة في الماضي. وأدخل كولبي الوكـالة في عصر الحداثة بتأكيده للحاجة الى العمل القانوني وأن تضع الوكالة أمامهـا الكونجرس والعامة بعين الإعتبار بيد أن كيسي عاد بالوكالة الى عهد غابر ولى حين أشركها ثانيةً في نشاطات غير شرعية وخاطئة.

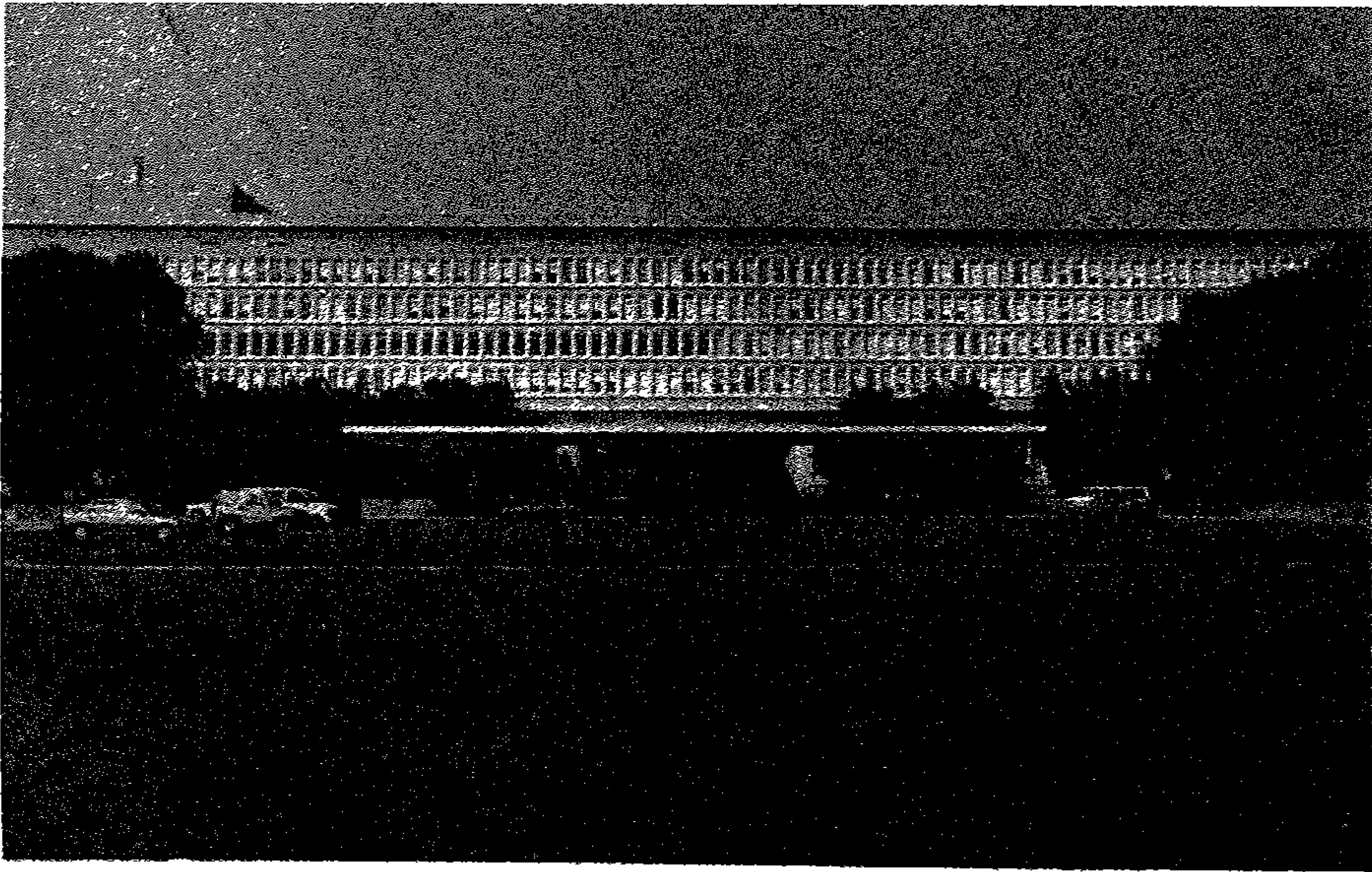
يعتمد حجم تأثير مدراء (و. م. م) على رؤسـاء الولايات المتحدة بمـدى العلاقة التي تربط كلا الطرفين. فبعـد أن توقعت الوكالة المركزية نشـوب حرب الأيام الستة بين إسرائيل والعرب عام ١٩٦٧ واستدراكها أن الحرب ستدوم ما بين سبعة الى عشرة أيام، دعى الرئيس جـونسون هيلمز الى حضور مآدب الغداء التي يضمهـا كل ثلاثاء الى دائرته الداخلية من مستشاري السيـاسة الخارجية. ولم يكن كيسي مستشار الرئيس ريغان لشؤون الإستخبـارات فقط بل كان مستشاراً سياسياً أيضاً (بعـد أن شارك معه في حملته الإنتخابية).

تمضي وكالـة المخابـرات في رحلتها غير مكترثـة ،الى حد ما، بمـن يتبوأ منصب المديـر. فهي تعيش حياتها الخاصـة بها وتستجيب لـلأحداث والضغـوط اعتماداً على القيم المغروسة في ذلك الوقت. لكن الكثير من مدرائهـا قد تركوا عليها بصماتهم كأن أعادوا تنظيم أقسامها المختلفة او أنشأوا مكاتب جديدة وأضفوا أهمية على هذا الجانب أكثر من ذاك او فرضوا لوائح جديدة داخلها.

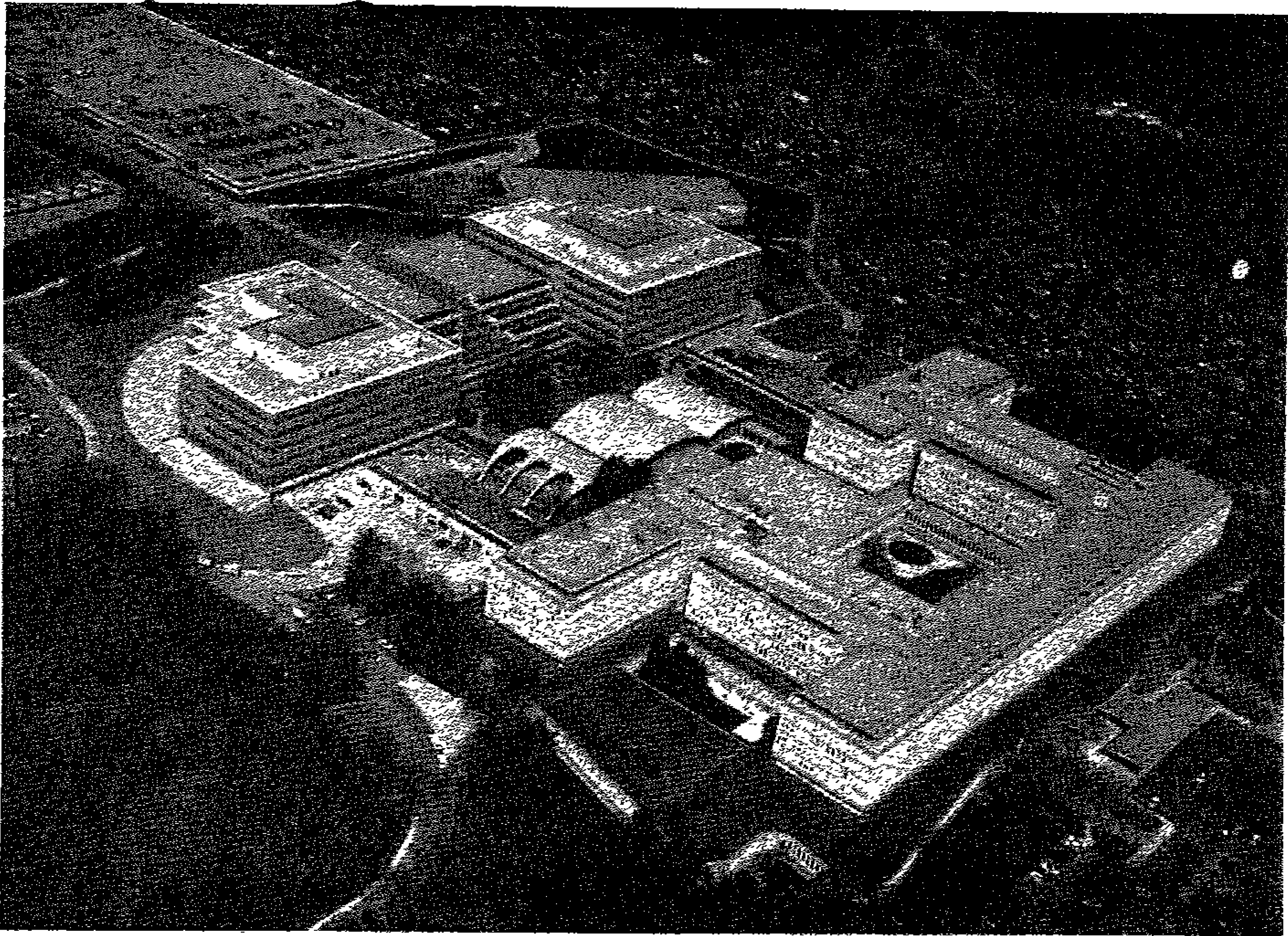
وفي هذا النطاق لم يختلف وبستر ،الذي يشغل منصب مدير (و . م . م) في أيار عام ١٩٨٧ ، بذرة شيء عن أسلافه، وكل ما يميزه أنه (الخارج المطلق)، المحامي الذي كان قاضياً فيدرالياً قبل أن يغدوا مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي . وهو لم ينتسب لأي دائرة سياسية ولم تكن لديه التزامات سياسية او روابط بالجماعة الإستخبارية .
وعليه فإن ما حدث إبان سنوات إدارة وبستر الأربعة سيقدم فرصة استثنائية للتوغل في أعماق الشخصية العصرية لوكالة المخابرات المركزية .



البوابة الرئيسية لـ (و. م. م) قبالة مدخل دولي ماديسون، وهي واحدة من أربعة مداخل لبناية الوكالة في ماكلن- فرجينيا.



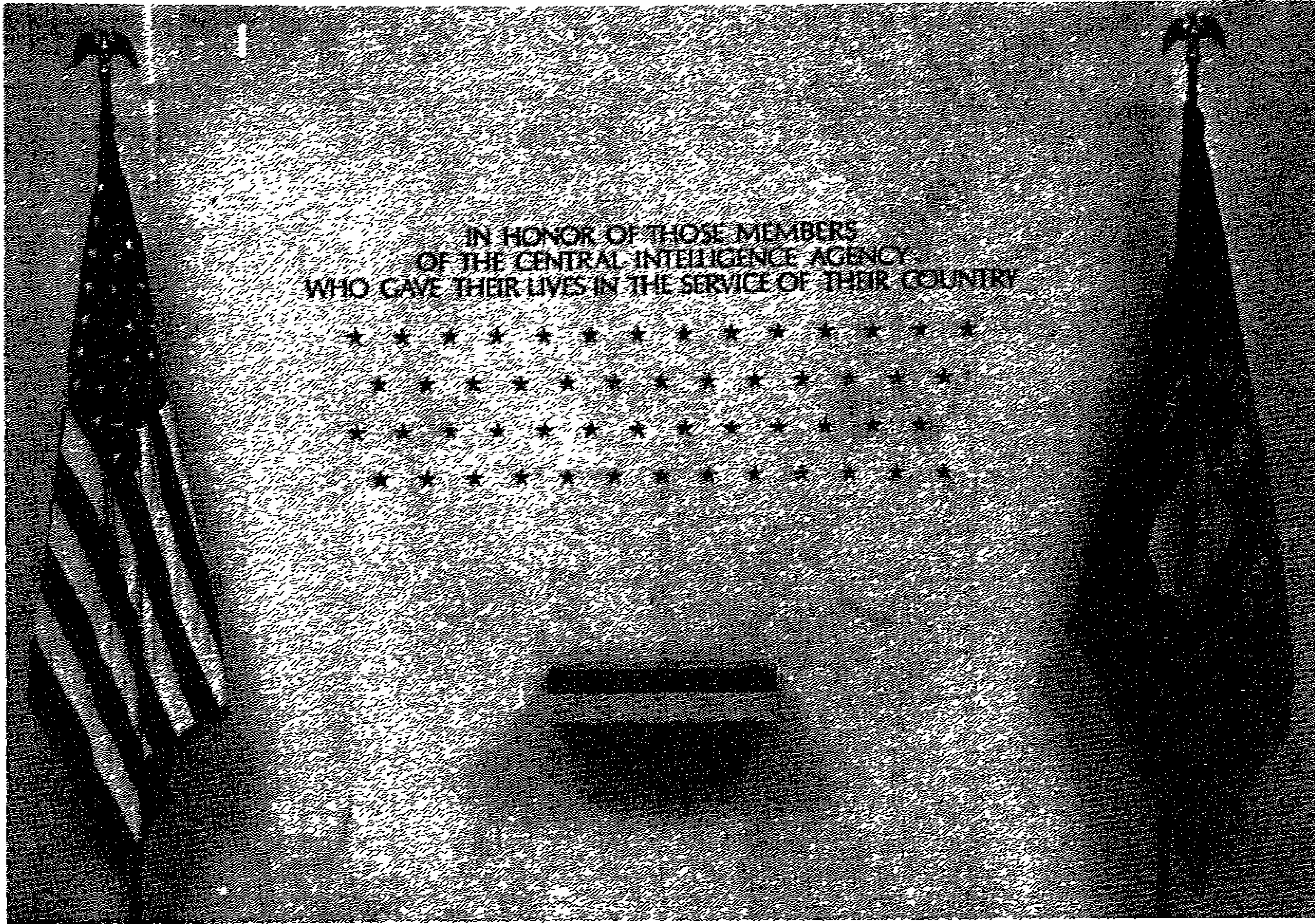
المدخل الرئيسي أمام بناية الوكالة القديمة الى اليمين مباشرةً من جناح المدير في الطابق السابع.



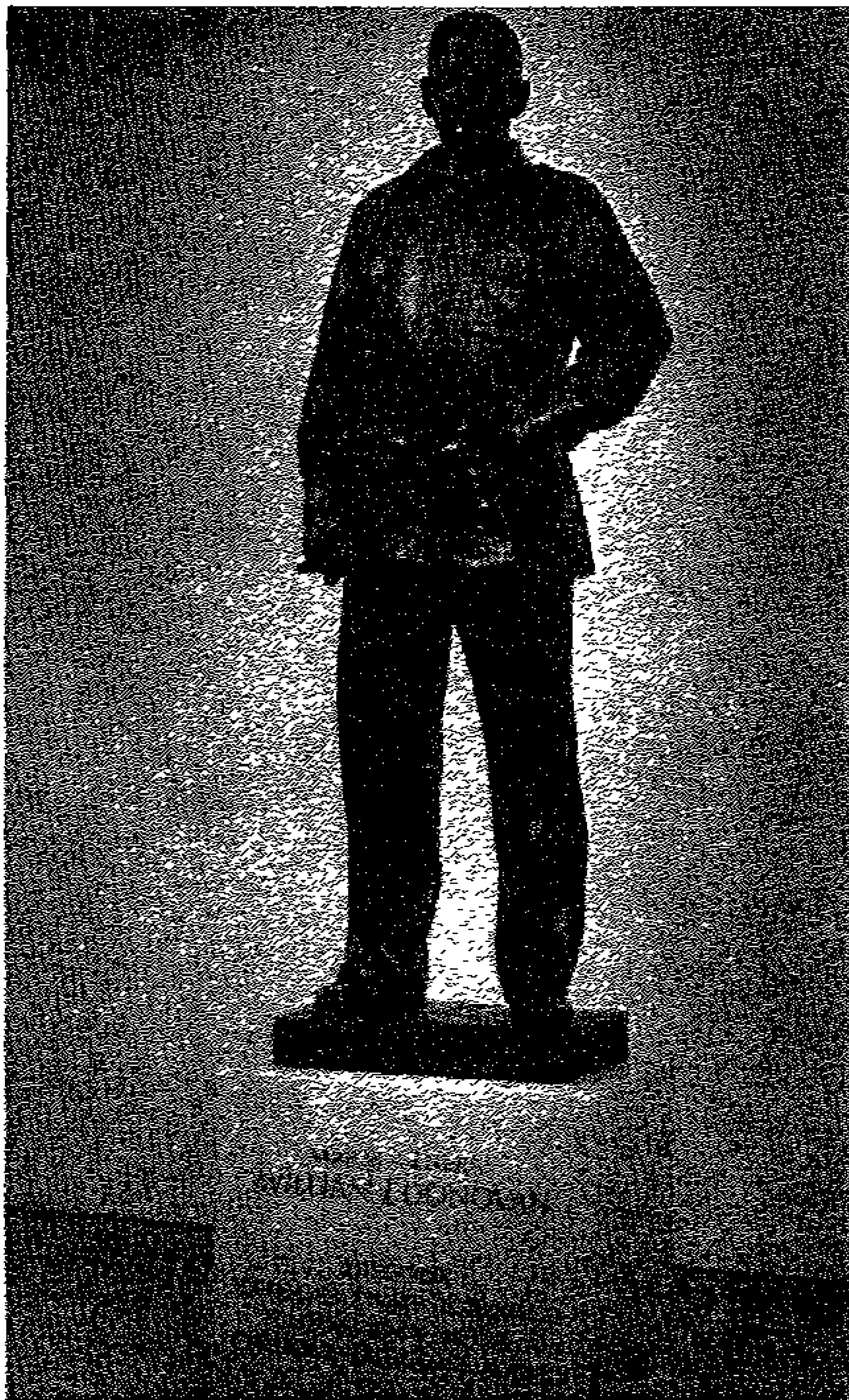
أسفل اليمين : البناية القديمة للوكالة والمدخل الرئيسي وقد اكتمل بناؤهما عام ١٩٦١ . أعلى اليسار : المبني الجديد للوكالة والذي اكتمال بناؤه عام ١٩٨٨ .



مدخل بناية و . م . م الجديدة البالغة مساحتها مليون قدم مربع والمكسوة بالزجاج .

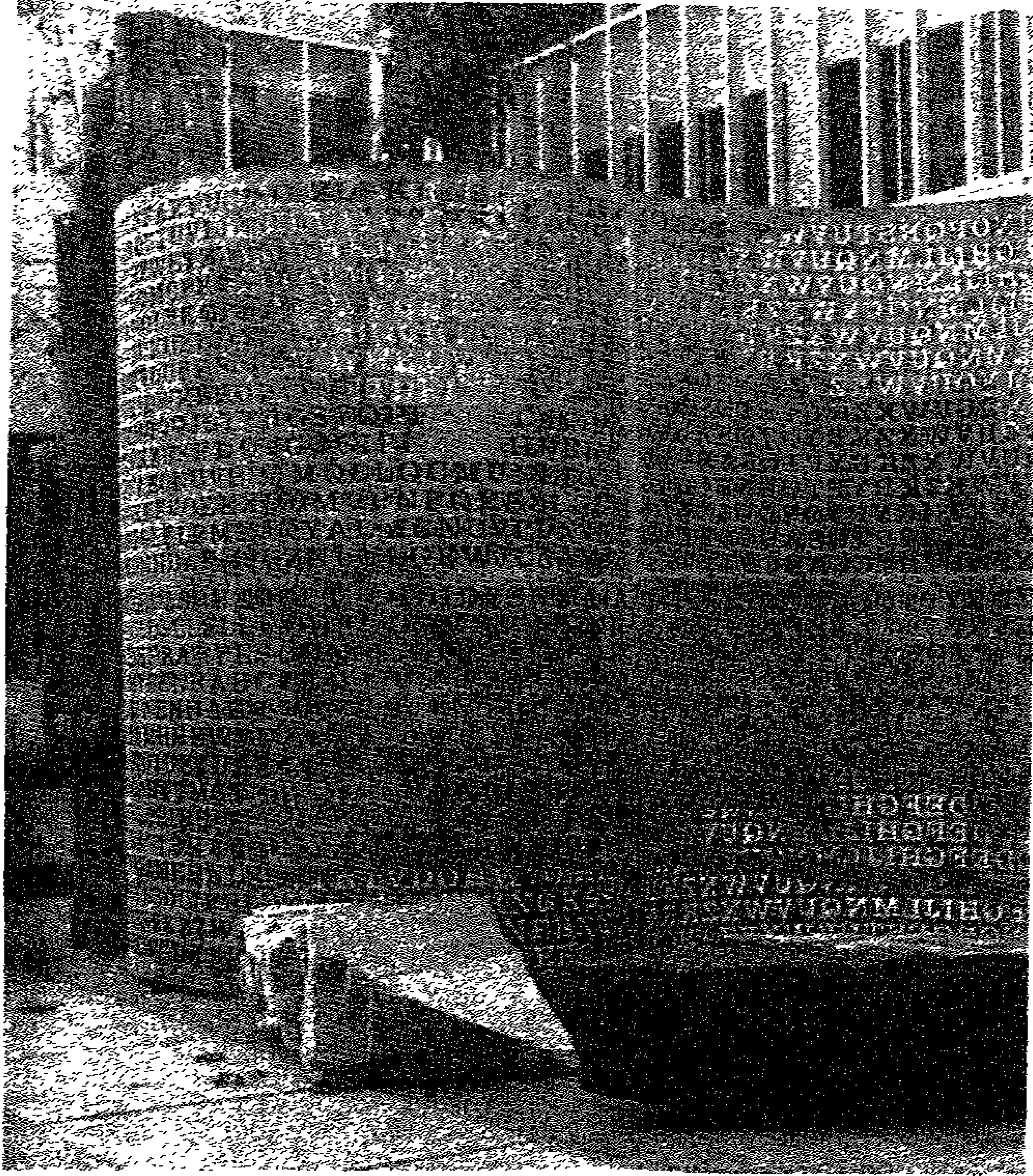


رواق و . م . م الرئيس ويضم نصباً تذكارياً لضحايا و . م . م من الضباط .



نصب وليام دونافان الى اليسار عند دخولك رواق و . م . م . طالب دونافان بايجاد وكالة تجمع حولها جميع الإستخبارات

التركيب الـذي أقامـه جيم سانبـورن في الفناء الـواقع بين بنايتي الوكـالة القديمة والجديـدة والــذي يحمل رســائل سرية بــرمــوز مطبوعة على ألواح نحاسية تشير الى رسالة و.م.م.

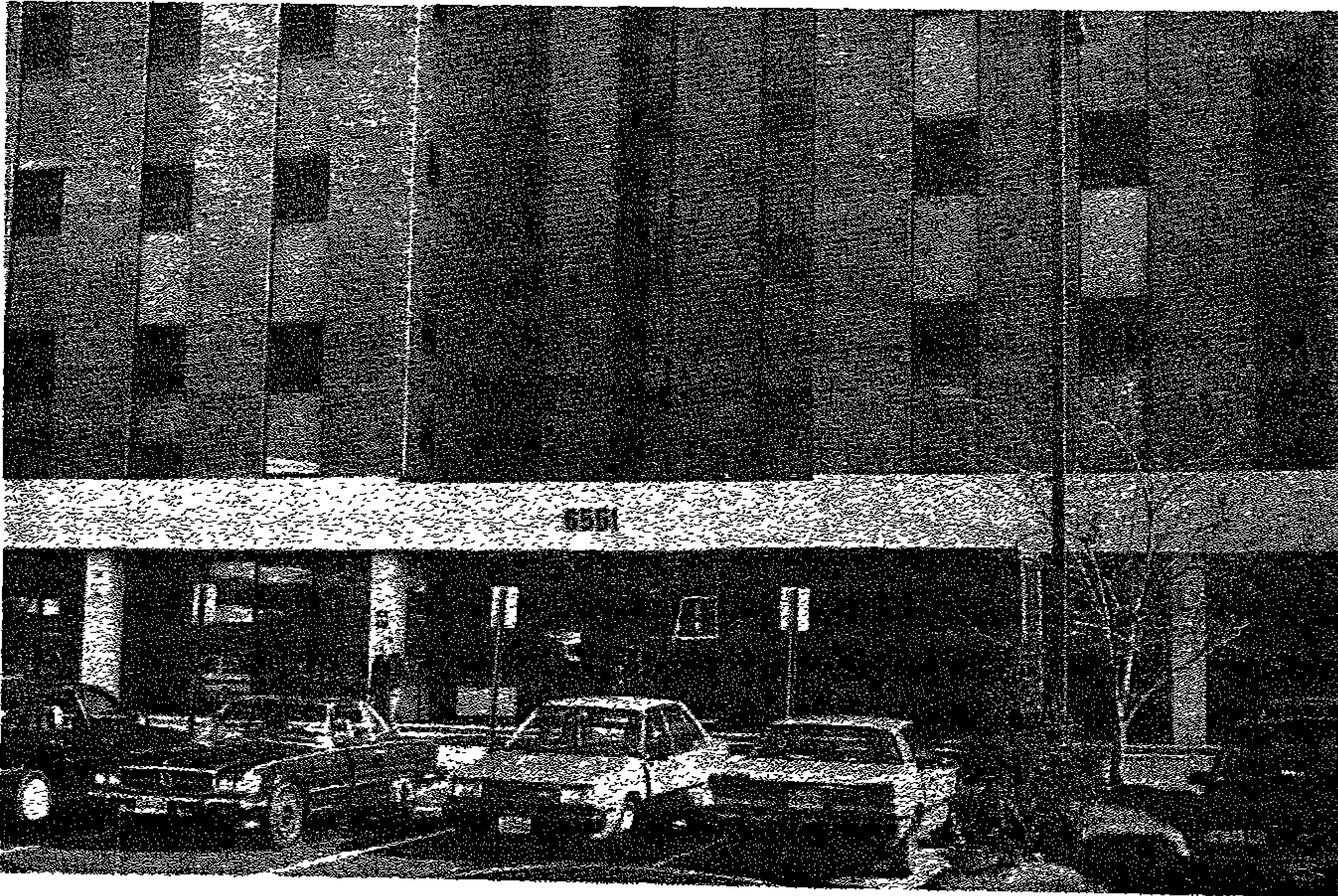




وليام وبستر يلتقي نانسي ماك كريغر وطفلها في أيار عام ١٩٨٧ .



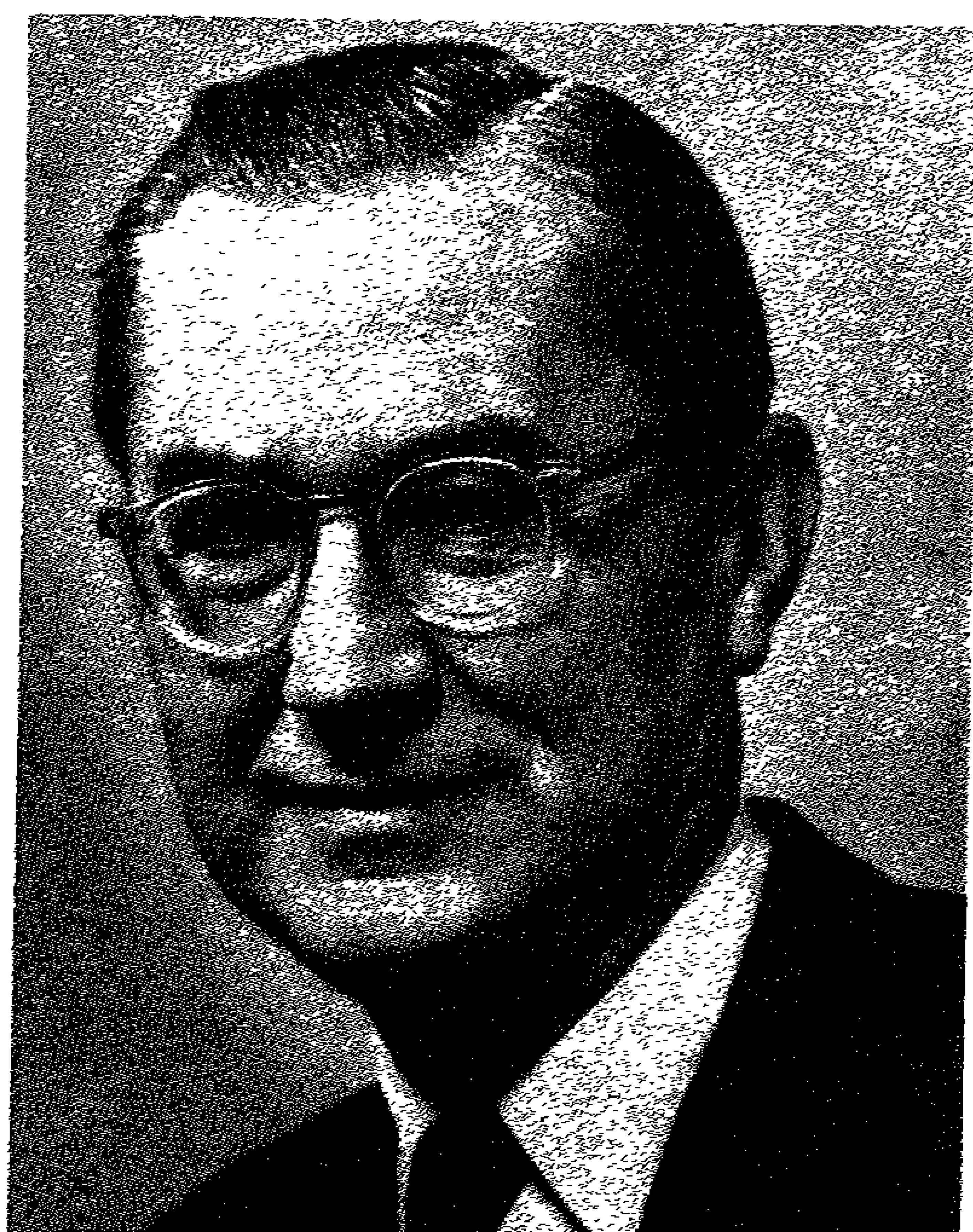
وليام وبستر يجهز وليام بيكر قبل مغادرته و.م.م الى مكتب التحقيقات الفيدرالي بمعدات شارلوك هولمز.



جندت و.م.م ومعها FBI ضابط الـ KGB في السفارة الروسية في أمريكا وبينما كانا يعملان خارج البناية في ٦٥٥١ ساحة لويسدال- سبرينكفيلد- فرجينيا.



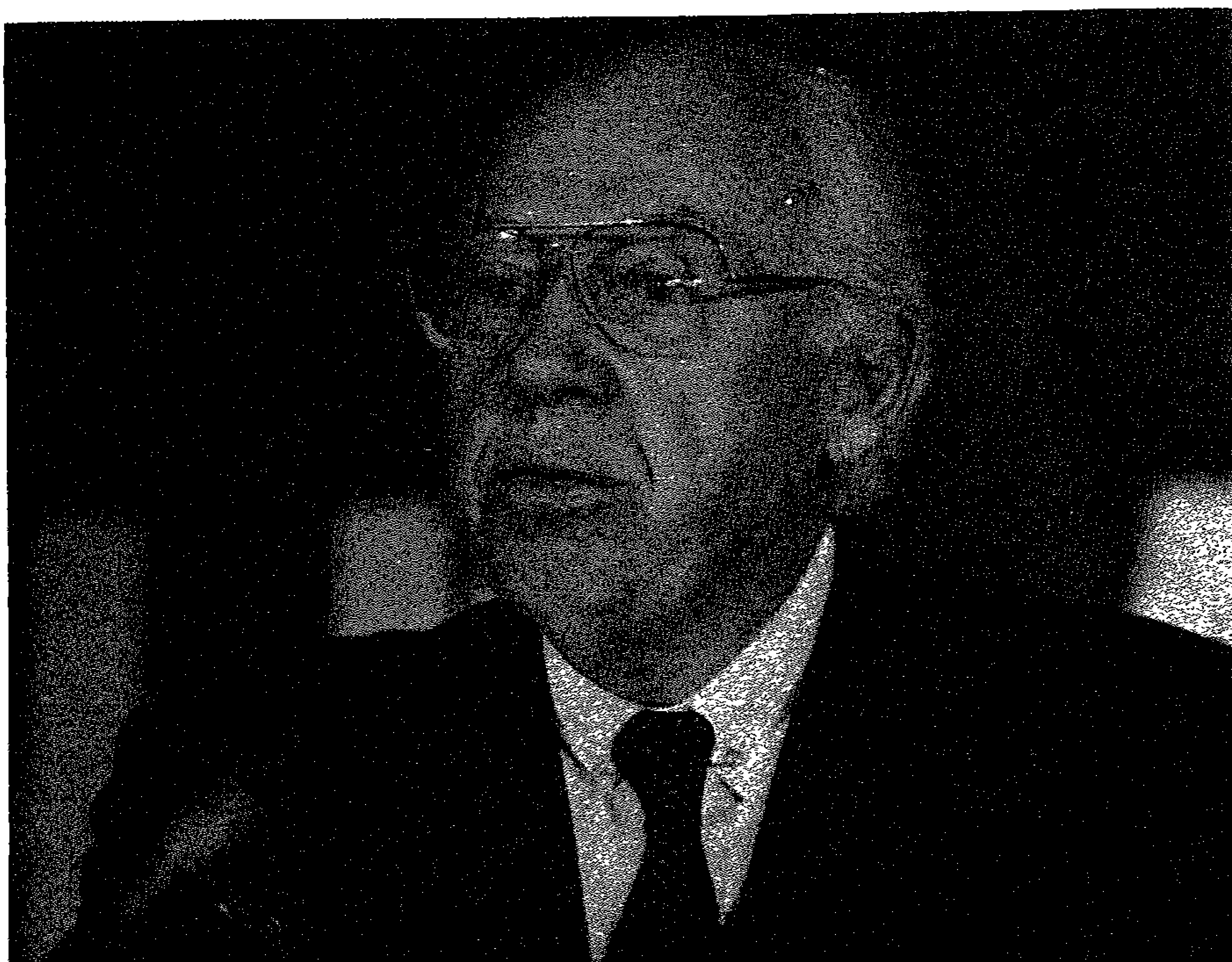
شعبة المصادر الخارجية التابعة لـ (و.م.م) والتي تجند الديبلوماسيين وضباط الإستخبارات في منطقة واشنطن من جناحها في ٧١٠١ ونسكونسن- باثيزدا- ميريلاند.



وليام كولبي: بدأ بالإصلاحات داخل الوكالة المركزية.



ستانسفيلد تيرنر : أكد على المعلومات الفنية .



وليام كيسي : ورط و . م . م في فضيحة ايران - كونترا .



جورج بوش، الـذي كان نفسه مديراً للإستخبـارات المركزية، يلتقي وليام وبستر في بناية الـوكالة الجديـدة في أيار عـام ١٩٩٠ على غداء عمل. الى اليسـار ريتشـارد كير نائب مـدير الإستخبـارات المركزية.



الرئيس جـورج بوش يصفق بعد أن أدى روبرت كيتس اليمين أمـام قاضي المحكمة العليا سـاندرا اوكنر بصفته المدير الخامس عشر لـ(و.م.م)، في الثاني عشر من تشرين الثاني عام ١٩٩١.

الفصل الحادي والعشرين

١٤-٠٠

عندما تقترب ساعة ترشيح شخص ما ليتبوأ منصب مدير الإستخبارات المركزية، تطمئن جميع مديريات وكالة المخابرات المركزية أنفسها بأمل أن المنصب سيحظى به أحد أبنائها. فإذا ما وقع الإختيار على محلل سابق في الوكالة، تجهمت وجوه موظفي مديرية العمليات. وإذا ما وقعت ايماءة الرضا على ضابط عمليات، ساور الحزن باقي المديريات.

لم يكن وليام وبستر، بصفته خارجياً، ممثلاً لأي من مديريات الوكالة شأنه شأن أغلب مدرائها السابقين. وعلاوةً على ذلك، كان وبستر وعلى مدى عشر سنوات مديراً لمكتب التحقيقات الفيدرالي الذي تجمعه ووكالة المخابرات المركزية خصومة غريزية منذ مهديهما. إن عملهما متشابه بيد أنه يختلف. فأنت إذا أتيت بشخص ما من مكتب التحقيقات ليرأس الوكالة المركزية تكون كمن جاء برئيس تحرير صحيفة (نيويورك تايمز) ليترأس هيئة تحرير صحيفة (واشنطن بوست) منافستها اللدودة.

إن مجرد فكرة أن باستطاعة قاضٍ سابق إدارة نشاطات وكالة تنطوي مهمتها على خرق قوانين البلدان الأخرى هي كمَن ينثر شظايا على ركائز كثير من مكاتب مديرية العمليات. فمدير الوكالة السابق وليام كيسي قد ساند وبقوة النشاطات السرية برغم كل الجروح التي خدش بها سمعة الوكالة.

لقد أحسن وليام وبستر صنيعاً في إدارته لمكتب التحقيقات الفيدرالي ووضع الأمور كل في نصابها، مانعاً بذلك أية إساءة محتملة مثل (كونبيليرو)، وهي البرنامج الذي أقره إدجار هوفر وتضمن فتح الرسائل بصورة غير شرعية لأجل الحصول على معلومات عن الحركة المناهضة للحرب. وهو قد نقل برنامج المكتب للإستخبارات المضادة من موضع السبات والإهمال الى آخر لقي فيه تقديراً واحتراماً كبيرين داخل أروقة مكتب التحقيقات الفيدرالي. وهو قد وافق على بعض من العمليات اللاذعة التي كانت دوماً محط خلاف، مثل عملية (ابسكام) التي استهدفت أعضاء الكونغرس. إن مكتب التحقيقات الفيدرالي في عهد وبستر لم يصل قط في إساءاته الى نقطة اللاشرعية، حين تجاوز سلطته في التحقيق مع (لجنة التضامن مع شعب السلفادور). فهو قد بدأ في التحقيق بعد تلقيه مزاعم (اتضح بعدئذ أنها غير صحيحة) أن اللجنة متورطة في دعم الإرهاب.

عزز وبستر دوماً مبدأ توظيف وترقية عملاء المكتب من الأقليات الأخرى برغم ما أبداه السود والإسبان من تشك بسبب العنصرية التي تعرضوا لها أيام ولاية وبستر. فقد ارتفع عدد العملاء السود للفترة ما بين ١٩٧٨ الى ١٩٨٧ من (١٨٥) الى (٣٩٣) والعملاء الإسبان من (١٧٣) الى (٤٠٠). كما ارتفع عدد عملاء المكتب من النسوة لنفس الفترة من (١٤٧) الى (٧٨٧).

ولد وليام وبستر في السادس من آذار عام ١٩٢٤ في سانت لويس، ودخل المدرسة الثانوية في (وبستر كروفر). تخرج من كلية (امهيرست) عام ١٩٤٧ ومن مدرسة القانون -جامعة واشنطن- عام ١٩٤٩. خدم برتبة ملازم في البحرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية وفي الحرب الكورية. مارس القانون في سانت لويس وعمل بمنصب المدعي الأمريكي للضاحية الشرقية في ولاية ميسوري عام ١٩٦٠. في عام ١٩٦١ عاود وبستر مزاولة القانون، وفي عام ١٩٧٣ تم تنسيبه الى

محكمة التمييز الأمـريكية، ثم اختاره الرئيـس كارتر، برغم أن وبستر كـان جمهورياً، مديراً لمكتب التحقيقات الفيدرالي وذلك عام ١٩٧٨ .

بعد أن شارفت فترة إدارته لمكتب التحقيقات الفيدرالي والبالغة عشر سنوات على الإنتهاء، شرع وبستر يتفحص عـدداً من العروض التي قدمتها اليـه كبرى مؤسسات القانون الأمريكية للعمل لديها. في هذه الأثنـاء عرض عليه جورج بوش، الذي كان آنـذاك نائبـاً للرئيس ريغـان، منصب مديـر المخـابرات المركـزية. بعـد وفاة زوجتـه دروسيـلا عام ١٩٨٤ ، دعى بـوش وزوجته (بـاربرا) وبستر للعيش معهما في منـزلهما الكائن في (كينيـا نكبورت). لقـد تعود كـلا الرجلين أن يقضيـا عطلة نهايـة الأسبوع يلعبان التنس.

كان واضحاً، برغم أن الرئيس ريغان لم يقدم ذلك العرض، أن الإختيار قد وقع على وبستر لما يتمتع به من سمعة في فرض النظام على كثير من الوكالات المضطربة. إذ تـورطـت و.م.م إيـان عهـد كيسي في فضيحـة ايـران-كـونترا، وفشلت أن تطلع الكونغـرس بعمليات زرع الألغـام في موانيء نيكـاراغوا. لقـد بدأت و.م.م تعكس صورة وكالة نخرتها الفوضى وتلك نتيجة حتمية لولع كيسي في تحدي الكونغرس.

يشهد الماضي أن وبستر كان محامياً من الدرجـة الاولى وقاضياً لا يختلف اثنان على نزاهته. فهـو إذن من تحتاج الوكالـة كي يعيد اليها نظامهـا. فعلى سبيل المثال، طلب البيت الأبيض إبان فترة رئاسـة كارتر من مكتب التحقيقات الفيـدرالي أن يتولى مهمة حماية شاه ايـران عندما قدم الى الـولايات المتحدة لمعالجة السرطـان. تساءل وبستر إن كان مكتب التحقيقـات الفيدرالي يتمتع بـالسلطة القـانونية ليستجيـب لطلب كهذا، الأمر الذي أرسل بمحامي البيت الأبيض أن يقلبوا أوراق كتب القانون حتى وجدوا التخـويل القانـوني الذي يسمح للمكتب قـانونـاً بمساعـدة بقية الـوكالات في حمايـة الشخصيات الأجنبية المهمة. هنا فقط امتثل وبستر لطلب البيت الأبيض.

آثـر وبستر، كي يؤكـد حقيقة انـه الخارج عن الـوكالـة الذي لا يتحمل أخطـاء ماضيها، أن يكنيه الآخرون بـ (القاضي).

قـال أحد مسـاعـديـه: «لو ذهبت وتفحصـت خلاصـة ملفـات مـدراء وكالـة المخابـرات المركزية لما وجدت أن الأمثـل بينهم هو بل وبستر. ومع ذلك فإني لا أظن أن هنالك من هـو أهل لهذا المنصب في رحاب البلاد غير بل وبستر عندمـا اختاروه في كانون الثاني عام ١٩٨٧».

في السـادس والعشرين من أيـار عـام ١٩٨٧، أمسى وبستر المديـر الـرابع عشر للمخـابـرات المركـزيـة. وقـد أقسم امـام قـاضي المحكمـة العليـا (لـويس بـاول): «الإخلاص لـدستور وقوانين بلادي». هنـا علق وبستر: «اليوم أغادر مـؤسسة هي فخر للحياة الأمريكية (مكتب التحقيقات الفيدرالي) لأنضم الى أخرى نفخر بها، إنها وكالة المخابرات المركزية».

رفض وبستر أن يخضع لاختبار كشف الكذب كجـزء من عملية التعيين، غير أنه خضع لما يعرف باختبار إعادة كشف الكـذب بعد أن تبوأ منصبه، وهو امتحان يجرى لجميع الموظفين بعـد تعيينهم ويتضمن نفـس أسئلـة الإمتحـان الأول بـاستثنـاء تلك المتعلقـة بـأسلوب الحيـاة. اعتبر وبستر هـذا الإختبار قضيـة مبـدأ، فهـو قد رشحـه الرئيس وصادق عليه الكونغرس، وهو يدرك أن حياة الوكالة ومماتها في اختبار كشف الكذب.

عاش وبستر، بعـد وفاة زوجتـه، حياةً اجتماعيـةً نشطة، فكـان يلتقي كثيراً من النسـاء الفاتنـات، وكان لـه بعض الأصـدقاء أيضـاً أغلبهم من أتبـاعه من المحـامين والقضاة الذيـن كان يبعث اليهم، مازحاً، بـرسائل يوقع عليها بـالرمز (١٤-٠٠)، مضاعفاً رقم جيمس بـوند السري كدلالة أنه الـرئيس الرابع عشر لوكالـة المخابرات

المركزية. الا أن وبستر لم يكن نمـوذج الرجل الذي تفضل اصطحابـه كي تحتسي معه الخمر. لقد مقت، بصفته مؤمناً بالعالم النصراني، الكحول برغم أنه كان يحتسي احياناً كأسـاً من النبيـذ الأبيض في الحفـلات. وهــو لم يقصـد قط طبيبـاً وكـذلك زوجتـه دروسيلا، التـي كانت من المؤمنين بـالعالم النصراني أيضـاً، وتوفيت بسرطـان الثدي دون أن تتلقى اي علاج طبي. وفي عمله، لم يكن وبستر من الطراز الذي يخلع سترته كما يفعل الآخرون. لقد زرع خوفاً منه واحتراماً له، فذلك هو السبيل الذي أراد، أن يكـون قـاضيـاً يقف بعيـداً عن المتقــاضي وأن يقـرأ كل المنـاشـدات ويستمع الى كل المجـادلات ولكنه من يصـدر أخيراً القرار النهـائي. إنه نمـوذج الأسلوب الـذي لا يتوقع منـه المرء أن يكسب الأصدقاء ويفـوز لنفسه منهم بـالوفاء، بل إنـه سينال على الأرجح إعجاباً تضمره الضغينة.

اتكأ وبستر، شأنـه شأن القضاة، كثيراً على مـا لـديه من كتبـة، المعروفين بـاسم (المساعدين الخاصين)، ليغربلوا له المعلومـات ويأتوه بآرائهم حولها. لقد كان لجميع مدراء و.م.م مساعدين خاصين، لكن أياً منهم لم يرمي حمله هكذا ثقيلاً عليهم، ولم ينتهج مثل هـذه العملية المبرمجة في النظر الى القضـايا ومن ثم اتخاذ القـرار بشأنها. إن وبستر قـد اختـار كتبتـه من محامين تقـول خلاصـة معلـومـاتهم أنهم ولـدوا محامين. فجميعهم قد تخرج بتقدير شرف او امتياز من جامعات هارفر او بيل او كولومبيا.

أراد وبستر من مسـاعديه أن يقـرأوا المادة ويتحققوا منهـا ويبحثوا فيهـا ومن ثم إبداء التـوصية بشأنها. وهكذا كـان يفعل مع كتبته في المحكمة حيث خـدم. وهو في استعراضه لتوصيـات مساعديه كثيراً ما تساءل: كيف تعـاملت مع مثل هذا الأمر في الماضي؟ ثم يسأل: لماذا إذن تفعلها بهذه الطريقة؟».

هنا يقول (روسل برومر)، الذي كان أحـد مساعديه ثم أصبح مستشاراً عاماً في الوكـالة: «عليك أن تحظى بـالإجابـة لكلا السؤالين وأن تكـون إجابـة سليمة. فإذا

غيرت نهجاً سابقاً فتوقع إذن السؤال التالي: (لماذا تغير ذلك النهج؟)».

وأبعد من ذلك، أراد وبستر من مساعديه أن يتطلعوا الى المقترحات المقدمة بعين ثاقبة كي يتحسسوا، بصفتهم من خارج الوكالة، إن كانت تلك المقترحات ستعني شيئاً للشعب الأمريكي. وعليه قرر وبستر، كي يحقق هذه الغاية، الا يمكث معه مساعدوه سواءاً كانوا من مكتب التحقيقات ام من الوكالة المركزية أكثر من سنتين، لظنه أن هذا سيمنع عقولهم أن تتشرب البيروقراطية.

أخبر وبستر (جون سلينجر)، الذي كان مساعده الخاص في الوكالة المركزية حتى عام ١٩٩١: «أريدك أن تسأل كل مرة يأتيك فيها شيء جديد: لماذا كانوا يعملونها بهذه الطريقة؟ وعندما تعرف السبب يمكنك الذهاب».

تولى وبستر زمام القيادة في الوكالة المركزية بعد أسابيع من التعايش في مديرياتها، وكان أول ما واجهه هو ذلك العداء الصارخ حيال الكونغرس. إنها مفاجأة قاسية. لقد حثه ضباط الوكالة، استناداً لقول أحد مساعديه، الا يكون مكشوفاً مع الكونغرس.

إنهم أخبروه: «حسن أيها القاضي، أنت راغب عن قول هذا•• إنك لا تستطيع أن تقول هذا•• لتقل هذا الشيء فقط إذا سألوك ذلك السؤال».

غالباً ما رفع وبستر صوته على أتباعه إن هم أغضبوه. بيد أن إمارة الغضب المشؤومة، سيما لأولئك الذين خبروه جيداً، تتجلى حين يصبح لون عينيه أزرقاً فولاذياً وتثخن شفتاه حتى ليبدو فمه وكأنه اختفى. لقد وقع ذلك بضع مرات حين أفصح أنه لا يطيق صبراً لكل ما يتعدى الصراحة النزيهة والتامة.

قال أحد مساعديه السابقين: «إن أكره ما لديه هو أن يرى الوكالة المركزية تزدري

الكونغرس. فهو يرى ذلك سخافةً وقذارة وليس في مصلحة الوكالة وينم على وجود سلطة غير نظيفـة. لقد ضاق ذرعاً من امتعـاض الوكالـة أن يشاركها الكونغـرس ما لديها من معلومات».

لقد أخبر ويستر بعض التـابعين الذين طلبـوا منه وبإصرار الا يحيط الكـونغرس علماً بمشكلات خاصة: «إنكم مخطئـون. وإنني لأرغب أن أخبرهم بذلك وها أنا ذا ماضٍ كي أخبرهم به».

رفض ويستر أن يقاضي أيـاً من منتسبي الوكالة المركـزية إذا ما أدلى بشهادتـه أمام الكونغرس كما حصل مع ريتشارد هيلمز عندما سأله السيناتور (ستورن سيمنغتون): «هل حاولت أثناء وجودك في وكـالة المخابرات المركزية الإطـاحة بحكومة تشيلي؟». أجاب هيلمـز: «كلا سيـدي». كما أنكر هيلمـز في شهادتـه أمام لجنـة مجلس الشيوخ للعلاقات الخارجية أن تكون الوكالة قد عبرت أموالاً الى خصوم سيلفادور آليند الذي أعلن نفسه ماركسياً وانتخبه الشعب التشيلي رئيساً لهم.

وحقيقة الأمـر هو أن وكـالة المخابـرات المركزية حـاولت، بتوجيـه من الرئيس نيكسون، في أيلول من عـام ١٩٧٠ القيام بانقلاب عسكـري في تشيلي لمنع تأكيد فوز آليند في الإنتخابات الـرئاسية التشيلية. وقد أنفقت الوكالـة لهذا الغرض ثمانية ملايين دولار.

قال هيلمـز مؤخراً: «لقـد فكرت في الإجابـة ملياً، فلم أجـد أمامي غير السبيل الذي اخترت».

غير أن ويستر أخبر الوكالة أن ثمة سبيل آخر.

يقـول ويستر: «لا ينبغي عليك أن تكـون مخادعـاً او أن ترقص حـول السـؤال.

عليك أن تفهم أولاً ما الـذي يشاؤون أن يعرفوه، ولا تحدد نفسك بما طـرحوه عليك من سـؤال تماماً. ولكن إذا سألـوك شيئاً لا ترغـب أنت في الإجابة عليـه او أنك غير مخول أن تخبرهم به لأنك قد تفضح المصدر، فعليك بالقول: (انني غير مخول أن أقول ما تسألون حوله)، ثم عد أدراجك الى مقر الوكالة (لمزيد من التوجيه)».

من التغييرات التي أحدثهـا وليام وبستر، بـالإضافة الى إرسـائه دعائم مـركزي الإستخبـارات المضـادة ومكـافحـة المخـدرات، أنـــه بـرمج صيغ المصـادقـات على النشـاطـات السريـة. اوكلت في الماضي مهمـة دراسة مقترحـات العمليـات السريـة والمراقبة عليها بلجنة تعـرف باسم (مجموعة مراجعـة النشاط السري). الا أن موافقة اللجنة، على ايـة حال، كانت مجرد مـوافقة روتينية. فهي تـوقع على مقترحات تحمل بـاليـد من مكتب لآخـر. كما لم يرغب وبستر ان يخفـي النشاط السري لعلمـه أنـه لن يستطيع ذلك وإن أراده. أمـا المقترحات ذات الطبيعـة الهامـة فمنشؤهـا مجلس الأمن القومي والرئيس. وكل مـا كانت تحتاجه الوكـالة المركزية أن تعرف، بـاعتبارها أداة تنفيذ للسيـاسة، مـاهية تلك السياسـة قبل أن تفعل أدنى شيء. هذه المعـرفة تتضمن التساؤل حـول إمكانية الشروع بهذا النشـاط السـري والشكل الذي سيتخـذه. ويقدم البيت الأبيض ومجلس الأمن القـومي المقترحات لوكـالة المخابـرات المركزيـة وعليها تنقية الموجة. الا أن وبستر أراد أن يتأكـد دوماً أن هذا المقترح او ذاك قانـوني وله جنيه من الثمار. وهو قـد أراد أن يمر النشاط على مجمـوعة من الأسئلة منهـا: هل يقع هذا النشاط ضمن القانون الأمريكي؟ مـاذا يحدث لو تفشى أمره للعامة؟ .. هل سيتفهم العامة ذلك؟ .. وأخيراً: هل سينجح؟؟؟.

أعـد مسـاعـــدو وبستر كتيبـاً يـوجـز بـرامـج النشـاط السـري بتحليـلات تخدم أغراضهم، كان الغرض منه أن يتاح أمـام وبستر دليل مرجعي يحفظه في مكتبه ويعود اليه أنما طفق سؤال جديد يتحتم الإجابة. أثارت الفكرة سخط مديرية العمليات التي

أدركت بـوجود هـذا الكتيب سبباً لتسرب المعلومـات. ولكن مـا إن وصل الكتيب مكتب وبستر حتى طمع كل فـرد أن ينـال منـه نسخةً كـدلالـة زهو بما هـو عليـه من منصب. غير أن من تسلم نسخـةً من الكتيب هم مـدراء المديريـات والمستشار العـام للـوكالـة المركـزية والمفتش العـام لها فقط. وجـد وبستر، لا سيما بعـد غزو العـراق للكويت، أن مديـرية العمليات التي مزقتها مرافعـات لجنة تشيرش وفضيحة ايران-كونترا قد أضحت جد حذرة، حتى أنها أفقدت نفسها عدة فرص لتجنيد عملاء لها. وخير مثال لهذا القول هـو العراق حيث لا تمتلك فيه الوكالة المركـزية عملياً اي عميل ذو قيمة كي ينقل لها شؤون صدام حسين.

وليس ثمة سبيل لتقييم أداء وكـالة استخباريـة ما في تجنيد العمـلاء. وقدر تعلق الأمر بصدام حسين، فقـد تعثرت الوكالة المركزيـة بحقيقة أن صدام حسين لم يسمح لغير أفـراد عائلتـه وأولئك الـذين منحوه الإخـلاص منذالطفـولـة أن يدخل دائرتـه الداخليـة. كما لم يشأ وبستر أن يمتطي ضباط و.م.م مخاطـر غير ضرورية في اختراق مثل هـذا البلـد في ذات الوقت الـذي أيقن فيـه بـوجود أرض وسيطـة لهذا الغـرض ستجعل من جـواسيس الوكالـة عدوانيين دون أن يتحـولوا الى رعـاة بقر. لقـد أشار وبستر في حديثه مع موظفي مديرية العمليات أنه لم يعترض قط على مقترحات النشاط السري او العمليـات الإستخباريـة الكبرى. لقد خـاطبهم بقولـه: «أريد من رجـال مديرية العمليات أن يركبوا المخاطر لا أن يبحثوا عنها».

دعم وبستر كثيراً، خصوصاً بعد أحداث الكويت، تعلم اللغات الأجنبية. وهو كي ينهض بعملية التدريب بشكل عام، سعى نحو ترقية الضباط الذين امتهنوا حرفة التعليم في الوكالة المركزية. كما أكد على أهمية كتـابة التقارير عن القضايا الإقتصادية، وأراد اعتماداً أكثر على الوكالة وأن تكون أكثر وضوحاً في تقاريرها. لقد مقت الألفاظ المركبة وكـره كلمة (يشعـر). إن بمقدور الفـرد أن (يؤمن) او (يقـول) او يستنتج)،

ولكن ليس بمقـدوره أن (يشعر) أبـداً. وقد كتب يقـول: «نحن لا ندفع أجـوراً كي تشعرون. نحن ندفع كي تفكرون».

إن المشكلة الأكبر التي واجهها وبستر في الوكالة المركزية هي حقيقة إن كل مديرية كانت كأنها إقطاعيـة لجماعة معينة، وأكثر مـا ينطبق هذا القول على مديـرية العمليات التي دوماً مـا ساورتها الشكوك حول مـديرية الإستخبارات، التي امتعضت بـدورها من فكرة أنها لا تنال ثقـة مطلقة. بينما استاءت مديريتي الوكالـة الأخريين من حقيقة أنهما مغلقتان على نفسيهما.

انطـوت رغبـة وبستر في هـذا السيـاق على إلقـاح تهجيني أكثـر، وبـدأ يطـوف بالموظفين حتى يعمل واحدهـم في مديريتين او ثلاثة خـلال حياته العملية في الـوكالة المركزيـة. وكانت النتيجـة أن أياً من المديـريات لم تكن تـواقة إن تشـاطرهـا الأخرى معلوماتها. هنا وجد وبستر ومساعدوه أن من النافع، برغم أهمية السرية، أن يعززوا الأهميـة الجماعية وأن يعيقـوا الأعمال الفـرديـة. لقد حجبـوا عن المسـاعديـن أحيانـاً معلومات شعر المساعدون أنهم بحاجة لمعرفتها.

قرر وبستر أن المفتش العام للوكالة غير مخول برسم سياساتها، وهي الحقيقة التي أكـدتها فضيحة ايـران-كونترا. كـان هذا المنصب، تـاريخياً، ملكـاً لضباط الـوكالـة الودودين الـذين هم في أواخر حياتهم العمليـة ولا يرغبوا أن يتركـوا القارب. فإذا لم يتقبل مديـر المخابرات المركزية نقـد المفتش العام، أزاحه من منصبـه. وعودةً الى عام ١٩٦٠، وبعد مراجعـة مكتب الأمن، أوصى المفتش العام أن على وكالـة المخابرات المركزيـة أن تعد (قصةً سريـة) إذا ما افتضح أمـر برنامجهـا السري بفتح البريد. الا أن تقرير المفتش العام لم يتطرق البتة الى حقيقة أن البرنامج غير قانوني.

شـدد وبستر على أهميـة عمل لمفتش العـام حتى قبل أن يبتـدع الكونغـرس هـذا

المنصب. وقد اختـار وبستر (وليام دونيلي)، الضابط الشديد ذي الهيبـة والذي عمل سابقاً مستشاراً له، ليشغل هذا المنصب. في ذات الوقت، لم يحبذ وبستر الطريقة التي اقترحها الكـونغرس. إذ ارتأت لجنـة المراقبة، استجابـةً لفضيحة ايـران-كونترا، أن يختـار الرئيس نفسـه الشخص الذي سيتـولى منصب المفتش العـام وأن يصادق عليـه الكونغـرس، وبذلك سيكون قرار فصلـه من منصبه من صلاحيـة الرئيس فقط. كما أراد الكـونغرس أن يطلع المفتش العـام على التقاريـر التي يطلع عليهـا المدير وأقسـام الوكالة ذات النفوذ. وجد وبستر في المقترح عاراً على منصبه وأدائه. فهو مدير الوكالة المركزية وهو المسؤول عن خط سير الوكـالة وفقاً للقوانين. إنها قضية مسؤولية. فإن عجز عن أداء مهمتـه فعليكم أن تستبدلـوه. لكنه أصر أن يكون ارتبـاط المفتش العام المباشر به وليس بالكونغرس او الرئيس. إن أكثر ما أقلق السيناتور (ديف مكاردي)، الديمـوقراطي من ولايـة اوكلاهـوما الذي قـاد حربـاً لصالح تشريع قـانون منصب المفتش العام، هو عجز الكونغرس في الحصول على التقارير التي يعدها المفتش العام.

فهو يقول: «أردت أن أعرف مدى فعاليـة تلك التقارير، وما جحم الدعم الذي يمكنها تقـديمه. وكلما تعمقت فيهـا أكثر كلما ازددت قلقـاً. ليس ثمة سبيل لنـا كي نكتشف تلك التقارير.

- دعني أرى بعض تقاريركم.
- لا تستطيع أن تنال منها.
- هل أستطيع أن أحصل على فهرس كي أختار منها؟.
- كلا.».

يضيف مكاردي: «أعتقد أن وبستر قد قلب الموقف عاليه سافله. لقد أخبرته أن لنا الحق في الإطلاع على التقارير. ولم أقصد التقارير المتعلقة بالأفراد وإنما تلك المتعلقة بالسياسـة العامة للوكالـة، وأن نعرف كيف تعمل شعبة السوفييت. فأجـابنا أننا غير

مخولين بذلـك. وإني لا أرى سبباً لذلك الـرفض سوى مجرد ضيق أفـق إداري. إنه لم يشأ أن يغزو أحد سلطته التنفيذية».

وفي نهاية المطاف، خسر وبستر المعركـة وسن الكونغرس تشريعاً بتأسيس مكتب مستقل للمفتش العـام في وكالة المخـابرات المركـزية. وأول من تـولى هذا المنصب في تشرين الثـاني ١٩٩٠ هو (فـريدريك هتر)، المحـامي والضـابط السابق في الـوكالـة المركزية والذي كان من اختيار وبستر.

الفصل الثاني والعشرون

المحامون

احتل مكتب المستشار العام، ولفترة طويلة من عمر الوكالة، موقعاً مبهماً داخل الوكالة ولسبب وجيه هو أن عمل وكالة المخابرات المركزية ينطوي بالأساس على خرق القوانين وليس الخضوع لها. وكان من السهل، طالما أن الوكالة المركزية ستخرق قوانين الدول الأخرى، أن يضمحل الفارق بين القانون الأمريكي والقانون الأجنبي. ويبدو أيضاً أن الكونغرس بتأسيسه للوكالة قد قدم دعماً لفكرة أن تكون وكالة المخابرات المركزية قانوناً بنفسها حين أشار فقط الى تفاصيل هزيلة عن ماهية عملها. فهي ستتولى، بالإضافة الى مركزة المعلومات الإستخبارية، إخطار مجلس الأمن القومي بالقضايا الإستخبارية وحماية مصادر الإستخبارات وطرائقها، وأن لا تلعب دور شرطي او أن تقوم بوظائف أمنية في الداخل، وأن (تنجز مثل هذه الوظائف والواجبات المتعلقة بالإستخبارات ذات التأثير على الأمن القومي بتوجيه من مجلس الأمن القومي بين الفينة والأخرى).

إن اي مراجعة للتاريخ التشريعي لوثيقة عام ١٩٤٧، ستفصح عن حقيقة أن الكونغرس قد أراد من الوكالة أن تجمع الإستخبارات بالضلوع في أعمال تجسسية خارج الولايات المتحدة الأمريكية. غير أن قانون الوكالة لم يتطرق قط الى النشاط السري، ولم يضع قيوداً في اي بند آخر على النشاطات الجديدة للوكالة.

شارك (لورانس هوستون)، المستشار العام الأول للوكالة، في صياغة مسودة

قانون تأسيس الوكالة. واستناداً الى رأيه، فإن الفقرة التي سمحت للوكالة بالإضطلاع بـ (مثل هذه الوظائف) بتوجيه من مجلس الأمن القومي إنما تعني جمع الإستخبارات فقط وليس العمليات السرية. كان هوستون أول من اعترف أن الوكالة، بتسخيرها تلك الفقرة لتبرير نشاطاتها السرية، قد وسعت من الهدف الأصلي لها.

يقول هوستون: «لم نتطرق قط خلال صياغة مسودة القانون، وبعد عرضه على الكونغرس، وخلال مداولات الكونغرس الى مصطلح النشاط السري. كان كل الأمر هو الإستخبارات. وكانت مهمة و. م. م الا تألو جهداً كي تجمع أفضل الإستخبارات وتنسقها، ثم تقدم تقديراتها وتقييماتها الإستخبارية. كان هذا ليكون (إنتاجها الوحيد)».

ثم كتب هوسوتن، بعد أن تم سن القانون وبتوجيه من إدارة الرئيس ترومان، رأياً جاء فيه أن بمقدور وكالة المخابرات المركزية الشروع بنشاط سري إذا ما أعطاها الرئيس توجيهاً بذلك، وموّلها الكونغرس بالأموال اللازمة لتنفيذ العملية.

يقول هوستون: «لم أكن شخصياً سعيداً بذلك. ولكن عليك أن تتذكر الضغط الكبير كي تعمل الأشياء [الضغط الشيوعي]».

وعليه طفقت و. م. م تخطط مبكراً لعمليات الإغتيال وخرق القوانين الموجودة متذرعةً دوماً بمتطلبات الأمن القومية، ومستفيدة من المراقبة الهزيلة عليها وقلة القيود القانونية ضدها. ونادراً ما أعلمت و. م. م المستشار العام بنشاطاتها السرية، والتي أقرت فيما بعد لجنة تشيرش ولجنة روكفيلر بأنها إساءات. فالمستشار العام لا يعرف، على سبيل المثال، شيئاً عن خطط اغتيال فيدل كاسترو، وهو وإن خبر بعض الشيء في حالات نادرة، احتج المحامون وتوقف النشاط.

ففي مسعى لها لتشخيص مهربي المخدرات، بدأت و . م . م مطلع عام ١٩٧٣ بالتنصت على المكالمات الهاتفية بين الولايات المتحدة وأمريكيا اللاتينية. هنا أشار عليها (جون ورنر)، الذي كان نائب هوستون آنذاك، أن هذا العمل يمثل خرقاً للحريات الأمريكية، فأوقفت الوكالة تلك الممارسة. وقبل هذا، اعترض ورنر على قرار ريتشارد هيلمز الذي صادق بموجبه على سجن يوري توسنكو، الضابط برتبة رائد في المخابرات الروسية والذي ارتد الى الولايات المتحدة عام ١٩٦٤ . عندئذ أمر هيلمز، بسبب هذا الإحتجاج، بإعادة النظر في القضية ثم أطلقت الوكالة سراحه.

ليس غريباً أن تعتبر الوكالة، بحكم منصب المستشار العام، مكتب المستشار العام بالماء الراكد. فهو بينما أغوى كثيراً من محامي الشركات ذات السمعة للعمل لديه تدفعهم جمالية العمل، فقد ابتعد عنه الكثيرون. كما وجده محامون حكوميون آخرون مكتباً يغط في سبات عميق، لا سيما قبل مرافعات لجنة تشيرش.

هذا الإنطباع تغير مع قدوم وليام وبستر الذي أراد، بصفته محامياً وقاضياً سابقاً، أن يكون المكتب قانونياً من الدرجة الاولى. لقد أكد وبستر من خلال تقربه للحكومة التزامه الكامل بالدستور، وهو لن يقوى حالاً على تحمل اية مغازلة له [الدستور]. لقد بدأ وبستر في ايلول عام ١٩٨٧ بالتحقيق في تورط و . م . م في فضيحة ايران-كونترا من خلال تعيينه روسل برومر، البالغ من العمر خمساً وثلاثين عاماً والذي كان مساعد وبستر الخاص في مكتب التحقيقات الفيدرالي، مستشاراً عاماً في الوكالة.

اندلعت فضيحة ايران - كونترا في تشرين الثاني عام ١٩٨٦ ، عندما تكشفت معالم تورط إدارة ريغان ببيع أسلحة سراً الى ايران مقابل المساعدة في إطلاق سراح الرهائن الأمريكان في لبنان، وفي ذات الوقت استخدام أرباح صفقات السلاح تلك في تمويل دعم عسكري سري للمتمردين النيكاراغويين. كان بإمكان وبستر أن يخفي

تـورط الوكـالة المركـزية في هـذه الفضيحة بقـوله أن الإسـاءات التي حدثت خـلال فضيحة ايران- كونوترا كانت انحـرافاً عن الخط السوي للوكالة (تماماً كما فعل رئيس الشرطـة ديـري كينس حين ضرب رجـال شرطـة لـوس أنجلـوس راكب الـدراجـة الأسود).

تفصل وكـالة المخـابـرات المركـزية سنـويـاً ما بين خمسـة الى عشرة مـوظفين من وظائفهم بسبب الإختلاس او لقضايا أمنية. الا أن ما كـان غريباً في سلوكها هو مبدأ تجاوزها العقوبة لأصحاب الأحكام المخطـوءة (من يتجاوز الإلتزام بالمنهجية المقررة) او عدم الصـدق مع السلطات المعنيـة. ولم يتلق أولئك الذين أعطـوا عقار LSD الى أمريكان غير مشتبـه بهم، وهو عمل عده معظم ضباط و.م.م سـوء سلوك لا يغتفر في تاريـخ الوكالـة المركزيـة، سوى كتـاب توبيخ من آلن دولسن. بل إنـه حتى كتب التوبيخ لم تحفظ في ملفاتهم الشخصية.

طرد وبستر، نتيجـةً لتحقيقات برومر، اثنين من مـوظفي الوكالـة من مناصبهم لعـدم نزاهتهم مع المفتش العـام. وأصدرت الـوكـالة كتب تـوبيخ لأربعة آخـرين، وعاقبت آخر بتنزيله درجةً وظيفية. كما وجد برومر أن بضعة موظفين رئيسيين آخرين أمثال (تـوماس تـونتن)، نـائب مدير العمليـات، و(روبرت كينـس)، نائب مـدير الإستخبارات المركزية آنذاك، قد تلقوا مقتطفات معلومات عن ايران- كونترا لكنهم لم يدركوا حينئذ ما الذي كان يحدث. فقـد اتخذ تونتن من جانبه خطوات ايجابية لحماية الوكالـة عندما حذر أن (مانوخـر كوريانفر)، أحد سماسرة صفقـة السلاح الى ايران، غير جدير بالثقة الممنوحة له. وأخبر أحد مساعدي البيت الأبيض اوليفر نورث أنه لا يحبذ فكرة استخدام موظفين غير حكوميين في العمليات السرية.

تجلى واضحاً أمام برومر أن موقف كيسي قد أثر كثيراً على سلوك ضباط و.م.م. لقد مقت كيسي الرقـابة الكونغرسية واختار نفسـه نموذجاً لما يقول، وكانت إجـاباته

من الناحية الفنية سليمة ولكنها ليست كذلك على أرض الواقع. الا أن بـرومر خرج مرتبكـاً، شأنه شأن الآخـرين، حيال تـورط كيسي في الفضيحة. ففي الجانب الأول كانت هنـاك شهادة اوليفر نورث الـذي أدار صفقة شحنة الأسلحـة الى ايران وتحويل أرباحهـا الى المتمردين في قتـالهم ضد نظام (سـاندنستا) في نيكـاراغوا، وهـو ما يمثل خرقاً للحظر الكـونغرسي المعروف باسم (تعديل بولاند). قـال نورث في شهادته أن كيسي كان العقل المخطط للعمليـة. وفي الجانب الثاني أصر ضبـاط و.م.م الذين يثق بهم برومـر والمتورطين في العمليـة أن نورث قـد بالغ كثيراً في دور كيسي. إن مـا كان واضحاً أن كيسي أراد أن يعزل موظفي و.م.م عن نشاطاته، وهي إشارة أن كيسي قد أدرك أن إشراك الوكالة المركزية في نشاطات غير قانونية ليس بالأمر اليسير.

تبين في نهاية المطـاف أن حفنةً قليلـة من موظفـي و.م.م يملكون تلك المعلـومة المفصلـة عن جـوانب الفضيحة، ومن بينهم (آلـن فيرز) الذي أشرف على العمليـات السرية للوكالـة المركزية في أمريكا الوسطى مـن عام ١٩٨٤ الى عام ١٩٨٦. قال فيرز أمام المحكمة الفيـدرالية في واشنطن أن (كلير جورج)، الذي كان عندئذ نـائب مدير و.م.م للعمليات، وآخرين من كبار موظفي الوكالة أخبروه الا يخبر الكونغرس عن حقيقـة أن و.م.م تعلم مبكـراً بعمليات تحويل مبـالغ صفقـة الأسلحـة الايرانيـة الى متمردي نيكاراغوا.

بعد أن انتهى برومـر من إعداد تقرير فضيحة ايـران كونترا، طلب منه ويستر أن يتبوأ منصب المستشار العام للوكالة. لقد وضع بـرومر شرطاً عندما قدم للوكالة أول مرة عام ١٩٨٧ بمنصب المستشـار الخاص، الا هو أن يكون مكتبه في البنايـة الرئيسية للوكـالة وليس في بنـايات الـوكالة المؤجـرة في ماكلين. وعليـه بات مكتبـه في الطابق الرابع وتفصلـه بضع مكاتب عن مكتـب ويستر، وفي نفس رواق مكتب نائبي مـدير و.م.م للإستخبارات والعمليات.

ثم اضطلع بـرومر في صيـاغـة قرار اتخذه ويستر بإخفـاء معلـومات مصنفـة عن العـامة ذات عـلاقة بـ (جوزيف فيرنـاندز)، محترف و.م.م البـالغ من العمر اثنـان وعشرون عـاماً والـذي كان رئيس محطـة و.م.م في كـوستاريكـا للفترة من ١٩٨٤-١٩٨٦. تمثل دور فيرناندز بمساعدة نـورث في إعادة دعم متمردي نيكاراغوا سراً في الوقت الـذي منع فيه الكونغرس اي مسـاعدة عسكرية الى متمـردي نيكاراغوا. وفي نيسان من عام ١٩٨٩، أدين فيرنـاندز بتهمة الإدلاء الكاذب حـول اشتراكه بفضيحة ايران- كـونترا أمام المفتش العام للوكـالة المركزيـة وأمام لجنة المراجعة الـرئاسية التي ترأسها السيناتور الراحل (جون تاور).

ادعى فيرنانـدز أن المعلومات التي أخفتهـا و.م.م ستكشف أن موظفي و.م.م يعلمون بنشاطاته، وعليه فليس ثمـة مبرر كي يكذب عليهم. لقد ساند المدعي العام (ريتشـارد نورنبيرغ) قـرار ويستر بسحب تلك الـوثائق، لـرأيـه أن استخدام وثـائق مصنفة في المحاكمات سيتسبب في (إلحاق أذىً جسيم في الأمن القومي).

تقدم (وثيقـة عرض المعلـومات المصنفـة) لعام ١٩٨٠ طـرقاً لكيفيـة المداولة في المعلومات المصنفة داخل أروقة المحكمـة دون إشاعتها، منها على سبيل المثال أن تلك المعلومـات، وبعد أن يطلع عليهـا القاضي والـدفاع والمدعي، يمكن الإفصـاح عنها بطـريقة الايجاز، اي بـدلاً من الإشـارة الى اسم البلد، تتم الإشـارة الى (بلـد أمريكـا اللاتينية).

لم يكن في جميع المعلومات التي حجبهـا ويستر عن العامة الشيء الجديد، إذ سبق للصحافـة أن نشرت أغلبها. الا أن ويستر قبل برأي ستـولز، الذي كان آنـذاك نائب المدير للعمليـات، وآخرين والمتضمن أن الوكـالة إذا ما أكدت، حتى وإن كـان الأمر أمام هيئـة المحكمة فقط، أنها قـد سخرت تلك الشركـة جبهةً لها او أن ذاك البلـد قد سـاعدهـا، إنها ستصـدع الثقة التي منحهـا إيـاها الآخـرون، وربما أحـرجت بلداناً

أخـرى. بيد أن كـلاً من وبستر وبرومـر شعرا أن المعلـومات التي اخفـاها والمتعلقـة بقضيـة فيرنانـدز تشبه كثيراً المعلـومات التي حجبتهـا الـوكالـة بتوجيـه من وبستر في محاكمة اوليفر نورث.

في هذه الأثناء كان برومر منهمكاً في تسوية قضـائية قرر رفعها ضد الوكالة أناس خضعوا دون علمهم الى تجربـة عقار السيطـرة على الدماغ أجـراها لهم الـدكتور (دي آبون كـاميرون) من معهد (الان ميمـوريال- جامعـة ماك جل- مـونتريال). أخضع كاميرون، في محاولته تغيير السلوك البشري، مرضاه الـذين جاؤوه ينشدون مساعدته في معالجتهم من اضطـرابات نفسية تتابهم الى عقـار الـ(LSD) والعلاج بالصدمات الكهربـائية لغاية خمس وسبعين صـدمة وهو المستـوى الطبيـعي، ثم الى العقار المسبب للنوم فترة أسابيع. كل تلك الخطوات كانت تجرى لهم دون موافقتهم.

بعـد أن علمت الوكـالـة المركزيـة بتلك التجـارب، استخـدمت منظمةً لتقـديم الأموال الى الدكتور كـاميرون مقابل الوصول الى نتائج تجاريـة. وهنا أدرك برومر أن الحكومـة وإن كسبت القضية فـإن السمعة السيئة التـي ستلحق بها جراء المحـاكمة لا تستحق هذا الفوز. وانتهت تسوية الأمر أن قدم للسبعة المتضررين أصحاب الدعوى مبلغاً مقداره سبعمائة وخمسين ألف دولار.

واليوم يضم مكتب المستشار العام (١٢٥) موظفاً بضمنهم ستون محامياً، مقارنة بأربعة عشر محامياً قبل مرافعات لجنة تشيرش. وبـات يختار المحامين لمعظم مديريات الوكـالة بضمنها مديـرية العمليات، حيث يجلس ثمانيـة محامين في أغلب الإجتماعات التي تعقـدها مـديريـة التجسس، وهو الأمـر الذي كـان سيقاوم بعنف في السنـوات الخالية.

الفصل الثالث والعشرون

المستقبل

بعد أن وضعت الحرب الباردة أوزارها، حملت الصحف والمجلات على وريقاتها قصصاً تتسائل عن الدور الجديد لوكالة المخابرات المركزية. فالآن تلاشى التهديد السوفياتي، فهل كان هو صلب الموضوع؟.. هل يتوجب على الوكالة المركزية أن تنقل اهتمامها الى القضايا الإقتصادية؟.. هل سينصب اهتمامها على الجانب التحليلي أكثر من التجسس البشري؟.. أم هل ستؤكد على التجسس البشري أكثر من المراقبة الفنية؟.. هل يتوجب عليها أن تخفض عدد كادرها؟.. ام يحتم الأمر إلغاء الوكالة عن بكرة أبيها؟.

ثمة فجوة، شأن كل ما يتعلق بالوكالة المركزية على الدوام، بين المفهوم العام للوكالة وبين الحقيقة. فهي لم تخصص، حتى في سعير الحرب الباردة، أكثر من اثني عشر بالمائة من ميزانيتها لعمليات التجسس على الإتحاد السوفياتي (يستثنى من ذلك كلفة أنظمة جمع المعلومات الفنية). لقد تجسست وكالة المخابرات المركزية على جميع بلدان العلم باستثناء بريطانيا وكندا وأستراليا، لسبب وجيه وهو أن لا أحد يعرف متى سيستحيل هذا البلد او ذاك تهديداً للولايات المتحدة كما هو شأن العراق الذي دعمته الولايات المتحدة في حربه مع ايران.

بدأت و.م.م تنقل مركز ثقلها قبل أن تبدأ الصحافة تساؤلاتها. فالإتحادالسوفياتي لم يعد الهدف الأول لكثير من محطات الوكالة في العالم، واحتلت

وأول من تقلد هذا المنصب (كاري فوستر) المدير السابق لمكتب الخدمات االطبية في و.م.م.

والمخدرات والقضايا الإقتصادية أولويةً على غيرها. وعندما بدأت حرب الخليج، خصصت الوكالة مبالغ الى شعبة الشرق الأدنى من حصص الشعب الأخرى لتواكب الأزمة. ولما أرخى الإتحاد السوفياتي قبضته على اوروبا الشرقية، استعدت الوكالة لتتعامل مع حكومات صديقة هناك. وتقلص كثيراً النشاط السري ليصل الى اثني عشر برنامجاً سنوياً مقارنةً بمئات البرامج في مرحلة الخمسينات ومطلع الستينات.

في هذا الوقت بدأت الوكالة تخطط لتقليص ملاكها من الأفراد الذي تزايد على مدى السنوات العشر الماضية بمعدل خمسمائة موظف سنوياً. غير أن الكونغرس وعلى مدى السنوات الست التالية أمر بتخفيض عدد الأفراد بمعدل خمسة عشر بالمائة، وهذا يعني أن مديرية العمليات ستفقد ثمانمائة وتسعين عملاً.

قال وليام وبستر قبيل تقاعده عام ١٩٩١: «قبل عشرين عاماً كنا نرقب الإتحاد السوفياتي وكنا نستمع لأي حازوق. واليوم تقع بين أيدينا صورة مختلفة. لقد ذهبت أدراج الرياح القبضة السوفياتية على اوروبا الشرقية، وأمامنا الآن دول جديدة تنشد صداقتنا، وأمامنا أيضاً الإتحاد السوفياتي مقلوباً رأساً على عقب. إنها نوع جديد من اللاإستقرار. وبانتهائها فتحت الحرب الباردة الباب على مصراعيه أمام خصومات قديمة وعداءات. فها هي يوغسلافيا تتشظى، وها هو الصراع الإقليمي يشتعل في كل مكان».

أوجد وبستر، كي يتعامل مع المستقبل، مكاناً لمنصب مدير و.م.م التنفيذي وهو منصب ليس بذي علاقة بالمستقبل كان واجبه الأساس التوقيع على القضايا المادية، ثم استخدمه مع مطلع عام ١٩٩٠ لتأسيس منصب جديد هو نائب المدير لشؤون التخطيط والتنسيق. وأول من تقلد هذا المنصب (كاري فوستر) المدير السابق لمكتب الخدمات االطبية في و.م.م.

ترأس فوستر، الذي اتخذ له مكاتب في الطابق السابع من البناية القديمة، كادرا من عشرين موظفاً فقط، وكان عليه أن يكون دوماً المادة المحفزة وأن يجمع له ضباطاً من مديريات الوكالة الأربعة للمساعدة في رسم مستقبل الوكالة المركزية. فأسس له أربعةً وعشرين فريقاً من ضباط قدموا إليه من المديريات ذات العلاقة ليتدارسوا سلسلةً من قضايا تتراوح بين الإستخبارات المضادة والإقتصاد وانتشار الأسلحة، الى تدريب قوى العمل الخاصة بالوكالة وكيفية التعامل مع العملاء والمؤتمنين. لقد أخذ كل فريق عمل على عاتقه مهمة صياغة برنامج عمل ينقل وكالة المخابرات المركزية الى عتبة القرن الواحد والعشرين.

في هذا الوقت، كانت الوكالة تتلقى سيلاً من الإنتقادات أغلبها لا يستند على أساس قويم. إذ قال البعض أن الوكالة قد فشلت في التنبؤ بغزو العراق للكويت، وأغلب هذا القول غير صحيح. وقال آخرون أنها فشلت في التنبؤ أن المتشددين سيحاولون الإطاحة بحكومة الرئيس السوفياتي غورباتشوف، كما حصل في آب عام ١٩٩١. وهذا لم يكن صحيحاً أيضاً.

قال السيناتور (ديفيد بورت)، الذي ترأس لجنة مجلس الشيوخ للإستخبارات، وقبيل فشل الإنقلاب: «قبل بضعة شهور من الآن، أخبر المجتمع الإستخباراتي الرئيس والقيادة الكونغرسية أن يترقبوا الإحتمال الأكيد بفشل ذلك الإنقلاب».

أكد ذلك النقد الحاجة الى مواصلة التجسس على الإتحاد السوفياتي السابق حتى بعد تلك التغيرات الهائلة التي هزت البلاد عام ١٩٩١ لأن الولايات المتحدة، وبغض النظر عما إذا أمسى الإتحاد السوفياتي السابق صديقاً ام عدواً، بحاجة لتعرف ما الذي يدور خلف كواليس الحكومة التي تحكم آلاف الأسلحة النووية. ثم أن ال KGB واصلت عملياتها التجسسية على الولايات المتحدة بعد الإنقلاب الفاشل بنفس الشاكلة السابقة. من جانب آخر، أثبت الغزو العراقي للكويت أن الحاجة الى الوكالة

المركزية لما تزل قائمة وإن تلاشى الخطر السوفياتي.

ومع ذلك، طـالب أعضاء في الكونغـرس بإعادة تنظيم المجتمـع الإستخباراتي. وقدم السيناتور (آلن سيكنز) مسودة قانون يقوض دور و.م.م كمشرف على المجتمع الإستخبـاراتي لظنه أن شخصـاً واحداً أعجـز على أداء المهمتين. وبـدلاً عنه سيتـولى شخص آخـر المهمة. كانـت تلك الخطوة تراجعـاً من الكونغـرس عن الهدف الأصلي الـذي أسس بمـوجبه منظمـة تمركـز حـولها جميع الإستخبارات لتحـول دون وقـوع مفاجآت مثل هجوم ميناء بيرل هاربر.

من جانبه قدم السيناتور الديموقـراطي (دانيال باتريك مونيهان) مسودة مشروع يقضي بإلغاء وكالة المخـابرات المركزية عن بكرة أبيها وإنـاطة مهماتها بوزارة الخارجية لرأيه أن هذا: «سيغسل آثار هذا النضال [الحرب الباردة] وسيضع مبدأ أن هذا الفرع التنفيذي لن يلجأ، بحجـة الأمن القومي، الى وسائل غير قانـونية كما فعل في فضيحة ايران- كونترا.».

في تلكم الأثنـاء، بـدأت لجنتي مجلس الشـوخ والبيت الأبيض الإعـداد لمشروع سيسهل انسيابيـة المنظمة في المجتمع الإستخبـاراتي، منها أن اللجنتين شرعتا بـدراسة إمكـانيـة التصريح علناً بميـزانيـة المجتمع الإستخبـاراتي. وفي عين الوقت تقـريبـاً، وضعت لجنة مجلس الشيوخ للإستخبارات روبرت كينس، نائب مدير الإستخبارات المركزيـة السابـق في عهد وبستر وبعد عمليـة تأكيـد عصبية، خليفـةً لوبستر في إدارة و.م.م. فقـد أدلى موظفـو الـوكالـة السـابقين الذين لم يقبـل كينس حينئذ بـآراءهم بشهاداتهم أن كينس قد (سيّس) العملية التحليلية. فبينما كان صعباً قبول ادعاء كينس أنه لم يكـن يعلم شيئاً عن تحويل أمـوال صفقة مبيعـات السلاح الى ايـران الى متمردي الكونترا، فإن دليلاً واحداً قاطعاً لم يقدم ليؤكد معرفته بذلك التحويل. وبينما كشفت المرافعات كماً هائلاً من المعلومات عن مديرية الإستخبـارات التابعة للوكالة المركزية،

فإن هذه المعلومات لم تفصح للعامة الا بالنور اليسير عن طريقة عمل وكالة المخابرات المركزية وحقيقة المشاكل التي تواجهها.

لما تزل وكالة المخابرات المركزية تواجه صعوبة في تحديد ماهية المعلومات التي عليها الإبقاء عليها سراً وبصيغة قانونية، والمعلومات التي بوسعها نشرها دون أن تلحق بها الأذى. فالمديريات الفردية تجنح نحو العمل كما تشاء أحياناً وهي لما تزل تتحلى بالنظرة الضيقة التفكير.

ينبغي على وكالة المخابرات المركزية، حتى تواجه آخر التحديات، أن تعزز قوة الإستخبارات البشرية وأن ترجح النوعية فوق الكمية وأن تلقي ضوءاً على القضايا الإقليمية أكثر من السابق وأن تحسن طريقة عرضها للمعلومات. وفي هذا الصدد يقول روبرت كينس، بعد أن أمسى المدير الخامس عشر للوكالة: «نحن ننشر كماً هائلاً من المعلومات الإستخبارية التي ترتبط في تساؤلاتها بصناع السياسة. هذا السلوك يجب أن يكون أقل وأن يكون أفضل حالاً».

كما يتحتم عليها، طالما أن دورها مرتبط بظروف العالم المتغيرة، أن تعيد تشكيل حجم تغطيتها لأحداث العالم على نحو مستمر. بيد أن مجرى هذا التغيير لا يحدث بين عشية وضحاها. فهي كناقلات البترول العملاقة، لا يسعها أن تكون دوماً رشيقةً ولكنها ستنجز عملها. إن وكالة المخابرات المركزية، وعلى مدى السنين، قد تنبأت تقريباً بكل شيء كان عليها أن تتنبأ به، وأدركت مسبقاً كل نظام سلاح جديد كان عليها أن تدركه مسبقاً، وأماطت اللثام عن معظم القضايا التي كان لزاماً عليها أن تكشفها. وهي وإن أضلت طريقها أحياناً وانحدرت صوب العمليات اللاشرعية والحمقاء، فإنها قد فعلت هذا بموافقة الرئيس على الدوام.

كان هناك نوعاً من الأمان إبان الحرب الباردة، فكل جانب يعرف دوره وهو

يلعبه بشكل او بآخر بوتيرة متناسقة. اما اليوم فتواجه و.م.م الغموض.

قال كينس: «بانهيار الإتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة، انسحب خطر الحرب النووية او الحرب في اوروبا التي كان يتوقع لها الإندلاع في المستقبل المنظور في أقل تقدير الى نقطة متلاشية في المستقبل. وعليه فإن العالم في مجال الدمار الشامل قد أضحى الآن أكثر أماناً وبنحو استثنائي عما كان عليه قبل سنة. هذا لا يلغي القول أن العالم يعيش اليوم على حافة خطر وربما أشد خطورة من السابق لأن القيود التي وضعتها الحرب الباردة على الصراعات القطرية قد تلاشت الآن».

أسس كينس، بعد توليه منصبه مباشرةً، قوى مهمات داخلية لتوصي بأي تغيير تراه مناسباً. واستناداً الى تقاريرها، وافق كينس على خطط تطوير قناة تلفاز المجتمع الإستخباراتي التي سترسل أخباراً مصنفة الى صناع السياسة مدة ستة أيام في الأسبوع. كما شجع كينس، استناداً الى فضيحة بنك الإعتماد والتجارة الدولية، موظفي و.م.م البحث عن اي نشاط إجرامي والتأكد أن تتبع بقية الوكالات الأخرى التي تتلقى تقارير و.م.م عن هذه النشاطات ما جاء في تلك التقارير.

صادق كينس أيضاً على مشروع سياسة أكثر انفتاحية مع الصحافة يسمح بتسجيل لقاءات مع موظفي الوكالة ممن هم دون منصب نائب مدير الإستخبارات المركزية. كما اتخذ خطوات ستتمخض عن فتح سجلات الوكالة عن قضايا قديمة مثل عملية خليج الخنازير.

لقد باتت وكالة المخابرات المركزية الحديثة، وفي أغلب جوانبها، أكثر وسواسية في إطاعتها للقانون. وأخذت تتطلع الى الكونغرس حليفاً لها أكثر من أن يكون عدوها. فمعظم النقد الذي تعرضت له الوكالة نجم عن حقيقة أن نشاطها سري. وأشد ما يغيظ العامة ولا سيما الصحافة جواب أننا لا نعرف شيئاً. فهي تترجم

السكوت طغياناً. وعلاوةً على ذلك، فإن العامة إذا ما جهلت بالذي تفعله الوكالة لساورها ريب أن الوكالة لا تفعل شيئاً وأنها لا تتغير مع الزمن المتغير، او أنها وإن فعلت شيئاً، فهو خاطيء. إن من طبيعة الإنسان أن يتقبل الإشاعة إذا افتقر الى المعلومات الراسخة.

من الأخطاء المشاعة عن دور وكالة المخابرات المركزية هو مضاعفتها للمشكلة، والإفتراض القائم أن الوكالة، بحجم مصادرها الهائل، يجب أن تفقه كل شيء. غير أن الوكالة لا تمتلك الكرة البلورية وهي ليست الله لتعرف كل شيء. فوسائل الإعلام تنشر او توزع يومياً قصصاً ملفقةً، ويرفض الجميع أن يذهبوا وراء عمود التصحيح في أغلب الصحف قبل سنة خلت ويشير أن خبراً قد تنبأ على نحو غير سليم أن و.م.م قد أسست قوة مهمات استهدفت اغتيال صدام حسين.

إن وكالة المخابرات المركزية اليوم لأقوى وكالة استخبارية في العالم وأكبرها تأثيراً. فبرغم النجاحات الكثيرة التي حققتها المخابرات الروسية، فإنها لم تبلغ البتة مستوى القدرات الفنية والتحليلية اللتين تتمتع بهما و.م.م. وهي لم تصل قط نوع التغطية الإستخبارية الشاملة لأحداث العالم التي تحتلها و.م.م، وهي لم تكن بنزاهة و.م.م في التقارير التي ترفعها الى مقراتها الرئيسية.

كما تمثل و.م.م واحدةً من أهم المؤسسات في المجتمع الأمريكي. بلإرنها المؤسسة التي حالف الحظ الشعب الأمريكي أن باتت ملكه. لقد ساعدت الوكالة بلدها في أشد الأوقات العصيبة في تاريخه، وأهدته دوماً معلومات أبقته في منأى عن حرب كبرى مع الإتحاد السوفياتي، وساعدت الولايات المتحدة في الفوز بحروب أصغر منها مثل حرب الخليج. وهي الوكالة التي لا تغيب عن الأذهان أوقات الصعاب وليس ثمة بديل عنها حين تضرب ساعة الصفر، شأنها في ذلك شأن مكتب التحقيقات الفيدرالي والجيش. فإذا ما اختطف طفل تطلعت عائلته صوب مكتب

التحقيقات الفيـدرالي لينجدها. ولكن إذا مـا هدد زعيم كصـدام حسين العالم اتجهت الحكومـة الأمريكية صـوب الوكالـة المركزية سعيـاً وراء معلومات ضروريـة لمواجهة ذلك التهديد.

بيد أن الـوكالة لا تملك الا مـوقعاً هشـاً لها داخل المجتمع الأمريكي. إذ يصعب تعريف دورهـا وأصعب منه تنفيـذه. وتتعارض السريـة التي تؤطر عملهـا مع القيم الأمريكيـة الموروثة وهـو ما أفضى دوماً الى سـوء ظن تأكد في سنـوات الماضي مرات عديدة، واتهمت الوكالة المركزية بالطغيان.

ليس عسيراً على مـديـر او رئيس عـديم الضمير أن يسيء استخـدام قوة وكـالـة المخابـرات المركزية رغم أن القـوانين والأوامر التنفيذيـة الصادرة كافيـة لتجنب هذه الإساءة. لقـد حدث هـذا الأمر عنـدما أمـر الرئيس جـونسون و.م.م بـالتحقيق في الحركة المناوئة لحرب فيتنـام، وحدث ثانيةً عنـدما حاول الرئيـس نيكسون استخدام و.م.م في التغطيـة على تـورط البيت الأبيض في فضيحـة ووترغيت. وتتكـرر هـذا المنوال مـؤخراً عندما وضع كيسي أسلـوباً قاد الى تـورط حفنة من موظفي الوكـالة في فضيحة ايران- كونترا.

إن الإجـراء الأكثر حمايـة كي تتجنب الـوكالـة مثل هـذه السلوكيـات التي تهدد وحـدتها هو بـاتخاذ مـوقف قـانوني يقبل بكـل من الرقـابـة الكونغـرسيـة والتفحص الإعـلامي على الوكـالة. فـالـوكالـة قبل فترة ليست بعيدة واجهت اتهامـات خطيرة تتراوح بين ترويج المخدرات الى عمليات القتل، وتمسكـت هي بفلسفتها الرواقية (لا تعليق). وهذا ما يوحـي أن الوكالة لا تملك جواباً لنشاطـاتها. وبالتالي ستترجم تلك النشاطات على أنهاأعمال غير قـانونية او حمقاء، فكـان موقفاً فشل أن يأخـذ بالإعتبار حقيقة أن بوسع الوكالة أن تشرح نفسها دون أن تتفوه ببنت شفة بأي من أسرارها. لا يكفي أن يكون الكـونغرس والصحافة يقظين، بل على وكـالة المخابرات المركـزية أن

تدرك أهمية مثل هـذه الإمتحانات . فهي ستكون مسؤولـة أمام الشعب الأمريكي من خلال مدى استجابتها للكونغرس والصحافة فقط .

محتويات الكتاب



داخل السي آي إيه

المخابرات المركزية الأمريكية

لقد سعت وكالة المخابرات المركزية منذ تأسيسها أن تكون اليد الطولى لحكومة الولايات المتحدة التي ظنت ، بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها وبروزها كقوة عظمى ، أن لها الحق أن تعرف ما يدور في اقاليم العالم وأروقة الحكومات وربما ما يجول في اذهانهم . فشرعت تخطط لاغتيال فيدل كاسترو ، وان تمنع سلفادور اليند من الفوز في الأنتخابات التشيكية ، وان تسعى جاهدةً في كي لا يتسلم الشيوعيون السلطة في ايطاليا . وكل هذه أمثلة على سبيل الذكر لا الحصر . بعدها أعطت لنفسها الحق في تحديد من يستحق من الدول أن يمتلك تقنية متقدمة او نهضة صناعية او سلاحاً نووياً ... كل هذا لينحصر العالم ما بين المالك والمستأجر والسيد والعبد .

في هذا الكتاب الشيق بعضاً من أسرار وكالة المخابرات المركزية التجسسية منها والعملية والتحليلية ، ومنها تتكشف ، من ناحية اولى ، أن الولايات المتحدة بصفتها سيد العالم كما ترى نفسها ، لا ترغب أن يتبوأ الحكم شخص حتى وإن اختاره شعبه في انتخابات ديموقراطية . كما تستدل من ناحية أخرى ، أن الولايات المتحدة قد قطعت شوطاً طويلاً في مجال التقنية والعلوم ربما منحها الحق أن تقول أنني الأفضل . فإن كان لكم أن تحدوا من سلطتي فلتأتوا بما اتيت .

الأهلية
للنشر والتوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
خلف مطعم القدس / ص.ب ٧٧٧٢ - هاتف ٦٣٨٦٨٨
فاكس ٦٥٧٤٤٥ ◆ منشورات في العام ١٩٩٣ م
◆ الغلاف : زهير أبو شايب .